سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧، محرّم ١٤٠٨

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader 's Digest September '87 N° 106

قلب بين الاعشاب (قصة قصيرة) ٣٠
أم التوائم الخمسة ٣٥
من اخترع المحامي؟ ٤٠
سباق الحمام الزاجل ٤٤
أسرار النجاح ٤٩
حرية تقفز من الطاحونة ٥٢
عندما يتشاجر أولادكم ٥٨
الرواق الامامي ٦٢
اليويو المثالي ٦٥
جولي أندروز المدهشة ٦٩
نجمة حملايا ٧٦
عيادة آخر زمان ٨١
حرب ضد الهيروويين ٨٣
الغاز الصناعي لعجلة الغد ٨٨
شكراً يا معلم ٩٢
الأخوان جياكوميتي ١٠٧

المرأة العصرية: وداعاً سن اليأس ٩٧

خاص – ١: نزهة في الصحراء ١١٣
خاص – ٢: كابوس الحافلة المدرسية ١٢٩
أحلام سبتمبر ٦
معثرات اللسان ٩

بين السطور ٣ – تأملات معاصرة ٥ – أخبار العلم ٣٣ – حكايات من العالم ٥٧ – صور من الحياة ٧٥ – دائرة المعارف ١٠٥

اوسع المجلات انتشاراً في العالم
٣٩ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

جرّاح عربي يشغل العالم
(ص ١٨)

عيون الفضاء على الأرض
(ص ٢٤)

جبل طارق آخر المستعمرات
(ص ١١)

فندق الشام

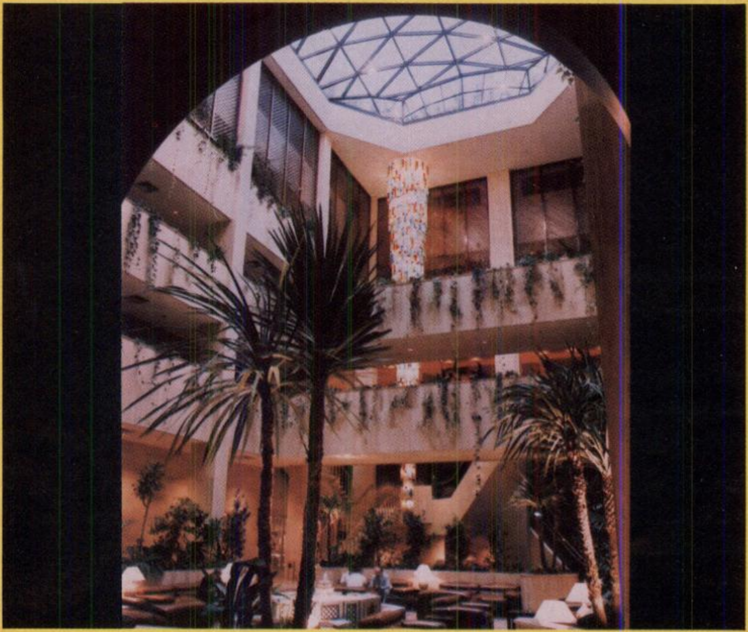

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام - ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاعلانات: الشركة اللبنانية لادارة حصر الاعلانات انترناسيونال (راجع الصفحة ١٤٤)
الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

© 1987 BY AN NAHAR P.I.S.A LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O. Box 55228, El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

September '87 N° 106 (New Series) Vol. 9

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

ثمن العدد

لبنان ٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٥ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٦٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

أنت في الداخل

والأسد في الخارج ستبقى دائماً في الطليعة

بيجو ٥٠٥ جي تي آي : إجلس داخل هذه السيّارة الفاخرة الوثيرة وأعلم أنك داخل سيّارة في طليعة المنافسين.. سيّارة تميّزك عن الجميع .

وعندما تبدأ بالقيادة تدركُ أنّا لم نبخل بأي تحسينات .. أنظر إلى لوحة أجهزة القياس، والمس أجهزة التحكّم وأشعر بقوّة المحرّك البخّاخ وهو يدفعك إلى الأمام .

وجرّب الأداء الممتاز واستمتع بالقيادة، وتحسّس الخطوط الأنيقة تشقّ الهواء.. عدّل مكيّف الهواء وأدر الموسيقى وأطرب لهذه التجربة الفريدة الفائقة في قيادة السيّارات .

سيّارة بيجو ٥٠٥ جي تي آي .. سيّارةٌ تجلبُ قيادتُها متعةً عظيمةً .. سيّارة تفخر بإقتنائها .. انها ليست سوى سيّارة بيجو .

PEUGEOT

بيجو

وثبة الجودة

بين السطور

في مواجهة التضخم

ترددنا كثيراً قبل الاقدام على زيادة سعر «المختار» في لبنان وسوريا والمغرب. فنحن لا نفرح عندما نرفع السعر في بلد ما، اذ تغبطنا زيادة انتشارنا، اي وصولنا الى اوسع فئات القراء، اكثر مما تسرنا زيادة دخلنا.

ولئن ساعدتنا زيادة السعر هذه على جبه موجة التضخم المتعاظمة في لبنان والتي تجاوز معدلها الـ١٠٠ ٪ خلال الاشهر الستة الاولى من السنة، فانها لا تشكل - في اي حال - زيادة للدخل. ونقابة الصحافة اللبنانية عندما سمحت لاصحاب المجلات برفع سعر النسخة الواحدة الى ٥٠ ليرة فانما هي منحتهم فرصة لالتقاط الانفاس في المواجهة مع الدولار. فالنسخة الواحدة من «المختار» التي كانت تسلّم الى متعهد بيع الصحف، حتى الشهر الماضي، بـ١٣ ليرة كانت تكلفنا طباعة وورقاً فقط ٣٣ ليرة، وبعد زيادة السعر سيعود الينا من النسخة المبيعة ٣٢،٥٠ ليرة، اي اننا لا نزال في حال خسارة، علماً ان المجلة ليست حبراً وورقاً فحسب! ولولا املنا في ان الاسواق الاخرى يمكن ان تعوض بعض ما نخسره في لبنان، لكانت الزيادة اكبر.

وقد حرصنا على ألا نحمّل اخواننا في المغرب اعباء الزيادات المتوالية لتكاليف الشحن الجوي، فحصرنا زيادة السعر في حدها الادنى.

رجاؤنا ان يتفهم قراؤنا وضعنا فيعذروننا.

ادمون صعب

تقدّم متواصل نحو آفاق جديدة

حول العالم

تحلّق الملكيّة الأردنيّة عاليًا إذ تقلك حيثما شئت ضمن شبكتها العالميّة المنتشرة في ٤٢ مدينة على مدى أربع قارات.

فمن الشرق الأوسط إلى أوروبا والولايات المتحدة والشرق الأقصى، تحملك طائراتنا في جوّ من الراحة وتوفّر لك مستوى عالٍ من الخدمة والرعاية.

سافر على طائراتنا الحديثة من طراز بوينغ ٧٤٧ وترايستار إلى أيّ مكان من سنغافورة إلى لوس أنجلوس، تجد الراحة التي تنشدها في مقاعد النوم الوثيرة، وتتمتّع بما يقدمّه إليك مطبخنا العالمي الفاخر. انها الرعاية الخاصّة النابعة من تقاليدنا العريقة في الضيافة.

وتحقيقاً لالتزامنا بالنوعيّة الممتازة والتجدّد المستمر، أضفنا إلى أسطولنا أحدث الطائرات من طراز آرباص.

سافر إلى كافة أرجاء العالم مع الملكيّة الأردنيّة. وثق من أنك ستجد الترحيب الحار أينما توجّهت.

ROYAL JORDANIAN

الملكية الأردنية

تجدّد لا يتوقّف

عمّان . أبوظبي . أمستردام . العقبة . أثينا . بغداد . البحرين . بانكوك . بيروت . بلغراد . بروكسل
شيكاغو . كوبنهاغن . دمشق . الظهران . الدوحة . دبي . فرانكفورت . جنيف . اسطنبول . جدّة . كراتشي
لوس أنجلوس . مدريد . موسكو . مسقط . نيويورك . باريس . الرياض . روما . صنعاء . سنغافورة

بوخارست . القاهرة . الدار البيضاء
كوالالمبور . الكويت . لارنكا . لندن
طرابلس الغرب . تونس . فيينا

تأملات معاصرة

فعل الدعاية!

تضع سمكة القد عشرة الاف بيضة يومياً، لكنها تفعل ذلك بصمت. وتضع الدجاجة بيضة واحدة وتقوق.
لا احد يأكل بيض سمك القد، وجميع الناس تقريباً يأكلون بيض الدجاج.

كاتب مجهول

جذور الصداقة

لكم يسرنا أن نتكلم مع شخص نعرفه ويعرف ما نعرفه. هناك كثير من الناس الجدد الذين يبدون كأن لا حاضر لهم ولا ماضي. فان لم تكن للحديث جذور مشتركة تمتد الى عمق الماضي، تعين عليك أن توضح لسامعك كل ملاحظة تبديها. وهذا ما يرهق المرء حقاً ويضنيه.

س.ج.

تربية الطفل

من الممكن التحدث مع الاطفال عن الامور المهمة في وقت أبكر مما نفعل. وأعتقد أنه يجب وضع قاعدة تربوية وبسيطة. يجدر بالطفل أن يتعلم أنه يعيش في الكون على كوكب يتحتم عليه الاقتصاد في استعمال موارده، وأنه يعتمد على الهواء والماء وجميع الكائنات الحية، وأن أصغر زلة وأخف عنف يحملان خطر تدمير كل شيء.
علينا أن نحاول تعويد الطفل الكتب والحياة معاً، فيعرف أسماء النبات ويتعلم عن الحيوانات. تربيته ينبغي ان تتضمن مراقبة الوليد ورؤية المريض والميت. ومن المستحسن ايضا ان يُلقَّن افكاراً بسيطة في أدب السلوك لا بد منها للعيش في مجتمع، وأن يروى له شيء عن الديانات الكبرى بغية ايقاظ روح الاحترام لها في نفسه.

م.ي.

حب الحياة

عندما يتكلم المرء عن حبه للماضي فهو في الحقيقة يعلن حبه للحياة. الحاضر برهة عابرة وإن جعله خصبه يبدو أبدياً. وعندما تحب الحياة تحب الماضي لانه احساس للحاضر يعيش في ذاكرة الانسان.

م.غ.

الاحكام المسبقة

الاحكام المسبقة يصعب اقتلاعها من القلب الذي لم تحلل تربته او تعالج بسماد التربية والتثقيف، فتنمو فيه تلك الأحكام بعناد وصلابة، مثل الاعشاب الضارة بين الحجار.

شارلوت برونتي، روائية بريطانية

أحلام سبتمبر

إنه إتمام للصيف واستهلال للخريف

ليس سبتمبر (أيلول) شهراً فحسب، انه فصل لا بل انجاز في ذاته. يبدأ مع مخلفات شهر أغسطس (آب) وينتهي مع الاستعداد لاستقبال شهر أكتوبر (تشرين الأول). لكنه في تلك المدة الزمنية المخصصة له ينجز اداء مميزاً. فبعد حرارة الصيف واستعجاله تلتقط السنة أنفاسها. ويأتي سبتمبر ليلخّص صيفاً آخر بتأن وإتقان.

ومع سبتمبر تنسلّ روح الخريف. تراه يجيء خلسة مع غشاوة الفجر ويغيب مع الأصيل الحار. يدنو بحذر من أعالي الأشجار ليصبغ بعض وريقاتها بالحمرة، ثم يطوف في الاودية فينثر فيها الأزهار والأعشاب. ويجثم على ربوة فيطلق صوتاً يحاكي نعيب البوم في العتمة. ويلعب مع النسيم ويطارده. انه شهر مفعم بالتناقضات. تارة تراه منشغلا كسنجاب على شجرة جوز وتارة كسولا كغدير راكد. انه إكمال لفصل الصيف في تورّده وغناه.

وفي سبتمبر بعض من أندر أيام السنة التي تتسم باعتدال الحرارة وتنبض حياة. سماؤها صافية زرقاء وهواؤها منعش عليل وريحها لا يشوبها غبار. أما المروج فيفوح منها شذا التبن وعبير العشب المجزوز. وأزهار سبتمبر أقل تنوعاً من أزهار مايو (أيار) لكنها غزيرة تجعل من سبتمبر شهراً مزهراً آخر.

Condensed from «Hal Borland's Twelve Moons of the year,» by Hal Borland, copyright © 1979 by Barbara Dodge Borland, reprinted by permission of Marie Rodell — Frances Collin Literary Agency, New York. Photos: (left) Four by Five (right) Grant Heilman

Grant Heilman

فالازهار التي تتفتح عادة في منتصف أغسطس (آب) تبلغ أوجها في بداية سبتمبر. وتضفي النبتات الشائكة على الطبيعة لوناً أرجوانياً رائعاً. وتتفتح الأزهار في كل حدب وصوب، على حافات الدروب وفي المروج والروابي وحتى في المدن، فتراوح ألوانها بين الأبيض الناصع والأحمر الارجواني.

نرى الربيع عادة فصل المعجزات، اذ يعلن تفتح البراعم والوريقات الجديدة استمرار الحياة. بيد أن سبتمبر هو الشهر الذي تبرز فيه هذه المعجزات الدائمة على نحوٍ ألطف. فالنبات يدرك وقت الاثمار وتُستكمل التحضيرات لاستقبال سنة أخرى وجيل آخر. وتنضج حبوب البلوط والجوز. وتعهد النبتة في مستقبلها الى البذور والجذور. وتُسكن الحشرات غدها في البيض وفي الخادرات. فيكاد الاندفاع يهدأ وتبدأ الحياة الاسترخاء.

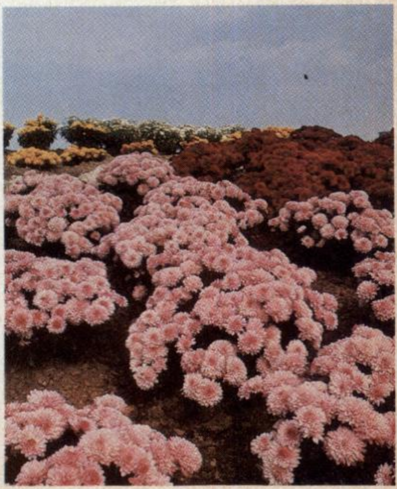

S. Rannels / Grant Heilman

وينطوي الربيع الأخضر وتشرع الأشجار تنادي بالتغيير. وتشرف أوراق الشجر على السقوط والاعشاب على الذبول. بيد أن معجزة الحياة تستمر قابعة في البذور، أصل التجدد وسر النمو الغامض.

وسبتمبر فصل لعاب الشمس(١). يبزغ الفجر مع خيوط العنكبوت فيدل على غريزة العناكب للسفر. على أجنحة لعاب الشمس سافرت أسراب العناكب الى القطب الشمالي وكادت تبلغ قمم جبال حملايا.

وسبتمبر فصل البدر في الاعتدال الخريفي(٢) حيث يتألق القمر في سماء صافية لمدة أسبوع، ذلك لأن بدر الخريف لا يكون على عجلة من أمره، إذ يأتي باكراً

(١) لعاب الشمس (gossamer) غشاء كنسيج العنكبوت يطفو في الهواء حين يصفو الجو.

(٢) يعتدل الليل والنهار مرتين في السنة، فهناك الاعتدال الربيعي قرابة ٢١ مارس (آذار) والاعتدال الخريفي قرابة ٢٣ سبتمبر (أيلول).

George Harrison / Grant Heilman

ويدوم طويلا. وفي الزمان القديم كان المزارع المنهمك يعود الى حقله بعد العشاء لمتابعة حصاده في ضوء القمر. ما زال الحصاد قائماً الى اليوم، لكن معظمه يتجمّع في المطابخ بدلا من الاهراء. ويأتي آخر الغلال من البساتين: حبوب الذرة والبندورة (الطماطم) والخضر التي تضرب جذوراً في الأرض. ويحين موعد التعليب والحفظ والتجليد وكل أنواع "الحصاد" المطبخي.

أما أولى موجات البرد فتأتي في أثناء الليل حين تمتلىء السماء الصافية بالنجوم ويكاد البدر يبلغ كماله. ينسلّ البرد بهدوء وسكينة كزغب النبتات الشائكة وينساب على حافة البساتين القابعة عند سفوح الروابي. ويبزغ الفجر مخلّفاً آثاره: أوراقاً وجذوعاً وامضة متلألئة وكروماً مسودة مترهّلة.

وما هي الاّ ليلة أو ليلتان حتى يبلغ الصقيع الاودية تحت ضوء القمر. ثم ينتقل الى ما وراء التلال الشمالية فينتظر قليلا، فيما يؤاسي الاعتدال الخريفي الأرض. فتفوح رائحة اليانسون الرهيفة ويعبق الزهر. ويكتنف الضباب الطبيعة فيتألّق سبتمبر بسمائه الصافية الزرقاء.

وفي الليـالي المعتـدلـة تنتعش الكائنات النشيطة فيما تقبع الحشرات البليدة تحت رحمة الشمس فلا تعود تحرك ساكناً. وهكذا يتضـاءل غناء الجندب وزيز الحصاد.

ثم تأتي أيام المؤونة. فئران الحقول أمضت أسابيع طويلة تحصد الحبوب وتخزنها. وحشا السنجاب سريره الشتائي وشرع يخبىء محاصيل البندق والجوز.

وتبدأ الطيور تتجمع للارتحال. فقد اكتملت الأعشاش وتعلمت الفراخ كيف تعتمد على نفسها وتؤمن الطعام. وها هو سبتمبر شهر عطلة الطيور. أتراها تتناقش في وجهة سفرها؟

قرابة انتهاء سبتمبر تبدأ ثروات الخريف تتدفق، تتوهج في سكينة الأصيل وتلتهب عند الغروب. فتزدهي الغابات والدروب والحدائق بأجمل الألوان وأغناها.

لقد انقضى فصل الشمس وبدأت الطبيعة تتأهب للشتاء. وتتناثر أوراق الأشجار فتكسو الأرض وتتحوّل في الخريف مهاداً ثم دبالا مغذياً للجذور والبذور. لقد انتهت عملية النمو لهذه السنة، لكن الحياة ما زالت قابعة في البذر والبيض والبصل.

هال بورلند

معثِّرات اللسان

طالما اعتبرتُ "معثِّرات اللسان" (★) مجرد لهو صبياني أجازه لنا الكبار الذين افترضوا أن هذه الألاعيب الشفهية تعلمنا التكلم بعناية وانتباه. ولكن منذ بدأت جمع هذه المعثرات وجدت أن لها وظائف كثيرة أخرى.

كتبت لي مغنية أوبرا أن المعثرات اللسانية جزء من تمرينها اليومي الشاق. وبلغني أنه يُطلب من مذيعي الراديو أن يتلوا معثرات صعبة على سبيل الامتحان. من ذلك:

The seething sea ceaseth and thus sufficeth us.

وأخبرتني سيدة أخرى أنها حين كانت صغيرة زعم لها أحد الكبار أن في استطاعتها تصغير فمها اذا زمَّت شفتيها ورددت:

Fanny Finch fried five floundering fish for Francis's Father.

ويعزو أحدهم الفضل في شفائه من اللثغة الى عبارة:

She sells sea shells by the seashore.

(★) tongue twisters وهي عبارات تتشابه فيها حروف الكلمات فيعسر على اللسان تردادها.

وأنا أتساءل: ترى هل يمكنه أن يردد من دون لثغة:

The sixth sheik's sixth's sheep's sick.

كتبت شابة أن والدها الذي يعمل طبيب أسنان يطلب من زبائنه المزودين طواقم أسنان اصطناعية أن يتمرنوا بتكرار القطعة الشعرية الآتية:

Amidst the mists and coldest frosts,
With barest wrists and stoutest boasts,
He thrusts his fists against the posts.
And still insists he sees the ghosts.

وهنا عبارة انكليزية قديمة من عاقدات اللسان:

She stood at the door of Burgess's Fish-sauce shop welcoming him in.

جرِّب هذا الحوار الطريف بين الدوقة والسمكري:

Are you copperbottoming 'em, my man?
No'm, I'm aluminiuming 'em, mum.

إليك بضع معثرات قديمة. وتذكر أنك لا تصبح بارعاً في واحدة الا اذا استطعت ترديدها ثلاث مرات بسرعة ومن دون خطأ:

Truly rural.
Strange strategic statistics.
Tie twine to three tree twigs.
Six slim slick slender saplings.

وتبرز كل يوم معثرات لسانية جديدة، مصادفة أم عمداً. من ذلك:

Preshrunk shirts.
Double bubble gum bubbles double.
A bloke's back brake block broke.

واذا كان لسانك لا يزال مربوطاً أمام هذه المعثرات، جرِّب تكرار العبارة التقليدية الآتية ثلاث مرات:

Lemon Liniment.

تشارلز فرنسيس بوتر

نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
سريع الذوبان
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
enrichi de vitamines A et D
Full cream powdered milk
enriched with vitamins A and D
حليب مجفف كامل الدسم
أضيف إليه فيتامين «أ» و«د»
نيدو الأفضل طعمًا، الأسرع ذوبانًا، الأضمن نتيجة والأوسع إنتشارًا.
نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنمو أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله

PI 3693 A

المختار
من ريدرز دايجست
سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ السنة التاسعة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

جَبَل طارق علامَة تعجّب بَين الأطلسيّ والمتوسّط

فتحه العرب وحكمته بريطانيا وطالبت به اسبانيا. انه آخر مستعمرة في اوروبا

من شرفتي التي تبعد ١٠٠ كيلومتر عن شاطىء اسبانيا أستطيع أن أرى صخرة جبل طارق ترتفع كعلامة تعجب عظيمة. انها جدار حصن مهيب من الحجر الكلسي، علوه ٤٢٦ متراً، يشرف على المضيق الذي يتلاقى فيه المحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط. يا له مشهداً خلاباً.

هذه الصخرة الصلبة، ذات اللون الرمادي الادكن، الرهيبة الملهمة، المندفعة بعتو نحو السماء الفيروزية الصافية، تقف متوازنة على أحد مفترقات الطرق العالمية الاستراتيجية. ان جبل طارق لا يتحكم فحسب بالممر الشرقي - الغربي عبر المضيق الذي يحمل اسمه والبالغ طوله ٢٣ كيلومتراً ويعبره شهرياً أكثر من ٣٠٠٠ باخرة، بل يتحكم أيضاً بالممر الشمالي - الجنوبي للتنقل والتجارة بين اوروبا وافريقيا. انه يجثم عند الملتقى الصاخب لقارتين وبحرين وثقافتين. ولم يكن لجبل طارق مفر من أن يصبح قلعة القلاع والحصن المتحدي الذي تخطّى خمسة عشر حصاراً على الاقل.

كل شعب، عبر مئات السنين، ترك على أرض الصخرة الملفوحة بالبارود شيئاً من طابعه وثقافته. هنا قاتلت الجيوش العربية طوال ثمانية حصارات. وهنا طوّق الامراء الاسبان الصغار ونصبت لهم المكامن فقضوا جوعاً. ومن هنا أدار الجنرال دوايت ايزنهاور عملية الانزال للحلفاء في شمال افريقيا.

ما زال جبل طارق يفاخر بمتاريسه المهيبة وتحصيناته الممتدة على طول ٥٠ كيلومتراً من الانفاق الدفاعية المتشابكة، كما يباهي بالكمية الكبيرة من المدافع المهجورة منذ زمن بعيد. في الزوايا يجد الزائر براميل من نفايات حديد المدافع مطمورة في المداخل والابراج، وممرات ظليلة كانت متاريس، وعُرُشاً بنيت فوق ما كان يوماً بطاريات مدافع. حتى نادي كرة المضرب يقوم على مخزن سابق للبارود وساحة عامة للاعدام.

ان جبل طارق، على رغم طابعه الاساسي الحربي، هادىء على نحو غريب. حكمته بريطانيا وطالبت به اسبانيا وعرف بأسماء مختلفة: "روك"، "لاروكا"، "جيب". انه اليوم المستعمرة الاخيرة في

Photo: Plessner / The Stock Shop

أوروبا، أرض مغلقة، رأس ماحل يتجمع فيه ٢٩ ألف شخص. لا ماء فيه، طوله أقل من خمسة كيلومترات وعرضه يزيد قليلا على كيلومتر. شعبه ودود واسع الحيلة ولغته العامة هي "ليانيتو" وهي مزيج عجيب من الانكليزية والاسبانية.

هذا الصباح كان عرض جاب الشارع الرئيسي الى ساحة جون ماكنتوش المعروفة بـ"بياتزا." في الميناء باخرتان سياحيتان، سوفييتية وبريطانية. وألوف السياح تقاطروا من المنتجعات الاسبانية المجاورة.

في سوق مكتظة وسط المدينة شاهدت حانوتيين هنوداً يبيعون السياح الامريكيين عطوراً باريسية بأسعار مغرية. ورأيت ألماناً يحملون قماشاً صوفياً ناعماً من الكشمير الرخيص الثمن، وبريطانيين يتدافعون الى مخزن كبير طلباً للشاي ومربى التوت.

في الشوارع الخلفية لمحت نساء هنديات يرفلن بسواريهن الفضفاضة، وفتياناً ذوي وجوه كئيبة.

قرود طليقة - هلمَّ معي في جولة حول الصخرة. اذا اتجهنا من اسبانيا شرقاً عبر البرزخ، مررنا بالمطار الذي يمتد ٨٠٠ متر في البحر وقد أدى دوراً رئيسياً في الحرب العالمية الثانية كمحطة لمعارك شمال افريقيا وايطاليا والشرق الاقصى.

على مدى ٨٠٠ متر في مواجهة البحر الابيض المتوسط تقع احواض ماء تبلغ مساحتها حوالي ١٤ هكتاراً، مبنية بالاسمنت المسلّح ومنتشرة على معظم الواجهة الشرقية المستقيمة للصخرة. في هذه المنطقة الفسيحة حُفرت قنوات لمياه الشتاء تصب في ١٣ خزاناً تحت الارض يعود تاريخ بعضها الى بداية هذا القرن، وتستوعب حوالى ٦٠ مليون ليتر. وبفضل هذه التدابير، اضافة الى مصنعين لتحلية المياه، قلما أصاب الظمأ جبل طارق.

على الشاطىء تحت الجُرُف الشاهقة نجتاز أوسع منطقة في شبه الجزيرة. هنا في هذه البقعة المغلقة من الارض أنواع مختلفة غير عادية من النبات والزهر تبلغ نحو ٦٠٠ نوع. وهنا أيضاً استراحة لقرابة ٢٠٠ صنف من الطيور المتنقلة العابرة القارات.

في أقصى الطرف الجنوبي يجد الزائر

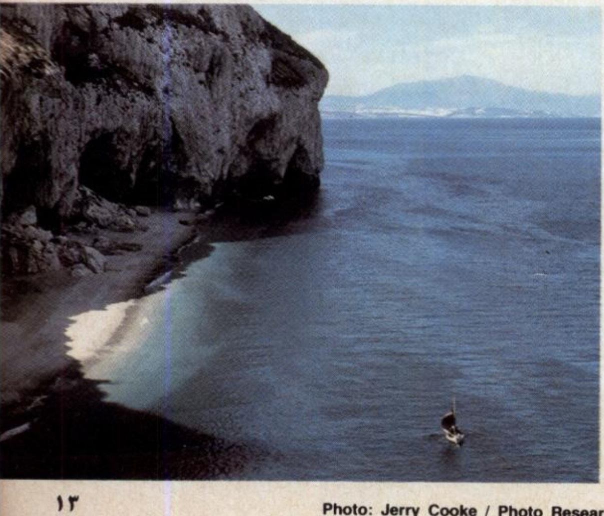

Photo: Jerry Cooke / Photo Researchers

ساحة جون ماكنتوش المعروفة بـ"بياتزا."

"نقطة أوروبا." ومن هذا الرأس الصخري نواجه، عبر المضيق، قمم جبل أبيلا الضبابية في المغرب. هنا على هذا الرأس الذي تعصف فيه الرياح، بالقرب من المنارة الجاثمة المضلّعة، يلعب الجنود البريطانيون الكريكت (١).

على حدود الجانب الغربي المكتظ من الصخرة، وعلى علو حوالى ٢٤٠ متراً داخل الجرف الكلسي العالي، كهف من غُرَف مصفوفة تحت الارض حيث كان أناس ما قبل التاريخ يعيشون قبل ٤٠ ألف سنة ونيف. هذا الكهف المخيف المردّد للصدى والغني بالهوابط (٢) المتدلية من سقفه والمزخرف بأقواس وأفاريز وركائز طبيعية، يزيد طوله على ٧٦ متراً. غرفه الباردة كانت تستعمل لخزن الاغذية والذخائر، وكمستشفى في الحرب العالمية الثانية، وأخيراً كقاعة متألقة للحفلات الموسيقية.

أبعد من ذلك، الى جانب أحد الجدران المراكشية القديمة، تقع منطقة قرود جبل طارق، وهي قرود بلا أذناب (نسانيس الغابات). انها الوحيدة التي لا تزال طليقة في اوروبا، وهي ليست جالبة حظ للصخرة فحسب، لكنها أيضاً لب اسطورة. وقد قيل اذا ما اختفت القرود انتهت السيادة البريطانية على جبل طارق!

حكم ذاتي – في الطريق الى المدينة نقود السيارة نزولا في منحدر حاد بمحاذاة الميناء البهية الساحرة البالغ طولها ثلاثة كيلومترات. الى جانب المنحدر الغربي يقوم مبنى مديرية جبل طارق وهو أنيق وذو سلالم شديدة الانحدار، انه مزيج نادر من العمل العسكري البريطاني والهندسة المعمارية المتوسطية. أبنية الحكومة ذات طابع استعماري فخم،

(١) الكريكت لعبة بالكرة والمضرب.
(٢) الهوابط رواسب كلسية مدلاة من سقوف المغاور.

Photos: Carl Frank / Photo Researchers

مزدانة بأعمدة وواجهات فاخرة، في حين ان عدداً كبيراً من المنازل الخاصة مزخرف بشرفات منسقة من الحديد المطروق ونوافذ ذات كوى لخروج الدخان والهواء الفاسد، وذلك تذكراً بمنازل برايتون في بريطانيا.

الالوان الرئيسية الطاغية هي الوردي المتوسطي والعاجي والازرق الفاتح المصقول. بين اشجار البرتقال الكلية الحضور وخمائل البوغنفيلية الارجوانية يجد الزائر غرف هاتف قرمزية ودكاكين سمك وبطاطا مقلية وشوارع تحمل أسماء مثل "طريق البرلمان" و"الطريق الملكية الانكليزية." كُرى المدافع تستعمل كمقاعد استراحة ومواطىء للاقدام. ورايات الاتحاد تخفق فوق كل عمود.

مع ان الصخرة لم تشهد معركة حاسمة منذ ٢٠٠ سنة فالوضع ليس دائماً أنيساً. استولى البريطانيون فعلا على الصخرة عام ١٧٠٤. وبموجب أحكام معاهدة أوترخت أصبح جبل طارق بريطانياً على نحو دائم. وعلى مر السنين بدأت اسبانيا تستنكر وجود هذه المقاطعة الغريبة على مدخلها.

الديكتاتور الاسباني فرنسيسكو فرنكو أغاظته زيارة الملكة اليزابيت جبل طارق عام ١٩٥٤، فقرر أن الوقت حان لاستعادة الصخرة. وضع قيوداً على حركة التنقل والتجارة عبر الحدود. لكن سكان جبل طارق لم يرضخوا للتخويف. وفي استفتاء أجري عام ١٩٦٧ توجه ٩٥ في المئة من السكان الى صناديق الاقتراع. ١٢،١٣٨ منهم صوتوا للبقاء مع بريطانيا و٤٤ فقط صوتوا للاتحاد مع اسبانيا. أما فرنكو فرفض الاصغاء الى هذه النتيجة.

كُشِفت الاوراق بعد سنتين عندما منح البريطانيون سكان جبل طارق حكما ذاتياً جزئياً. في ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٦٩ أمر فرنكو باغلاق الحدود، فكانت النتيجة أن اكثر من ٤٠٠ اسباني سيىء الحظ خسروا أعمالهم في جبل طارق. وهكذا بدأ الحصار الخامس عشر للصخرة وهو الاطول. انعزل جبل طارق عن العالم الا عن المراكب السياحية المبحرة الى شمال افريقيا وأربع رحلات طيران أسبوعية من بريطانيا. حتى خطوط الهاتف قطعت. وتدهور اقتصاد الصخرة واهتزت النفوس، ولكن ظل السكان الشجعان ثابتين. وبعد موت فرنكو عام ١٩٧٥ جرت محاولات مصطنعة لفتح الحدود، لكن فتحها كاملا

منظر للشاطىء من "نقطة أوروبا".

أعيد في ٥ فبراير (شباط) ١٩٨٥. ذاك الحصار الخامس عشر، الانتقامي، دمّر الاقتصاد وجعل الحياة متعبة، لكنه بلور شعور الشعب تجاه هويته الخاصة.

آمال مستقبلية – سكان جبل طارق، اليوم، مزيج غير مألوف من الانغلوسكسون واللاتين. ويلاحظ صديقي المحامي بيتر ايزولا ما يأتي: "نحن في الاساس شعب متوسطي، لكننا نراعي علاقاتنا العريقة مع بريطانيا." وهكذا هم يستسيغون فطائر اللحم والكلي والشاي الذي لا حد له، ويلعبون الكريكت ويمارسون رمي السهام وينظرون الى بريطانيا كوطنهم الام، لكنهم أيضاً يحبون الموسيقى الشعبية الاندلسية (فلامنكو) وغالباً ما يفضلون أكلة البايلا على لحم البقر المشوي.

على رغم أصول الجالية المتعددة الالوان فليس ثمة توتر عرقي أو مذهبي. الجرائم الخطيرة لا تذكر (ثلاث جرائم قتل فقط حصلت في العقد الماضي). كل فرد يتجول بأمان في أي وقت. التضخم المالي بلغ ٤،٤ في المئة والبطالة ٤ في المئة. لكل أربعة اشخاص تلفاز، ولكل ٢،٦ هاتف، ولكل ١٣ سيارة.

للصخرة مشاكل اجتماعية. سكانها يعانون ما يسمى "الداء الانكليزي": توقعات كبيرة جداً وجهد قليل جداً ورفاه وافر جداً. الاجور عالية والانتاج منخفض والاتحادات النقابية عنيدة. الحكومة تستخدم أكثر من نصف القوى العاملة البالغ عدد أفرادها ١١،٩٠٠، وتدفع لهم الاجور التي تدفع للبريطانيين، وهي أعلى مما يدفع في الجارة اسبانيا. والى أربع سنوات خلت كان جبل طارق من دون حماية اقتصادية بمعدل ٥٠ في المئة. ومنذ ذلك الوقت انخفض الاتكال المفرط الى ٤٠ في المئة، ومعظم ذلك نتيجة ازدياد السياحة والشحن التجاري البحري. والآن، في اشراف بريطانيا ورئيس الوزراء السير جوشوا حسّان، تحضر خطة لتقدم مثلث الاتجاهات: ترميم البواخر، رفع الدخل، انماء السياحة.

المستقبل يبدو مؤملا. ومع أن الشحن البحري العالمي هو في تدهور والتنافس العالمي عنيف، فدورة العمل والنشاط تبعث الانتعاش. مصارف جديدة ومؤسسات استثمار وشركات محاسبة انتقلت الى هنا كما انتقلت شركات للدماغ الالكتروني والاعمال المعلوماتية وتجهيزات المكاتب. والحكومة تقدم الى المستثمرين والمودعين ضمانات أفضل. أما جبل طارق، فبالدور المخطط له كمركز للمؤتمرات والتسوّق يمكنه أن يصبح برمودا ثانية أو موناكو ثانية.

معظم الآمال المستقبلية معلق على السياحة. الصخرة منذ الان تتباهى بعناصرها الثلاثة، بحر وشمس ورمال، الى جمالها الطبيعي وتاريخها الفاتن. وهي تشكل موقعاً طبيعياً قريباً من اسبانيا وشمال افريقيا. ويقول وزير السياحة هوراس زاميت: "لكنَّ السيدة العجوز تحتاج أيضاً الى شد وجه والى كثير من التجميل."

هنالك الآن طوف من المشاريع، أحدها ازالة الوجود العسكري. يقول حسان: "ثروتنا الوحيدة هي الارض، فكل ما

تتنحى عنه القوات المسلحة يصبح مفيداً للتطور."

وتبقى الحاجة الى قدوم سياح. بعضهم يأتي من اسبانيا بمعدل ٥٠٠٠ أسبوعياً، وآخرون من طريق ٣٥ رحلة طيران اسبوعية خلال اشهر الصيف ومن طريق المراكب السياحية الآتية من طنجة في المغرب. وهكذا بدأ أهالي جبل طارق يحسنون مخازن شارعهم الرئيسي ويجددون الملهى الكبير ويفتحون مطاعم جديدة ويبنون سوقاً تجارية حديثة. وقد أنفق ٨٥٠ الف جنيه استرليني (١،٤ مليون دولار) على اصلاح شبكة القطار السلكي الكهربائي (٣). وفي ما يتعلق بالتسهيلات السياحية يخطط لانشاء فندقين فخمين ومرافىء صغيرة للمراكب السياحية.

قبل الغروب بساعة، ست مرات في العام، تخترق الشارع الرئيسي في جبل طارق فصيلة عسكرية ترافقها فرقة من موسيقى الجيش. وفي ساحة الاستحكامات يقدم الجنود عرضاً عسكرياً يتضمن كثيراً من ضرب الارجل بالارض وتأدية التحية ونفخ الابواق واطلاق المدافع والسير الى الامام والى الوراء. بعد ذلك يتسلّم الحاكم ثلاثة مفاتيح قديمة خاصة بالاحتفالات الرسمية ويخطب في الجمع مؤكداً: "القلعة أمينة وكل شيء حسن."

جبل طارق سيبقى!

كريستوفر لوكاس

(٣) Cable car

ملاحظة من التحرير: كان جبل طارق يُعرف قديماً كأحد أعمدة هرقل. سُمّي "جبل طارق" تخليداً لذكرى القائد العربي طارق بن زياد الذي احتله عام ٧١١ قادماً من شمال افريقيا، وبدأ عبره احتلال اسبانيا. ظل في أيدي العرب حتى الاحتلال الاسباني في القرن الخامس عشر.

متاعب الاسماء

احدى لاعبات كرة المضرب الشهيرات كانت تسافر على الدوام. وهي ملَّت تهجئة اسمها لموظفي الاستقبال في الفنادق. وذات مرة قالت لاحدهم بنفاد صبر: اسمي مدوَّن على حقيبتي."

مضت ثلاثة أيام لم تتلق اللاعبة خلالها أي مكالمة، فراجعت مكتب الاستقبال مستوضحة طريقة تسجيل اسمها، فاذا بها تجده مكتوباً: "الآنسة جلدة البقرة الانكليزية."

ج.أ

سيارة سحرية

قال البائع لزبونه الكهل وهو يعرض له سيارة سباق زاهية: "في ستين ثانية تحولك هذه السيارة من ابن خمسين عاماً الى ابن عشرين."

ف.س.

يعقوب (الى اقصى الطاولة) وفريقه أثناء عملهم في غرفة العمليات.

مَجْدي يَعقوبْ جَرّاح عَربي يشغل العَالم

حذق هذا الجراح ورؤياه أنقذا ألوف المرضى الذين زرع لهم قلوباً

في مستشفى هيرفيلد أُعدت الفتاة ديبي ليونارد (١٩ عاماً) لاجراء احدى الجراحات الاكثر تعقيداً في بريطانيا. انها عملية زرع قلب ورئتين. لقد تسبب ثقب في قلب ديبي منذ ولادتها في جريان الدم عبر رئتيها بضغط مرتفع، وأدى ذلك الى تغلظ الرئتين، ففدا استنشاق الاوكسجين عسيراً. لم يكن في وسعها أن تمشي مسافة ١١٠ أمتار من دون أن تلهث. أما اليوم، بعد انتظار دام ثمانية أشهر، فقد توافر واهب لقلبه ورئتيه.

Photos: Ian Yeomans

داخل مستشفى يبعد ٣٠ كيلومتراً الى الجنوب من لندن كان جراح القلب مجدي يعقوب يترقب مكالمة هاتفية تنبئه بأن ديبي باتت في غرفة العمليات. قبل تسعة عشر شهراً كان الطبيب المصري المولد أجرى أولى جراحات زرع القلب والرئة في بريطانيا. وهذه التي كان سيجريها في ٣ يوليو (تموز) ١٩٨٥ هي الخامسة عشرة من جراحاته والأولى التي لم ينزل فيها الواهب والمتلقي في مستشفى واحد. وللتغلب على هذه المعضلة رأس يعقوب فريقه الطبي الذي عمد الى تصميم آلة نقالة(★) تتولى وظائف واهب تلف دماغه لمساعدة الاعضاء المزروعة.

ما ان وردت المكالمة الهاتفية حتى شرع يعقوب في نزع قلب الواهب ورئتيه. كل لحظة حاسمة الآن. وضّب يعقوب الاعضاء الغالية في الجهاز النقال المبرد، وهو في حجم صندوق النزهات، وركب طوافة انتظرته خارج المستشفى. وفي غضون ١٤ دقيقة كان في مستشفى هيرفيلد. وبعد أربع دقائق كان يعقوب نظيفاً يقحم ذراعيه في رداء الجراحة الأزرق.

بدأت أربع ساعات من الجراحة الدقيقة ينفذها فريق يزيد تعداده على ٤٠ جراحاً وطبيباً مخدراً وممرضاً وفنياً. استلزم الأمر إزالة قلب ديبي ورئتيها بعناية بالغة، خصوصاً عند قطع الأعصاب المنحدرة من خلف العنق. فأي زلة طفيفة للمدية المستعملة تؤثر في تنفس ديبي وبلعها، وقد تؤدي الى شل أوتارها الصوتية. من ثم ينبغي وصل القلب والرئتين بجهد كبير. غمغم يعقوب فيما القطب تنغرس: "انه مشهد خلاب... المطابقة تامة!"

في الثالثة صباحاً نقلت ديبي الى حجرة العناية الفائقة. وفي الحادية عشرة ظهراً انتزع أنبوب الهواء من حنجرتها وعادت تتنفس طبيعياً. رئتاها الجديدتان تؤديان وظيفتهما على خير وجه، وما زالتا كذلك.

كانت تلك الجراحة ليعقوب واعضاء فريقه ظفرا آخر. فهم اذ اثبتوا امكان نقل الرئتين والقلب وزرعها، زادوا من حظوظ المرضى الآخرين الذين يترقبون اجراء جراحات مماثلة. ومنذ ذلك الحين أحضرت أعضاء موهوبة من أمكنة نائية بلغت اوستراليا.

عمل متواصل - مجدي يعقوب (٥١ عاماً) رجل قوي البنية يبلغ طوله ١٨٠ سنتيمتراً وله عينان بنيتان ثاقبتان، ولعله الجراح الاكثر انشغالا ونجاحاً في زرع الاعضاء.

منذ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ أجرى يعقوب قرابة ٣٧٠ جراحة زرع للقلب والرئتين في هيرفيلد لمرضى ما زال ٤٤٥ منهم قيد الحياة. وبفضل الخبرة الشاملة التي حازها فريقه اختصر مكوث المريض في هيرفيلد من ثمانية أسابيع الى ١٨ يوماً، وانخفضت بذلك الكلفة من ٢٥ ألف جنيه استرليني الى ثمانية آلاف. وأهم من ذلك أن فرص الحياة لأكثر من ثلاث سنوات ازدادت ثلاثة أضعاف لتبلغ ٧٥ في المئة. ويتوقع يعقوب أن يعيش

(١) Portable heart — lung bypass machine

سبعة من كل عشرة من مرضاه الحاليين خمس سنوات أو أكثر.

لقد حبا الله الدكتور يعقوب طاقة غير عادية، فجعله يواصل العمل فيما يتساقط الآخرون من العياء. انه ينجز نحو ٩٠٠ جراحة قلب سنوياً في مستشفيين للخدمات الصحية الوطنية في هيرفيلد وفي عيادتين خاصتين.

وجراحات الزرع ملحّة تدفعه الى العمل الى ساعات متقدمة من الليل.

ذات مرة عمل طوال الليل في هيرفيلد ثم قاد سيارته الى لندن لاحضار قلب واهب. ولدى عودته الى هيرفيلد زرع القلب وفرغ من عمله قرابة منتصف الليل. وفيما هو يغادر المكان علم أن ثمة قلباً آخر غدا متوافراً في غلوسترشاير. فأقلته سيارة الى مهبط ايلستري المجاور حيث كانت طوافة صغيرة في انتظاره. وفي الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين صباحاً عاد الى هيرفيلد لاجراء جراحة زرع ثانية. وفي السابعة والدقيقة السابعة عشرة أنهى عمله وبات في وسعه أن يؤوب الى منزله في ايلنغ غرب لندن ليخطف ساعة من النوم قبل ان يبدأ يوم عمل متواصلا آخر في المستشفى الوطني للقلب.

العمل ساعات طوالا لا يترك ليعقوب سوى وقت ضئيل يمضيه مع أسرته، زوجته ماريان وابنه أندرو وابنتيه ليزا وصوفي، او يخصصه لممارسة هواية زراعة الاوركيديا. ويعقوب هاو للموسيقى يصغي إليها حين يقود سيارته متنقلا بين المستشفيات أو في نهايات الجراحات الطويلة، اذ يُتم الخياطة الرتيبة على أنغام باخ وآرني وفيفالدي وتيليمان وموزار.

ولا تعني اجازات يعقوب انقطاعاً تاماً عن العمل. فذات صباح في جامايكا فيما هو وعائلته على الشاطىء، سمع أزيز طوافة تقترب. وسرعان ما أصبح يعقوب على متنها متمايلا صوب أحد المستشفيات المحلية ليمضي بضع ساعات في جراحة كبرى.

"سينقذ حياتي" - لا تشغل جراحات الزرع اكثر من ١٥ في المئة من عمل يعقوب. ويقول فيرغوس ماكارتني الاستاذ المتخصص بقلوب الاطفال في مستشفى لندن الكبير بشارع اورموند: "حتى لو لم تكن زراعة القلب استحدثت بعد، يعتبر مجدي يعقوب أحد جراحي القلب البارزين في عصرنا. ولا يخطر لي أحد سواه ساهم مثله في الميادين المتنوعة لجراحة القلب."

ومأثرته الاكثر سحراً هي في جراحة تصحيح وضع الشرايين الكبيرة، وبيانها علة خِلقية شنيعة اذ يولد الطفل بشريان اورطي يرتفع من البطين الأيمن للقلب، فيما يأتي الشريان الرئوي من الجهة اليسرى. والطبيعي عكس ذلك. واذ تدبر الجراحون الامر في السابق محافظين على حياة المصاب بشق قناة بين أذيني القلب، كان يعقوب على اقتناع بأن التقنية التي لم تجرب كثيراً، وهي تغيير موضع الشريانين الموجودين في أماكن غير ملائمة، تمنح المصابين حياة أطول وأفضل.

هذه الجراحة التي يفضل اجراؤها بعيد

الولادة هي أكثر ارهاقاً من أي جراحة زرع أخرى، وتستغرق ثماني ساعات في غرفة العمليات حيث تجرى على قلب في حجم جوزة، فيرتق الشريانان اللذان لا يزيد حجمهما على حجم أنابيب مص الشراب. غير أن يعقوب أنجز أكثر من ١٥٠ جراحة كهذه وبلغت نسبة البقاء على قيد الحياة بين مرضاه ٨٠ في المئة.

أسلوب مجدي يعقوب يذهل الجراحين المتمرسين. ويقول الاستـاذ دزمونـد جوليان المدير الطبي في المؤسسة البريطانية للقلب: "يتسم يعقوب بمزية نادرة تعلي شأن الجراحة من الامتياز التقني الى مستوى البراعة الفنية."

ان اطراء كهذا يجعل يعقوب يجفل مرتبكاً. فهو رجل منطو ومتواضع، نادراً ما يوافق على اجراء مقابلات أو أحاديث صحافية، وحين يفعل يشترط أن يقتصر الحديث على عمله الطبي. وهو يقول لمحدثه باصرار: "ينبغي أن تجري أحاديث مع أعضاء فريقي الطبي. تحدث الى مرضاي، فهم القضية الحقيقية."

ومن المرضى الذين حوَّل يعقوب حياتهم كين بينفيلد (٥٥ عاماً) الذي أحضر الى مستشفى هيرفيلد لاجراء زرع في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١. وهو تعرض لكثير من النوبات القلبية كانت أولاها عام ١٩٦٩، فكف عن تعدادها. وقبل سبعة أشهر من اخضاعه للجراحة لم يعد يقوى على ادارة مطبعته. وفي الأسابيع السبعة الاخيرة كان طريح الفراش: "غير اني في لقائي الاول ليعقوب أيقنت أن هذا الرجل سينقذ حياتي."

بعد انتهاء الجراحة كان يعقوب يهرع الى مساعدته. ويذكر بينفيلد: "كان لا يفرغ من الجراحة أحياناً الا بعد منتصف الليل. ولا ريب في أنه كان مرهقاً حتى عظامه. ولكن كانت لديه دوماً فسحة من الوقت لمحادثتي عن المخاوف التي تنتابني، فينقل إلي بعضاً من روحه النضالية. إنه يعامل كل عليل وكأنه المريض الأوحد في العالم."

كبير الجراحين – مجدي يعقوب المولود في شمال مصر عزم في سن مبكرة على أن يكون جراحاً. درس في جامعة القاهرة حيث فـاز بجميع الجـوائز المخصصة لامثاله، وتدرب بعد نيله درجة الدكتوراه في الطب، في مستشفى جامعة كوبنهاغن بالدانمرك والتحق عام ١٩٦٢ بمستشفى برومتون في لندن.

في وقت لاحق من ذلك العام قرر يعقوب أن يعزز فرص فوزه بمنحة جامعية في الكلية الملكية للجراحين بتقدمه الى الامتحانات الصعبة في ثلاث كليات ملكية في لندن وغلاسكو وادنبره. ونجح في امتحانات الكليات الثلاث وهو في السادسة والعشرين من العمر.

جراحات يعقوب بالغة الاتقان بحيث يصعب ألا تثير الاهتمام. يقول عالم القلب الدكتور مالكوم تاورز وهو من أصدقاء يعقوب الخلص منذ أيامه الاولى في مستشفى برومتون: "حتى ذلك الحين كان مجدي جراحاً مفكراً. ولم يكتف ببراعته بل كان يجرب الأمور الجديدة دوماً متسائلا عن جدوى التقنيات المعتمدة."

عام ١٩٦٨ عرض على يعقوب منصب كبير جراحي القلب في هيرفيلد. وكان عقد اتفاقاً لتمضية سنة في الولايات المتحدة استاذاً مساعداً في جراحة القلب والصدر بجامعة شيكاغو. لكن الاطباء في هيرفيلد كانوا شديدي التوق الى انضمامه إليهم فوافقوا على انتظاره سنة أخرى.

حين تسلم يعقوب منصبه في أغسطس (آب) ١٩٦٩ كان الدكتور تاورز مستشاراً في شؤون القلب في هيرفيلد، وكان أدرج هناك قرابة ٤٠ مريضاً في لائحة كي تجرى لهم جراحات معقدة في صمام القلب. وهذا، في ظنه، سيشغل كبير الجراحين الجديد شهرين أو ثلاثة أشهر. لكن مجدي أنهى مهمته في شهر واحد.

عندما قام يعقوب بمحاولته الأولى للزرع عام ١٩٧٣ توفي مريضه. فعمد خلال السنوات القليلة التالية الى إنشاء فريق علمي من الطراز الاول ضم اختصاصيين بعلم الامراض والانسجة والتقنية الطبية. وبمعونة هذا الفريق أفاد من العقاقير الجديدة المضادة لرفض الجسد الاعضاء الدخيلة، ومن التقنيات الأخرى التي خفضت مخاطر زرع الاعضاء إلى حد كبير بحلول العام ١٩٨٠.

آفاق جديدة – في ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ أجرى يعقوب أول جراحة ناجحة لزرع القلب، وأتبعها في مايو (أيار) ١٩٨١ بأول زرع في بريطانيا يبقى فيها القلب الأصلي للمريض في موضعه. وفي ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٣ أجرى أول جراحة لزرع القلب والرئتين في بريطانيا.

هذه النجاحات المبكرة في ميدان زرع الاعضاء عكرتها المصاعب المالية الهائلة، اذ لم تساهم وزارة الصحة البريطانية في دعمها مالياً طوال السنوات الثلاث الأولى. وبغية اجتذاب الأموال من مصادر خاصة شكل اتحاد لزرع القلب في هيرفيلد، وقد جمع الى الآن قرابة مليونين ونصف مليون جنيه استرليني. وتبرع يعقوب ومساعدوه الى الاتحاد بأتعابهم من معاينة المرضى الاجانب كي تتسنى معالجة عدد اكبر من المرضى البريطانيين. وحين برزت الحاجة ماسة الى معدات متطورة دفع يعقوب ثمنها من جيبه الخاص.

وحسبما يذكر جراح القلب والصدر ألان ريس: "كان النقاش ما زال مستعراً حول جدوى زرع الاعضاء وكلفته وملاءمته. وما كان لأحد سوى من هو في منزلة يعقوب أن يملك البصيرة والقوة ليستمر في الكفاح على رغم نقص المال والموظفين الاداريين والمختبرات. أما الآن وقد غدا زرع القلب أمراً مألوفاً فمن السهل التغاضي عن العقبات التي اجتزناها خلال السنوات الست الماضية."

وما زالت هناك عدة معارك تنتظر من يخوضها. يقول الدكتور تاورز: "احدى السمات المحببة في مجدي هي أنه يواصل النضال ليبقي المريض حياً."

ولم يكن هناك أمرّ من ذلك الكفاح في أغسطس (آب) ١٩٨٤ وانقاذ حياة هولي روفاي (عشر سنين) المولودة بنصف قلب. وقد أصيبت بعد جراحة الزرع

بمضاعفات في أمعائها أعقبتها مشاكل في كليتيها ورئتيها.

تبرع أفراد فريق يعقوب بدمهم ليبقوها حية. ولكن بعد مضي ١٨ يوماً على الجراحة توفيت هولي الصغيرة في خضم انتقادات لاذعة من الصحافة وأصحاب المهنة حول "العلاج التجريبي الباهظ التكاليف."

أقر يعقوب برباطة جأش: "كانت العملية تجريبية فعلا. لكن التقدم في الجراحة هو كذلك. ينبغي أن تستمر آفاق الاكتشافات الطبية في التقدم."

وبعد أكثر من سنة أثار يعقوب الانتقادات ثانية حين أجرى زرعاً ناجحاً لقلب ورئتين في جسم جايمي غافن (٣ سنوات) وهي أصغر متلقٍ تجرى له مثل هذه الجراحة. في هذه الاثناء كانت سيرة يعقوب المهنية تجتاز أفقاً آخر. فقد عين أستاذاً أول لجراحة القلب والصدر في معهد لندن للقلب والرئة. ومن المقرر أن يصبح المعهد عند اتمامه المستشفى الاكبر في اوروبا للقلب والرئة.

المريض كين بينفيلد الذي زُرع له قلب قد يتحدث الى آخرين لا يحصون معبراً عن امتنانه لمجدي يعقوب: "لم يمنحني خمس سنوات من الحياة الرائعة فحسب، إنه جمع بين التفاني والخبرة والتواضع فجعل الابعاد الحقيقية لعظمة الانسان ماثلة أمامنا."

ديفيد مولر

زوجة لا ترحم

قال الطبيب لمريضه: "شكلك مخيف، عليك أن تعمل شيئاً بخصوصه. أولا، قل لزوجتك أن تطبخ لك طعاماً مغذياً. وأنت، توقف عن العمل كحمار. أخبر زوجتك أيضاً أنك ستضع موازنة للمصروف وأن عليها التزامها. اجعلها تبعد الاطفال عن ظهرك كي يتسنى لك الاسترخاء. واذا لم يحدث بعض التغير في حياتك فقد تموت خلال شهر."

فرد المريض: "يا دكتور، سيكون هذا الكلام رسمياً أكثر اذا ما جاء منك. فهلّا اتصلت بزوجتي وبلغتها هذه التعليمات؟"

عندما وصل الرجل الى منزله اندفعت اليه زوجته مولولة: "تكلمت مع طبيبك أيها المسكين، ستموت بعد ثلاثين يوماً."

ج.د.

فكاهي مظلوم

قال الفكاهي روبرت أوربن: "الحياة ظالمة. أضعت مفاتيح سيارتي وأنا ألعب بالكرة ولم أعثر عليها أبداً. أضعت نظارتي الشمسية في المسبح ولم أجدها. أضعت جواربي في الغسالة ولم أرها ثانية. أضعت كيلوغرامين في حمية، فاسترجعتهما زائدين ثلاثة."

كم من القمح يزرع في الارجنتين؟ أين النحاس في اسبانيا؟
ماذا يحدث للثروات المائية في الصين؟
آلاف من الاسئلة تجيب عنها "العيون" الساهرة في الفضاء

عُيونُ الفضَاء تنكشُ الأرضْ

□ تبدو تلك "الصور الفوتوغرافية" للعين غير المتمرنة غنية بالالوان وخالية من المعاني. فهي مأخوذة من قمر اصطناعي يبعد ٩٢٠ كيلومتراً عن الارض، وتظهر شمال شرق أوستراليا بألوان من صنع الدماغ الالكتروني. لكنها تكشف لعالم الجغرافيا ج.ج. هيل من جامعة كوينز لاند معلومات كثيرة عن مشكلة الكنغر.

في أواخر السبعينات كسدت سوق لحم الكنغر وجلده فانحسر الصيد التجاري لهذا الحيوان. وهدد ارتفاع أعداد الكنغر بمنافسة الحيوانات الاليفة على العلف. فما مدى خطورة هذا التهديد؟ لم يكن القيمون على الحياة الحيوانية البرية متأكدين من الامر، فهم في حاجة الى دراسة شاملة للحياة النباتية التي يتشارك فيها الكنغر مع الحيوانات الأليفة.

التقاط صور جوية لملايين الكيلومترات المربعة بدا غير عملي. لذا اشترى هيل وزملاؤه ١٥ صورة من تلك التي التقطها القمر الاصطناعي الامريكي "لاندسات." حددت هذه الصور مواقع الغابات والمراعي والمحاصيل، حتى أنها ميزت بين الشجيرات والأعشاب والأراضي القاحلة. وبفضل الخريطة البيئية التي رسمها العلماء، إضافة الى المسح الجوي السنوي للاراضي، تمكنوا من مراقبة أعداد الكنغر. وبتغطية من القمر الاصطناعي سيتوصلون الى فهم اسباب التنافس بين الكنغر والحيوانات الأليفة وتخطيط طريقة مأمونة لابعاد الكنغر من غير تشكيل أي خطر على حياته.

□ غابة لاندس في جنوب غرب فرنسا هي أكبر موقع للأشجار "من صنع الانسان" وتبلغ مساحتها مليون هكتار. وهي معرضة كغيرها من الغابات لتفشي الآفات والحشرات. ولكن في السنوات المقبلة سيتمكن القيمون عليها من القضاء على هذه المشاكل في مهدها. فإنهم يمسكون بخيوطها عبر مراقبة التغيرات الدقيقة في ألوان الصور المأخوذة من القمر الفرنسي "سبوت".

□ حلت الحكومة الباكستانية مشكلة زحمة الشحن التي غرقت فيها كراتشي بتشييد مرفأ قاسم. وكان المهندسون في حاجة ماسة الى معلومات عن التيارات الساحلية في دلتا نهر السند (الهندوس) الكثير التقلب الذي ستعبره السفن. فوجدوا الحل من خلال صور "لاندسات" عبر الدماغ الالكتروني، وحددوا موقع المرفأ العتيد شرق كراتشي.

هـذه أمثلة قليلة على التطبيقات المتزايدة لعملية "التحسس عن بعد"(١) التي تجدد دراسة الأرض وثرواتها. فالحكومات والمؤسسات والجامعات في كل بلد تقريباً تضع هذه التقنية قيد التطبيق.

مفتاح التحسس عن بعد هو الشمس وطريقة انعكاس أشعتها ذات الموجات المختلفة الطول على عناصر الأرض ومعالمها. مثال على ذلك الليمونيت، وهو نوع من أكسيد الحديد يعكس الضوء بموجات طولية واضحة المعالم. ان معادن من هذا النوع غالباً ما تدل على عروق النحاس والرصاص والزنك. أما كربونات الكلسيوم، أو الكلسيت، فتعكس علامات عدة مشيرة الى تراكم حجر الكلس وغيره من الصخور الرسوبية التي تدل بدورها على مستودعات النفط والغاز الطبيعي. وعلى نحو مماثل تنبعث الأشعة تحت الحمراء، غير المرئية، من الأجسام الحارة كالبراكين الناشطة والأبنية المدفأة وحتى قطعان الحيوانات البرية. فلكل شيء على الأرض موجة ضوئية خاصة مثل "بصمة الاصبع."

أطياف وألوان – خلال الحرب العالمية الثانية شاع استعمال آلات التصوير بالأشعة تحت الحمراء في الطائرات لمراقبة الدبابات المموهة والجنود. ولاحقاً في زمن السلم استعملت آلات التصوير تلك، والرادار، لدراسة معالم الارض. لكن المسح الجوي تطلب عشرات الصور لتغطية مساحة صغيرة، كما أن تقلبات الطقس والضوء أعاقت التغطية المنتظمة.

(١) Remote sensing

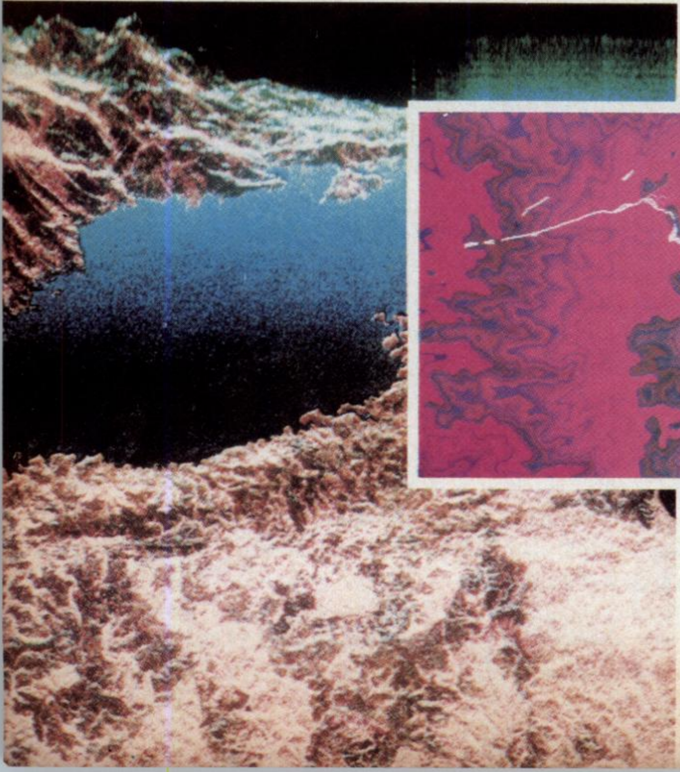

NASA / ERL / NSTL

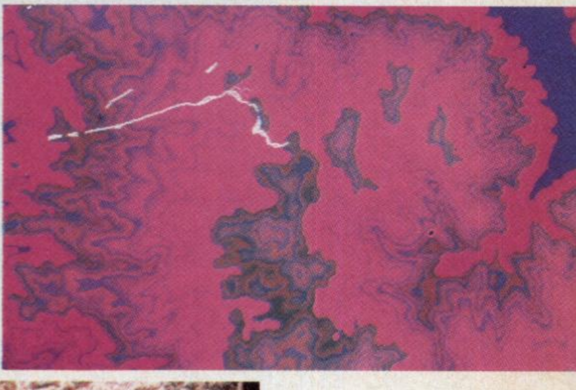

صورة طوبوغرافية لغابة ماطرة حول بحيرة أرينال في كوستاريكا.
والصورة، فوق، معالجة بالدماغ الالكتروني وتظهر، بالابيض، دروباً تعود الى ما قبل التاريخ تحت ظلة الشجر والرماد البركاني.

خريطة "لاندسات" لحوض قيدام العربي في الصين، وتظهر فيها مواقع صدوع في الارض قد تكون مفاتيح لاكتشاف النفط.

وحُلت المشكلتان بواسطة "لاندسات - ١" الذي أطلق في يوليو (تموز) ١٩٧٢. كان ذلك القمر الاصطناعي يكمل دورته حول الارض في ١٠٣ دقائق ويكرر رحلته كل ١٨ يوماً، فيمر بالموقع الأرضي نفسه في الوقت المحلي نفسه ملتقطاً الصور من زاوية الشمس نفسها في كل دورة. ومع أن الغيوم حجبت الرؤية بعض الأحيان فقد ضمنت التغطية المتكررة الحصول على صور واضحة. وشملت كل صورة مساحة ٣٤٢٢٥ كيلومتراً مربعاً كاشفة تفاصيل صغيرة الى حد الثمانين متراً. ثم أطلق "لاندسات - ٢" و"لاندسات - ٣" في العامين ١٩٧٥ و١٩٧٨ وأعطيا نتائج مماثلة. أما "لاندسات - ٤" و"لاندسات - ٥" اللذان أطلقا في الثمانينات فأظهرا أجساماً صغيرة حتى الثلاثين متراً وتحققا من تغيرات أكثر دقة في القوة الضوئية.

تحوَّل معلومات لاندسات أرقاماً إلكترونية وترسل الى محطات أرضية حيث تسجل على أشرطة مغناطيسية ثم تعالج في الدماغ الالكتروني وتتحول صوراً سلبية لأفلام بالأبيض والأسود، واحدة لكل نطاق طيفي. ولمزيد من الوضوح يمكن تشكيل مركّبات زائفة الألوان(٢) بتعيين مقدار نسبي لاشراق اللون(٣) لتمثيل الأجسام والظروف المختلفة.

---

(٢) False — color composites

(٣) Color values

فتبدو المياه العميقة والصافية باللون الاسود بينما تبدو المياه الضحلة والمحملة رواسب باللون الأزرق. ويدل اللون الأحمر على الحياة النباتية، وكل تغير في الأحمر يشير الى تعدد أصناف النباتات أو اختلاف صحتها. أما المدن فتظهر بالأزرق الفاتح والزاهي.

أقمار متعددة الجنسية – ما زالت الحكومة الامريكية المزوِّدة الأولى لمعطيات التحسس عن بعد. وبما أن "لاندسات – ٤" و"لاندسات – ٥" هما القمران الوحيدان العاملان، فكل المعلومات من الرحلات السابقة متوافرة في "مركز المعطيات لأجهزة مراقبة ثروات الأرض"(٤) في سيو فالز بداكوتا الجنوبية أو من خلال مراكز التوزيع في البرازيل وكندا وايطاليا وأسوج (السويد) واليابان والهند وأوستراليا والارجنتين وجنوب افريقيا وتايلاند وجمهورية الصين الشعبية والمملكة العربية السعودية.

وهناك بلدان أخرى بدأت العمل في هذا الحقل. ففي فبراير (شباط) من العام ١٩٨٦ أطلقت "الوكالة الفرنسية للفضاء" القمر الاصطناعي "سبوت" الخاص بالتحسس عن بعد وذلك بمشاركة بلجيكية وأسوجية.

وفي فبراير (شباط) ١٩٨٧ أطلقت اليابان القمر الاصطناعي "موس – ١" للرصد البحري من أجل مراقبة أحوال المحيطات، كالتيارات وحرارة المياه وتوزع الجليد. وتخطط اليابان لاطلاق قمر تحسس عن بعد في أوائل التسعينات. ولدى الهند أيضاً قمران إختباريان للتحسس عن بعد مزودان آلات تصوير تلفزيونية. وتنوي الهند إطلاق قمر أكثر تطوراً خلال السنة ١٩٨٧ مع جهاز تصوير رباعي النطاقات(٥) يوفر تحاليل ضمن ٣٥ مليمتراً.

وفي حين أن هذه الجهود ستنافس عمل "لاندسات" الامريكي، تبقى الأفضلية للولايات المتحدة في "الرادار التصويري"(٦). وخلافاً للضوء، فان ذبذبة الموجة الصغرى (الميكرويف) للجهاز تخرق الغيوم والغطاء النباتي وحتى التربة.

افادات زراعية – باستعمال الرادار التصويري وجد العلماء "أشباح أنهار" ومجاري جافة لأنهار قديمة تحت رمال الصحراء الشرقية في شمال افريقيا. وكشفت عمليات مسح الأراضي بقايا من نتاج براعة الانسان الحجري. واكتشف عالم الآثار في "وكالة الفضاء الامريكية الوطنية" (ناسا) توم سيفير دروباً للمشاة من عصر ما قبل التاريخ في كوستاريكا حيث انفجر بركان تسع مرات في الماضي. وسافر سيفير الى هناك برفقة بايسون سيتس من جامعة كولورادو، مخترقين الاراضي الوعرة التي تعج بالحشرات والافاعي السامة. هناك اكتشفا "بومبايي الادغال"(٧) التي تعود الى ما قبل ٤٠٠٠ سنة.

لتقنية التحسس عن بعد فوائد جمة. فدراسة بيئة الأرض وتأثير الانسان فيها هي إحدى النقاط الحاسمة والمهمة. فالسد العالي في أسوان، مثلا، يغير مجرى نهر النيل في مصر وشمال السودان. وللمساعدة في تخطيط إداري للنهر، درس العلماء المصريون والامريكيون معطيات "لاندسات" فتعقبوا مظاهر التفتت وأعمال الزراعة على امتداد النيل، كذلك راقبوا النماذج النباتية التي تظهر نتيجة تراكم الرواسب حول سد أسوان. ومع دراسة المعدلات السطحية لنسبة التبخر تمكن المساعدة في منع انتشار بعوض الملاريا والحلزون الذي يحمل دود البلهارسيا.

والتحسس عن بعد وسيلة قيمة في

---

(٤) America's Earth Resources Observation Systems Data Center

(٥) النطاق (Band) نطاق من الذبذبات أو الاطوال الموجية.

(٦) Imaging radar

(٧) بومبايي مدينة رومانية في ايطاليا قرب نابولي على سفح بركان فيزوف دمرتها حممه عام ٧٩. وقد حفظت آثارها وحنطت جثث سكانها في غشاء من رماد متحجر.

Hunting Technical Services Ltd.

صورة معالجة بالدماغ الالكتروني لاقليم كينغز لين في نورفوك ببريطانيا، ظُهِّرت بألوان زائفة للتمييز بين أنواع المحاصيل.

الزراعة. فقد أفادت الارجنتين من معلومات "لاندسات" لتقدير كمية القمح المزروع في إحدى أهم المناطق المنتجة في البلاد. كما أن معلومات مماثلة ساعدت إيطاليا في وضع مخططات لتوقع نتاج القمح.

أما الوكالة الوطنية للتحسس عن بعد في الهند فأفادت من "لاندسات" لمعالجة مشكلة زراعية أخرى هي ملوحة التربة في سهول البنجاب وهاريانا وأوتار براديش وبعض أجزاء ولايتي بيهار وراجستان. فالعمل جاهد لاستصلاح الأتربة الملحية للزراعة، من خلال السكب الضخم للجص. ولأن التحسس عن بعد يظهر وقت تأثر المحاصيل بالملح، فقد لجأ اليه العلماء لقياس التقدم في برنامج عملهم.

لعالم أفضل – يساعد التحسس عن بعد، أيضاً، في فهرسة ثروات طبيعية كالمياه والغابات وفي اكتشاف المعادن والنفط. حتى الثلج يعتبر ثروة طبيعية. فاستناداً الى معلومات "لاندسات" رسمت مجموعة علماء من "المعهد الاتحادي للتكنولوجيا" في زوريخ بسويسرا خريطة تمثل انحسار الغطاء الثلجي في مناطق الألب العليا. والخريطة هذه لا تبين فقط بداية فترات الحياة النباتية في مختلف الارتفاعات، بل تساعد أيضاً في تحديد الطاقة الكامنة(٨) المتراكمة في الغطاء الثلجي. وهذه المعرفة ستتيح زيادة فاعلية توليد الكهرباء من القوة المائية.

واستخدم الكندي كليفورد بانينجر من "مركز غراز للأبحاث" في النمسا معطيات

و...سبوت الفرنسي يتحسس عن بعد

اذا كانت أقمار الولايات المتحدة الاصطناعية "لاندسات" شقّت الطريق التكنولوجية للتحسس عن بعد، ولا تزال عاملة يعتمد عليها في الفضاء، فان القمر الفرنسي "سبوت" هو المتفوق والاحدث صنعاً. فالصور التي تلتقط بواسطته كشفت للعالم أسراراً لم تكن معروفة حتى وقت قصير الا في الاوساط العليا. ان قدرة "سبوت" على تمييز أشياء يصل صغرها الى عشرة امتار من مداره الذي يعلو ٨٣٢ كيلومتراً، اتاحت له أن يكشف مركز ابحاث علمياً في باكستان وقاعدة اطلاق صواريخ في الصين.

صمّم "سبوت" المركز الفرنسي الوطني لابحاث الفضاء وبنته "ماترا" وهي شركة فرنسية قائدة في حقل التكنولوجيا مع خمس عشرة شركة أخرى منها فرنسية وبلجيكية وأسوجية (سويدية) تعمل في امرة المركز الفرنسي الوطني. وأُطلق الى الفضاء بواسطة الصاروخ "آريان" عام ١٩٨٦. يحمل آلتي تصوير ضخمتين يبلغ قطر كل منهما مترين ونصف متر ووزنها ٢٥٠ كيلوغراماً، وفي امكانهما "رؤية" تفاصيل اكثر وأدق من "لاندسات" وفي فترات متكررة... بمعدل صورة كل يومين ونصف يوم في مقابل صورة كل ستة عشر يوماً.

ان المعلومات التي جمعتها آلتا التصوير في "سبوت" وأرسلت الى محطتين أرضيتين رئيسيتين ووضعت في خدمة من يهمهم الامر من الوكالات والافراد، استخدمها رسامو الخرائط وعلماء المحيطات والمنقبون عن المعادن ومهندسو الزراعة وعلماء التخطيط والبيئة. "شبكة الإعلام الفضائية" في استوكهولم بأسوج تربط المعلومات المسجّلة بالابحاث الصحافية وتبيع النتاج الى الصحف والمجلات ومحطات التلفزة في انحاء العالم.

بُعيد وقوع كارثة المفاعل النووي السوفييتي في تشيرنوبيل نقلت "عين" سبوت معلومات عن مدى الضرر.

سيستمر سبوت في توفير المعلومات من الفضاء في التسعينات. وفي أوائل ١٩٨٩ سيطلق "سبوت - ٢" ليأخذ على عاتقه مهمة سلفه، يتبعه اطلاق أقمار "سبوت" أخرى اكثر تطوراً.

جدسون غودنغ

"لاندسات" لاكتشاف النحاس والرصاص والزنك في جنوب غرب اسبانيا. فهذه المعادن تسبب تغييراً كيميائياً ملحوظاً في أشجار الصنوبر التي تنمو ضعيفة في التربة المعدنية.

إحدى شركات النفط الامريكية استخدمت صوراً لاشكال جيولوجية دقيقة، فاكتشفت مخزوناً من النفط في جنوب غرب السودان.

وفي المملكة العربية السعودية يرسم العلماء خريطة "التصحُّر"(٩) في الجزء الغربي من البلاد مستندين الى مقارنة بين معلومات "لاندسات" والابحاث الارضية عن التربة واستغلال الأرض والحياة النباتية. وباعتماد تصوير الاقمار الاصطناعية في المستقبل ستكشف الخرائط تبدلات في زحف الصحراء على الأراضي الصالحة للزراعة.

وعلى رغم كل هذا النشاط فان الامكانات العلمية والتجارية لتقنية التحسس عن بعد ما زالت في مستهل التطبيق. فالعالم ينمو ويزدحم باطراد في بيئة حساسة تحتاج الى حماية، والثروات الطبيعية تزداد قيمة وندرة يوماً بعد يوم. والتحسس عن بعد يمنح العلماء صورة واضحة لكوكب الأرض ويزودهم معلومات قد تجعل العالم مكاناً أفضل للحياة.

جاي ستولر

(٨) Potential energy

(٩) التصحُّر (desertification) هو ظاهرة تحوُّل الارض صحراوية.

قلبٌ بينَ الأعشاب

قيل ان الدكتور مكسيموس يحول الاحلام وقائع ولكن بثمن غالٍ

لم يبدُ الدكتور مكسيموس مهماً وهو جالس بهدوء في دكانه الصغير لبيع الأعشاب على طريق ملتوية تحت مبنى كاتدرائية نوتردام في باريس. لكنه رجل غير عادي فعلا. ولو عاش قبل ٥٠٠ سنة لانشغل بتحويل النحاس ذهباً. إنما في باريس التسعينات من القرن الماضي، فهو أجرى تحويلات كيميائية أكثر مهارة، إذ حوَّل الأحلام وقائع، بشرط أن يُدفع له أجر واف.

الرجل الذي دخل الدكان المضاء بالمصباح الغازي في إحدى أمسيات أكتوبر (تشرين الاول) ١٨٩١ كان مستعداً للدفع. وقف في الباب ماسحاً

Condensed from «Through Many Windows,» copyright © 1983 by Arthur Gordon, published by Fleming H. Revell Co., Old Tappan, N.J. Illustration: Fred Laurent

جبينه بمنديل حريري على رغم برودة الطقس وتحت إبطه علبة في شكل قلب.

انحنى له الطبيب باحترام.

قال الزائر بقلق: "عندي مشكلة وقيل لي إنك تستطيع مساعدتي."

فرد الطبيب: "حقاً؟ ومن أخبرك ذلك؟"

تأمل الزائر خائفاً الرفوف القاتمة والسلحفاة المتدلية من حبل والتمساح الصغير المحنط بعينيه المغبرتين، ثم قال: "كان عندنا ضيف على العشاء الليلة الماضية. انه ديبلوماسي اجنبي. السكرتير الاول في سفارة..."

– عرفته. هذا صحيح، فقد أسديت اليه خدمة بسيطة.

"انه ليس مقرباً جداً منا. لكنه بعد ساعة من مجالستنا باشر التحدث بحرية مطلقة. واستنتجت من حديثه..."

– ماذا؟

"أنه لولا مساعدتك لبقي مربوطاً بزواجه الاول التعس."

نزع الدكتور مكسيموس نظارته ومسحها: "أعتقد أن زوجته المسكينة ماتت على نحو مفاجىء."

– أجل، وشرّحت جثتها ولم يكتشف الطبيب الشرعي أي أمر مريب.

"بالطبع لا،" أكد الدكتور مكسيموس بابتسامة لطيفة.

تابع الزائر ببعض اهتياج: "زوجتي في منتهى الجمال ولديها معجبون كثيرون اعتادت أن تتجاهلهم. ولكن في المدة الاخيرة لاحظت أن معجباً واحداً عرف الطريق الى قلبها. لا أعرف أيهم، وهو أصغر منها سناً. لكنها تطلب الطلاق. لن..."

رفع الدكتور مكسيموس يده وتمتم: "لا تهمني التفاصيل."

بدا وجه الزائر منقبضاً وخطراً: "لست من يُستهزأ به!"

– طبعاً لا، لاحظت ذلك.

أكمل الزائر متلعثماً: "السيدة مولعة بالحلوى." ثم فتح العلبة القلبية الشكل ووضعها على الطاولة. إنها علبة شوكولاتة. قال للطبيب: "أظنك تستطيع تغيير هذه الحلوى كما تراه ملائماً ثم ترسلها اليها بالبريد. ستسر كثيراً. وقد أحضرتُ بطاقة لترفقها بالعلبة." وأخرج بطاقة مستطيلة صغيرة طبع عليها: "من معجب."

أخذ الدكتور مكسيموس البطاقة وتنهد: "أسعاري باهظة جداً."

فرد الزائر: "توقعت ذلك." ودفع قطعاً نقدية ذهبية ثم مسح جبينه من جديد: "هل تستطيع إرسالها الليلة؟"

– ربما، سنرى. الى أين أرسلها؟

فأعطاه الزائر اسم السيدة وعنوانها.

بعدئذ كتب الدكتور مكسيموس ثلاثة ارقام على ورقة وناولها للزائر: "سيدي، أنت الزبون ٣٢٢. فإن واجهتك أي صعوبات اتصل بهذا الرقم من فضلك. ولا أظنك ستضطر الى ذلك."

أمسك الزائر قبضة الباب ولعق شفتيه وتمتم: "لن يكون... الامر... مؤلماً. أليس كذلك؟"

فأكد له الدكتور مكسيموس: "أبداً." وحدق اليه برقة من خلف نظارته: "تبدو قلقاً، هل أعطيك ما يساعدك على النوم؟"

– لا، شكراً. عندي علاجي الخاص

بالأرق، شراب ساخن أجرعه قبل النوم."
فوافقه الطبيب: "صحيح، انها لعادة ممتازة."

- تصبح على خير.

"الى اللقاء."

انتقل الطبيب الى الغرفة الصغيرة المجاورة حاملا علبة الشوكولاتة بيد والبطاقة باليد الاخرى، وتناول كتاباً أسود كبيراً من الرف فوق أنابيب الاختبار وفتحه وبحث عن سجل المعاينة السابقة.

ها هي! لقد دونها بخطه العنكبوتي بعد ظهر ذلك اليوم: "الزبون ٣٢١، الشكوى: المعتادة. العلاج: ست نقاط من الاكسير توضع في الشراب الساخن للزوج قبل النوم."

تنهد الدكتور مكسيموس. انه رجل يحترم التزاماته. فتح علبة الشوكولاتة وبدأ العمل. لا داعي الى العجلة، سيرسل العلبة في البريد صباحاً.

آرثر غوردن

... البقية تأتي

وضعت صديقتي طفلا ثالثاً بعد اربع سنوات من زواجها، فتطوعت للعناية بطفليها الآخرين، على أن يمضيا الليلة الاولى عندنا. لكن الليلة امتدت الى ليال، وسرعان ما نفدت المواد الضرورية لدينا. فطلبت من زوجي ان يذهب الى بيت صديقتي ليحضر بعض اللوازم.

وعندما عاد سألته: "هل أعطاك زوجها كل شيء؟"

فأجابني مبتسماً: "حتماً، أعطاني علبة حفاضات وكيسي ثياب وشهادتي الولادة."

س.ب.

جورج برنارد شو وجمهوره

كان من الصعب جداً أن يؤخذ الكاتب المسرحي البريطاني جورج برنارد شو على غفلة. ذات ليلة بعد انتهاء مسرحية له صفق الجمهور حماسة واستحساناً الا رجلا واحداً بدا ساخراً. توجه اليه شو من على المسرح قائلا: "أنا معك تماماً يا صديقي، ولكن ماذا يمكننا نحن الاثنين أن نفعل ضد كل هذا الجمهور ذي الرأي المعاكس؟"

هـ. ب.

يُعرف من عنوانه

قال محلّف جديد: "يا سعادة القاضي، أعفني من هذه القضية. فأنا كلما نظرت الى ذلك الرجل تأكدت من أنه مذنب."

فهمس القاضي: "صه! هذا محامي الدفاع."

ا.ر.ب

"سوبر تلسكوب"

عمد فلكيون في مختبر الدفع النفاث بمعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا في باسادينا الى الربط بين هوائي حساس لصحن(١) للاتصالات في مركز في قمر اصطناعي عامل، ومقاريب (تلسكوبات) على الارض، بهدف تشكيل مقراب واحد هو فعلا أكبر من الكوكب كله. وهذه التجربة التي مولتها وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا) هي مقدمة الى ما يعتبر الخطوة الكبرى التالية في علم الاتصال الفلكي. فكلما اتسع صحن المقراب زادت دقته في التقاط تفاصيل النجوم والمجرات والكوازارات، وهي اجرام فلكية ترسل موجات راديو. ولكن من المستحيل بناء صحن واحد يزيد عرضه على مئة متر. وللتغلب على هذا العائق هناك تقنية خاصة(٢) تتيح تلقي الاشارات من عدة مقاريب صغيرة وجمعها بواسطة دماغ الكتروني مما يشكل مقراباً يساوي عرضه المسافة بين الصحون. واستخدم العلماء في المعهد وصلات لاسلكية بالقمر الاصطناعي للتأكد من قياس تغيرات موقعه بدقة تبلغ حد السنتيمتر وربع السنتيمتر، ثم وصلوه بصحنين كبيرين في أوستراليا واليابان. فألّفت الصحون الثلاثة، مجتمعة، مقراباً بلغ عرضه ١٧،٧٠٠ كيلومتر، أي بزيادة ٤٨٣٠ كيلومتراً على قطر الارض، ويؤمن دقة في الرؤية أفضل مرتين مما كان سابقاً.

صحيفة "نيو ساينتست"

(١) Sensitive radio dish antenna

(٢) Aperture synthesis

عجائب القرن

ما هي أعظم الانجازات التكنولوجية في الاعوام الخمسين الاخيرة؟

الجمعية الوطنية للمهندسين المحترفين، في اجتماعها بسان فرنسيسكو في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤، كشفت اختيارات أعضائها البالغين ثمانين الفاً: النيلون (المبتكر عام ١٩٣٥) وأول تفاعل نووي متسلسل (١٩٤٢) وأول دماغ الكتروني (١٩٤٦) والترانزيستور (١٩٤٧) وأول نظام للملاحة يعتمد القصور الذاتي (inertia) والذي وضع باستخدام الجيروسكوب(★) وأدمغة الكترونية صغيرة (١٩٤٨) وطائرة "بوينغ ٧٠٧" (١٩٥٤) ومنظّم نبض القلب (١٩٥٨) وأشعة ليزر (١٩٥٨) والقمر الاصطناعي "تلستار" الذي أطلق عام ١٩٦٢ ومشروع "أبولو" الفضائي الذي باشرته وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا) في الستينات.

مجلة "العلم والحياة"، فرنسا

(★) أداة لحفظ توازن الطائرة او الباخرة وحفظ الاتجاه.

تكنولوجيا "عيون العث"

ليس هناك ما يدعو الى العجب في عث الحديقة(١) خصوصاً في النهار حين لا تعكس عيناه أي ضوء يكشف عن وجوده. ان سطح القرنية في عين العث شبيهة بكرتونة بيض مجهري، وربما كان اكثر التركيبات المعروفة المضادة لانعكاس الضوء.

المهندسون في شركة "ب.أ. تكنولوجي"، وهي شركة استشارية مقرها الرئيسي هايتستون بنيوجرزي، استخدموا هذه التركيبة لتحسين أداء أنظمة اختزان القرص البصري(٢). وبتوافر تركيبة في شكل عيون العث على سطوح الاقراص، تمتص هذه معظم نور الليزر المستخدم لتسجيل المعلومات الرقمية. وهذا يخفف كلفة طريقة «Disc-drive».

وتستخدم الشركة تكنولوجيا عيون العث في تطوير سطوح غير عاكسة للضوء تستعمل كحواجب الريح ولوحات مفاتيح للسيارات وشاشات للدماغ الالكتروني.

صحيفة "بيزنس ويك"

(١) Garden moth
(٢) Optical-Disc storage systems

جبال في باطن الارض

في قلب الارض، على عمق أكثر من ٣٠٠٠ كيلومتر، جبال وأودية مترامية من صخور ذائبة.

وقد وضع علماء طبيعة الارض في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا وجامعة هارفرد خريطة لداخل الارض بطريقة الرسم الزلزالي الطبقي بالاشعة السينية(★). ولقّم الباحثون الدماغ الالكتروني تسجيلات لموجات الضغط التي تولدت داخل الارض على أثر الزلازل التي حدثت خلال السبعينات. والجبال والاودية التي اكتشفها العلماء هي فعلا ارتفاعات وانخفاضات واقعة على الحدود بين قلب الارض السائل الذي ساد الاعتقاد سابقاً انه كرة ملساء، وغلافها نصف الجامد.

وربما ساعد هذا الاكتشاف في تفسير التغير الطفيف في سرعة دوران الارض، اذ ان المجرى غير المنتظم للقلب السائل في احتكاكه بحدوده الخشنة مع الغلاف، قد يجعل الارض تدور على نحو مترجرج.

صحيفة "إنسايت"

(★) Seismic tomography

"معاقبة" المزروعات

يقسو المزارعون اليابانيون على الشمندر السكري الذي يزرعونه. انهم "يعذبونه" بالمكانس قبل أن ينقلوه من المشاتل الى الحقول. وقد أجريت أبحاث عرفت بـ"الارهاق المصطنع للنبات" جعلت العلماء في امريكا وبريطانيا واليابان يدلكون مزروعاتهم ويلوونها ويهزونها بقسوة على مدى بضع دقائق كل يوم.

ويبدو أن هذه المعاملة تعود بالخير. فالقنبيط والخس والكرفس التي ينكل بها هكذا في "المركز الوطني لابحاث الخضر" في بريطانيا تنمو على نحو أصلب وأقوى (مع بقائها أصغر حجماً). واذا تيسر "تأديب" المزروعات جماعياً على هذا النحو، فان "الارهاق المصطنع" سيعود بفائدة جزيلة على المزارعين الذين يهيئون مزروعات البيوت الزجاجية لصدمة الانتقال الى الحقول.

صحيفة "ايكونوميست"

أمّ التوائم الخمسة

قصة أم شابة أدركت أن اثنين مع خمسة يبنون بيتاً سعيداً

كان زفافنا في سبتمبر (أيلول) ١٩٦٥. اريك في الحادية والعشرين من العمر وأنا في العشرين. وكنا نحن الاثنين متشوقين لبناء عائلة. وبعد سنوات من الاسقاط الذي يسحق القلب تبنينا ولدين: اريك الصغير وبول. عام ١٩٧٢ انتقلنا الى منزل جديد بنيناه على أرض

مساحتها خمسة هكتارات في ولاية واشنطن.

لم يكن في حياتنا فراغ. عندنا تيس ماعز يدعى رالف ودجاج وبقرتان وثلاثة جياد. وبانشغالنا الكثير لم نشعر أن هناك ضرورة ماسة لانجاب أولاد، لكن جزءاً مني بقي تواقاً الى اختبار الولادة. وفي شتاء ١٩٧١ حبلت من جديد، وكان ذلك بعد استشارة طبيب نسائي آخر هو الدكتور روجر جورج.

ارتحت اليه منذ اللحظة الاولى. عاملني كما يعامل شخصاً عادياً لا كما يعامل مريضة. ولكن، لسوء الحظ، حتى عنايته الشديدة لم تحل دون اسقاط آخر، غير أنه ابدى ملاحظة غابت عن سواه من الاطباء الذين عاينوني.

قال: "اسقاطك سببه أن رحمك لا يتمدد كما يجب. أعتقد أنه يمكنك أن تفعلي شيئاً ما بشأنه."

عام ١٩٧٢ حبلت ثانية، وتمكيناً لرحمي من التمدد كان الدكتور جورج يحققني شهرياً عقاراً يدعى "ديلالوتن." وحين تابعت هذا العلاج في الثلث الثاني

Condensed from «Full House: The Story of the Anderson Quintuplets,»
copyright © 1986 by Karen Anderson and Jo Robinson, published by
Little, Brown & Co., Inc., Boston, Mass. This material also appeared in McCalls (April '86)

من الحمل أشرق لدي أمل. لكن تفاؤلي تلاشى في الشهر الخامس. أراني الدكتور جورج صورة شعاعية لبطني المنتفخ ظهرت فيها أجنة كاملة مصفوفة كأضلع دولاب خشبي ورؤوسها في الوسط. اعتقدنا أننا نرى أربعة. أنا لم أحمل جنيناً واحداً الى موعد ولادته، فكيف أحمل اربعة؟

ألحّ الدكتور جورج على دخولي المستشفى باكراً. في ٢٤ مارس (آذار) ١٩٧٣ أدخلت المستشفى وكان بطني كبر بسرعة الى درجة أني حين أبسط يدي فانهما لا تلفان حول معدتي.

ولادة خماسية - في شهري السابع فاجأني المخاض. حدث ذلك في ٢٦ ابريل (نيسان) يوم عيد ميلادي الثامن والعشرين. وتجمع في غرفة التوليد فريق من ٣٠ طبيباً وممرضة. قال الدكتور جورج: "شدي لتدفعي الاجنة الى الخارج." وبدت الغرفة فجأة هادئة والابصار كلها شاخصة الي.

شددت وشددت فلم يحدث شيء. ولما كانت عضلات معدتي تمزقت نتيجة التمدد الشديد الذي أحدثه حملي، لم أعد أملك شدّاً ولا ارخاء. عندئذ وضعت ممرضة يديها فوق رأس رحمي وشدت بكل ما لديها من قوة، وكان ذلك حين أصابني الطلق. أعلن الدكتور جورج: "هوذا الرأس." وما هي الا شدة أخرى حتى ولد الطفل الاول.

صرخت بوبي زوجة الدكتور جورج: "انه صبي! انه روجر جورج!" وكانت بوبي سألت عما اذا كان في امكانها حضور الولادة، وأسررت اليها أننا صممنا على تسمية الصبي الاول باسم زوجها. وصفق الحاضرون استحساناً.

شدت الممرضة ثانية وشددت أنا، فاذا بوليد آخر: أوين.

بعد دقيقة ولدت أودري.

قال الدكتور جورج: "رحم كارين واسع الى درجة أنه يستوعب جنيناً آخر، أعتقد أن لدينا اثنين آخرين هنا."

نظرت الى اريك مذهولة فرأيته ينظر الي مذهولا هو أيضاً: خمسة أطفال؟

قال الدكتور جورج: "شدي يا كارين." فعلتُ فوُلد سكوت.

قال الدكتور: "ايها السيدات والسادة، حصلنا على خمسة توائم." وهلل الحاضرون. وأطلقتُ دفعة أخيرة فظهرت ديان، لكنها لم تكن متعافية ومتوردة كالآخرين بل رمادية لا حياة فيها.

ساد الغرفة هدوء تام. وبدأ أحد الاطباء عملية انعاش الطفلة فماً لفم بينما راح طبيب آخر يصغي الى قلبها ثم بشر الجميع: "انه يخفق!" ولم تمر ست دقائق ونصف دقيقة حتى تحرّك صدرها ولله الحمد. وبعد ثانية أصابتها رعشة الحياة وتنشقت هواء ملء رئتيها.

صرخت: "انها تتنفس!" ووصل صراخي الى خارج الغرفة. والتفت حولي فاذا اريك أمامي والدموع تترقرق في عينيه.

كنت منهكة، لكني شعرت بالعظمة. أنا أنجبت خمسة توائم. انها لمعجزة تفوق ادراكي.

ورأت الممرضات وجوب انصرافي كلياً الى الاهتمام بالاطفال. لكن نصيحتهن لم تبدُ لي صائبة لانها ستكلفنا غالياً اذا

اكتفينا براتب اريك، وهو موظف مبيعات في شركة منتجات معدنية. لكن في الحقيقة لم أنزعج أبداً من فكرة وقف نفسي مئة في المئة على عائلتي. فهدفي في الحياة أن أكون زوجة وأماً.

ارادة الحياة – لم يبلغ سكوت وأوين وروجر وأودري الاسبوع السادس حتى سُمح لي باحضارهم الى المنزل. أما ديان فتعين إبقاؤها في العناية الفائقة. ولم نكن قادرين على تحمل تكاليف ذلك.

اكتشفت واريك بسرعة أن مفتاح البقاء هو أن ننظم شؤوننا بدقة. أغذية الاطفال يجب أن توضع على رفوف فوق أسرّتهم في غرفتهم. أما أنا فعلي أن اغسل يومياً ست كدسات من الثياب ثم اكويها والا غرقت الى ركبتي في الامتعة الوسخة. ولو عددت قطع الثياب والخرق التي كنت أنظفها كل ٢٤ ساعة لبلغت ١٨٠.

أصبحت الحياة رتيبة: أفتح الغسالة، أسحب منها الامتعة المغسولة الجافة، أرتبها وأضيفها الى أكمة الثياب المتنامية على متكأ في غرفة الجلوس. أسرع الى غرفة الاطفال لاجلب الامتعة الوسخة. أذهب الى المطبخ، أطلب من اريك أن يرش الدقيق على قطع الدجاج ويجهز المائدة. هناك كدسة أخرى من الامتعة الوسخة الى جانب الغسالة جاهزة لأن توضع فيها فور الانتهاء مما تغسله. الاطفال في ملل. حان وقت اطعامهم. أخرجهم من أراجيحهم وأحملهم اثنين اثنين.

اخيراً، في يونيو (حزيران) الفائت، جاءت ديان الى البيت. أما أنا، فللمرة الاولى منذ الولادة أحسست أني اكتملت. وما ان استقرت معنا حتى بدأت عيناها تلمعان ووزنها يزداد. لقد أعطتها ادارة المستشفى كل ما تحتاج اليه جسدياً، لكنها لم تعطها الشيء الاهم: ارادة الحياة.

بعد مضيّ أسابيع قليلة على عيد ميلادهم الاول أظهر التوائم الخمسة اهتماماً شديداً بتعلم المشي. فكنت أصفهم، أنحني فوقهم، آخذ بيدي أحدهم وأنقله الى الجانب الآخر من الغرفة، أتركه هناك وأعود لآتي بآخر، وهكذا حتى يصبح الخمسة أخيراً في ذلك الجانب ثم أعيدهم. واني لاتساءل ما اذا كان ظهري تقوّس الى الأبد.

مرح خاص – كانت لنا جميعاً أيام سعيدة. الاطفال الرخص الايدي يلاحقونني حيثما ذهبت، حتى الى الحمام. في البدء حاولت أن أقفل الباب لكنهم طفقوا يولولون. وهكذا أصبحت هنا محوطة بأناس صغار: واحد يربّت رجلي، وآخر يساعدني في سحب قطعة ورق، واثنان ينحنيان على المغطس يلعبان بالصابون، وآخر يفتح باب الحمام ويقفله. يا لها من وحدة!

الاطفال الخمسة يسلي بعضهم بعضاً. ولما كانوا نموا معاً منذ حبلت بهم، فحياة كل واحد منهم أصبحت متشابكة مع حياة الآخرين.

من الصعب أحياناً الاَّ يغار أكبر الصبيان سناً مما بين أشقائه الصغار من صلات خاصة. ذات ليلة كان بول البالغ من

العمر خمس سنوات يراقب التوائم الخمسة وهم يلعبون. وبعد هنيهة جاء وجلس في حضني وقال بلهفة: "يا أمي، كم أتمنى لو أستطيع دخول بطنك والخروج منه خمسة توائم."

انها لم تكن مرارة، لكنها توق صبي الى أن يكون جزءاً مما رأى. كنت ألاحظ التفاعل الحبي اللطيف بين الخمسة، وكم تمنيت لو أكون جزءاً منه. أليس ذلك ما نتطلّع كلنا اليه؟ رفقة عاطفية مستمرة؟ أودري وسكوت وروجر وديان وأوين ولدوا رجاء لنا، الامر الذي كنا جميعاً نبحث عنه. انه فجر أمل غير منظور حفظهم سالمين دافئين محبوبين.

لا ريب في أنه كانت لهم سمتهم الخاصة للمرح. ذات يوم، عندما بلغوا الشهر الثامن عشر، أدخلتهم جميعاً الحمّام. وبعدما انتهى استحمامهم أخذوا يطوفون في أرجاء المنزل بألبستهم التحتية. واذ كنت في الحمام أمشط شعري سمعت بول ينادي: "يا أمي، تعالي بسرعة." فتحت الباب فسمعت صراخاً وضحكاً. نزلت مسرعة الى المطبخ فذعرت حين رأيت أوين وسكوت يتزحلقان على أيديهما وركبهما كبطتين على جليد بحيرة، وأرض المطبخ مغطاة بغشاء براق من زيت الطبخ.

وجلس روجر وديان جنباً الى جنب يربّت أحدهما وجه الآخر مبتهجاً بتلمس نعومته. أما أودري فجلست خلفهما تميل برأسها من جانب الى آخر متلهية بالرنين الذي تحدثه حلقات شعرها الثقيلة الناعمة كلما لطمت وجهها. أخيراً قررت ان أزرب الخمسة في حظيرة اللعب، هناك يتزحلقون ما طاب لهم بينما أبدأ أنا عملية امتصاص الزيت بالمنشفة. بعد ذلك أعدت غسل الجميع ثم طفقوا يطوفون في أرجاء المنزل بألبستهم التحتية.

صيف لا ينسى – حينما أصبح التوائم الخمسة في الشهر الثاني والعشرين قررت أن الوقت حان لادربهم على الاهتمام بقضاء حاجتهم في الحمام. صباح ذات سبت اشتريت ٤٠ سروالا وخمسة كراسي حمّام للاطفال ومؤونة من قطع الشوكولاتة الملونة. وعمدت أنا واريك الى صف الكراسي في الممشى، وساعدنا الصغار على ارتداء سراويلهم الجديدة واخراج كتبهم المحببة. وبفرح أعلنّا لهم أن "الوقت آن للذهاب الى كراسي الحمام." سكوت وأودري وأوين وروجر وديان اكتشفوا بغبطة كراسيهم الجديدة. وبعد كثير من الملاطفة جلسوا فيها. اقتعد اريك جانباً من ارض الممشى وأنا جانباً آخر وبدأنا نقرأ لهم مداورة.

وما هي الا دقائق حتى كان روجر يقضي حاجته. كانت هناك ثرثرة ثم عبارات ذعر من الخمسة. اريك وأنا صفقنا بأيدينا وأعطينا روجر بعض الحلوى، ففتح الاطفال أعينهم وراقبوا روجر كيف يتذوق كل قطعة منها. ألم يكن هذا عملا حسنا؟ في وقت سريع كان لنا خمسة اطفال يتدربون على قضاء حاجاتهم في الحمام.

صيف ١٩٧٩ الذي سبق دخول الاطفال الصف الابتدائي الاول لن يبرح فكري. كانوا يستيقظون صباح كل يوم مع شعور

سار بأن أمامهم نهاراً كاملا جميلا. ولم يكن ثمة مكان يذهبون اليه ولا عمل يؤدونه خارج المزرعة ومحيط المنزل. في احدى العُطل الاسبوعية قطعنا حطباً للتدفئة في الشتاء. ومرتين أو ثلاث مرات في الاسبوع كنا نصطحب الاطفال الى صيد السمك، وفي الايام التي لا نصطاد فيها كنا نذهب في نزهات على الاقدام.

ذلك الصيف ما كنت أريده أن ينقضي، في سبتمبر (أيلول) سيكون الخَمسة في الصف الابتدائي الاول، وسأبقى أنا وحيدة. سأفتقدهم، واليأس يتملكني.

في اليوم المدرسي الاول شعر اريك بقلقي وقرر البقاء الى جانبي. قضينا الصباح في تبضع اللوازم المدرسية. وبعدئذ تناولنا طعام الغداء في مطعم يطل على نهر. وبدأ اريك يتحدث عن الامور التي نستطيع أن نفعلها معاً ما دام لدي الآن مزيد من فراغ الوقت.

ونفعت كلماته. وما هي الا ساعات سريعة حتى كان موعد انتهاء الدروس، فعدنا الى المنزل ننتظر الاولاد. ولحظة سمعت صوت حافلة المدرسة تنهدت فرجاً. انه أول نهار مدرسي، وقد أمضيته بسلام.

حياة عائلة اندرسون هي اليوم حياة كاملة نشيطة كما كانت دائماً. التوائم الخمسة بلغوا الرابعة عشرة من العمر، وهم يتطلعون الى دخول المدرسة الثانوية. وما زال أحدهم يحرك الآخر ويُسرّ اذا ما نجح في حمله على المشاركة في ازعاج آخر. تقول كارين انها لا تستطيع أن تتصور كيف كانت حياتها لو لم تقضِ هذه السنوات في تربية الاولاد الخمسة. وتضيف: "كل ما أعرفه بالتأكيد هو أن كوني أماً لخمسة توائم اضطرني الى استكشاف طاقات كامنة فيَّ." لكنها تؤكد أن ما استنفدته من وقت وطاقة عوضته بفرح مضاعف خمس مرات.

كارين أندرسون وجو روبنسون

من أضرار التدخين

كانت هناك ثقوب في سترتي الصوفية حرقت بالسيجارة. فاخذت السترة الى الراتق. ولدى عودتي لتِسلمها وجدت معها بطاقة كتبت فيها العاملة التي رتقتها: "رتق ثقوب في السترة. أُخذت خيطان مطابقة من طرف الكم."

وختمت بالعبارة الآتية: "التدخين مضر بالسترة!"

غ.ش.

قال رجل سمين في مخبز: "ان داخلي شخصاً نحيفاً يكافح من أجل الخروج، فأسكته بأربع أو خمس كعكات."

ب.ت.

قصة واقعية يرويها محام
كي يوضح سبب دفاعه أحياناً
عن موكلين يعرف أنهم مذنبون

مَن اخترع المحامي؟

دعوني أروي لكم قصة حقيقيّة غيّرت فيها الأسماء وبعض التفاصيل حرصاً على الحياة الخاصة لموكلي. حدث ذلك قبل ما يزيد على أربع سنوات. ذات يوم كنت جالساً في مكتبي فتلقّيت اتصالا من محام أكاد لا أعرفه. حدثني عن فتى في مأزق وسألني عمّا إذا كنتُ أقبل بمساعدته. وكان الفتى متهماً بالقتل من دون عمد وبالقيادة تحت تأثير الكحول.

فأجبته بأني موافق طبعاً، وطلبت أن يتصل الفتى بي.

وهكذا كان. ضرب لي الفتى موعداً. وكان لطيفاً قد فرغ حديثاً من المدرسة وذهب ليمضي بعض الوقت عند شقيقته الكبرى وهي طالبة في كليّة طب. وذات يوم أخبرته شقيقته أنهما مدعوان الى نزهة لتناول الغداء في الهواء الطلق. وقال إنّها ستذهب مباشرة من الكلية على

Condensed from Harper's Magazine (December '86), © 1986 by Harper's Magazine Foundation, New York, N.Y. Illustration: Greg Harlen

أن يأخذ هو سيارتها ويلتقيها هناك. فوصل قبلها وشرب زجاجة جعة. ووصلت هي بعد قليل فجرع زجاجة ثانية. ثم أكل شطيرة همبرغر وألحقها بزجاجة ثالثة. وبعد حين قالت شقيقته: "حسناً، حان وقت الذهاب." وتوجّها نحو السيارة.

وأضاف الفتى أنَّ ما يتذكره بعد ذلك هو أنّه أفاق في غرفة مستشفى وقد غطّت جسمه ضمادات وجبيرات، وأنّه سمع أحدهم يقول له إنّه متّهم بجريمة قتل غير متعمّدة وبالقيادة تحت تأثير الكحول، لأنّه حطّم سيارة شقيقته وتسبّب في مصرعها. كما أن فحص الدم الذي أُجري له أظهر محتوى من الكحول بنسبة ١٤،٠.

وسألته عمّا يعنيه بقوله "ما أذكره بعد ذلك،" فنظر في عيني وقال إنّه لا يستطيع تذكّر شيء منذ غادر المكان الى أن استيقظ في المستشفى وأخبرني أنه مصاب، على حدّ قول الأطباء، بفقدان تراجعي للذاكرة. فأخبرته أنّني أصدّقه لكنني أخشى ألّا أجد قاضياً يشاطرني قناعتي هذه.

"هذا ما كان" – وافقت على الدفاع عن الفتى. وأكببت على قراءة التقرير حول الحادث، وقد ذُكر فيه وجود شهود أربعة: زوجين كانا آتيين في سيارتهما في الاتجاه المعاكس فمرّا بالفتى وشقيقته في اللحظة التي سبقت انحراف السيّارة عن الطريق، وشاب سمع صدى الاصطدام من باحة منزله الخلفيّة فهرع الى مكان الحادث، والشرطي الذي قدم للتحقيق.

اتصلت بالشاهد الثالث فلم أجده. فتركت له رسالة فعاد واتصل بي. وبعدما عرّفت بنفسي أخبرته أني أمثل الفتى واحتاج الى معلوماته. فتلعثم وتنحنح وخلت أنّه يعتقد أن التحدّث الى محامي الدفاع أمر مخالف للقانون. فطمأنته الى إنّ النائب العام قد يقنعه بأن لا بأس في مخاطبتي من دون أن يكون ملزماً ذلك. وأعطيته اسم النائب العام ورقم هاتفه، ووعدني بأن يتصل بي لاحقاً.

ثم خرجت سعياً الى الشرطي، فروى لي القصة ومفادها أنَّ الفتى وشقيقته كانا متوجهين الى المدينة في طريق ريفيّة كثيرة المنعطفات تبلغ السرعة القصوى فيها ٧٢ كيلومتراً في الساعة. أمّا آل ثورنز، وهما الزوجان الشاهدان، فكانا خارجين من المدينة، وقالا إنَّ السيارة تجاوزتهما في الاتجاه المعاكس قبل منعطف خطر ولم تكن سرعتها تقل عن ١١٥ كيلومتراً في الساعة. وفي منتصف المنعطف انحرفت السيّارة عن الطريق يميناً ثم عادت الى الطريق ودارت على نفسها لتعود فتنجرف يساراً وتختفي وسط دوي هائل.

وبعد وقت قصير وصل الشاب الذي سمع دوي الاصطدام من منزله، واسمه هولواي، وروى له الوقائع الآتية: "انقلبت السيّارة. وسارع زوجان آخران للمساعدة، فتعاوناً جميعاً على سحب الفتى من جهة السائق، وكان مثبتاً في مقعده بحزام الامان، ثم أخرجنا الفتاة من الجهة الأخرى، وكانت لا تزال تتنفس إلّا أنها ما لبثت أن فارقت الحياة في المستشفى. "هذا ما كان." أفاد الشرطي جونسون.

فالفتى لم يكن أفرط في الشرب فحسب كما أظهر فحص الدم، بل كان أيضاً يقود السيّارة بسرعة جنونية، فضلا عن أنّ الفتاة ماتت. لذا كان لا بد من تجريمه. وأعرب الشرطي عن أسفه لهذا الأمر لأنّ الفتى بدا لطيفاً وقد فجع بأخته. ولكن ماذا عساه يفعل؟

الشهود الاربعة – استناداً الى أقوال هولواي لم تكن الأمور في مصلحة موكلي. ففكّرت في أنه بات من الضروري أن أحادث النائب العام. لكن هولواي لم يكن اتصل بي بعد، فبادرت أنا الى الاتصال به فلم أجده. وتركت له خبراً، وانتظرت يومين واتصلت مجدّداً الى أن حظيت به أخيراً. وشعرت بارتباكه اذ اكتفى بالقول إنّه ليس مرغماً على مكالمتي.

فأدركتُ عندئذ أنّه يجدر بي التوصل الى تسوية. توجهت الى النائب العام وكان في منتهى اللّطف. لكن المسألة تتعلّق بمقتل شابة قُصفت حياتها المهنية الواعدة، لافراط أحدهم في الشرب وقيادته سيارة على نحو غير مسؤول. كان لا بد من أن يدفع الفتى ثمن فعلته، "ولكن ليس بالسجن،" قال النائب العام. وأضاف أن عليه أن يعترف بارتكابه جنحتين: جنحة التسبب في الوفاة بحادث سيارة وجنحة القيادة تحت تأثير الكحول. وهذا يعني تعليق العقوبة الصادرة في حقه كحدث جانح مع الاستمرار في مراقبته، إضافة الى جعله يدفع غرامة كبيرة تقدّر ببضعة آلاف من الدولارات. وألفيت من الصعب علي انتقاد النائب العام لأنّه، في النهاية، سيُنتقد حتماً لخفضه الجناية الى جنحة.

وفي يوم المحاكمة ذهبت باكراً الى المحكمة. فوجدت الشرطي جونسون مع ثلاثة آخرين تكهّنت أنهم آل ثورنز وهولواي. ولمّا رآني هذا تقدّم نحوي بخطى ثابتة وعرّف بنفسه ثم بادرني: "جل ما أبغيه هو أن تقدّر مدى خطورة الافراط في الشرب والقيادة تحت تأثيره. فلو لم يشرب الفتى وأخته كحولا ولم يقودا السيارة في تلك الليلة، لكانت الشابة المسكينة لا تزال حيّة ترزق."

وفيما أنا أحاول الحفاظ على رباطة جأشي إذا بي ألمح النائب العام. فاجتزت القاعة بسرعة وأمسكته بذراعه وقلت له: "يجب أن نتكلّم. قل لي لمَ استقدمت كلّ هؤلاء الأشخاص الى هنا؟ وهولواي، ما أغباه من رجل! لا أظنّك ستستمع إليه كشاهد. فأهل موكلي خارج القاعة ولا ضرورة الى إحراجهم أكثر."

فنظر إليّ النائب العام وقال: "آسف يا صاح. في قضية كهذه أنا مضطر الى استدعاء شهود. قاضينا صارم، وإذا حاولت المضيّ في الجلسة من دون شهود فقد يقذف بي خارجاً."

المحاكمة – استدعى النائب العام الشرطي جونسون أولا. وبعدما أنهى استجوابه استدعى النائب العام هولواي فروى كيف أنّه هرع الى مكان الحادث ورأى السيارة مقلوبة، وكيف ساعد في سحب موكلي من النافذة اليسرى ثم انتقل الى الجهة الأخرى ليساعد في سحب الفتاة.

وقال النائب العام: "أكتفي بهذا المقدار من الأسئلة يا حضرة القاضي." ونظر القاضي إليّ، فهززت رأسي، ثم قال لهولواي: "حسناً، يمكنك الانصراف."

لكن هولواي لم يتحرّك، بل نظر إليّ فالى النائب العام فالقاضي وقال: "هل لي أن أضيف شيئاً يا حضرة القاضي؟"

فثار غضبي ووددت أن أصرخ: "أعترض! أعترض!" وحاولت أن أقرِّر في غضون ثلاثة أرباع ثانية ما إذا كان من الأسوأ الاستماع الى عظة هولواي حول رذائل الكحول أو أن أثير امتعاض القاضي باعتراضي. واكتفيت بالقول: "لا اعتراض يا حضرة القاضي." فابتسم لي هذا ثم لهولواي وقال: "حسناً، هات ما عندك يا سيّد هولواي."

وراحت الكلمات تتدفق من فم هولواي. قال: "الواقع يا حضرة القاضي أن الأمور جرت بسرعة فائقة. سمعت دوي اصطدام وكان الظلام حلّ. وكنت متشوّقاً لمعرفة ما حدث. ولكن في اليوم التالي، حين تسنّى لي التفكير في الحادث، كونت صورة عمّا حدث. فلقد انتشلنا الفتى من النافذة اليسرى، أي من جهة السائق. لكني تذكرت أنّ السيارة كانت مقلوبة. وإذا أعيد تقويمها ووضعها على عجلاتها كما يفترض بها أن تكون، أصبح الجانب الأيسر في الحقيقة الجانب الأيمن. يا حضرة القاضي، هذا الفتى لم يكن يقود السيارة على الاطلاق، بل شقيقته هي التي كانت تقودها. وعندما تسنّى لي التفكير ملياً في الحادث أدركتُ أنني أخطأت في ما رويته للشرطي. فتملكني الخوف وما عدت أدري ماذا أفعل. ولهذا السبب - وهنا نظر الي أنا - لم أشأ التحدث اليك."

وبالطبع، للمتهم الحق بسحب اعترافه بالذنب. ورُفعت الاتهامات ودخلت مع الفتى وذويه إحدى الغرف الخلفيّة وجلسنا نحدِّق بعضنا الى بعض. وأخيراً استعدنا أنفاسنا وقدرتنا على النطق فرحنا نتمتم بعض العبارات: "الحمد لله،" و"شكراً لك،" و"لا شكر على واجب."

هذا ما يجعلني أجرؤ على الدفاع عن شخص وأنا مدرك أنّه مذنب.

باري ونستون

الدعابة والكوميديا

ما هي الدعابة الحقيقية؟ يصعب تمييزها عن ضروب الكوميديا (الملهاة) المتنوعة. فالكوميديا هي القدرة على التعبير الصارخ وغير المقيد عن الوجوه المضحكة في الحياة. أما الدعابة فهي فن استخراج العنصر الهزلي من الوجوه الجدية في الحياة. وربما أبكت الكوميديا العيون من الضحك، لكن الدعابة تجبر الحزن على الابتسام. العنصر المسلي في الكوميديا بيّن في ظاهر الامور المبهجة، لكنه في الدعابة مختبىء في أعماق الجديّات. فالنكتة تبرز في الكوميديا صاخبة وفي الدعابة رزينة.

ج.م.

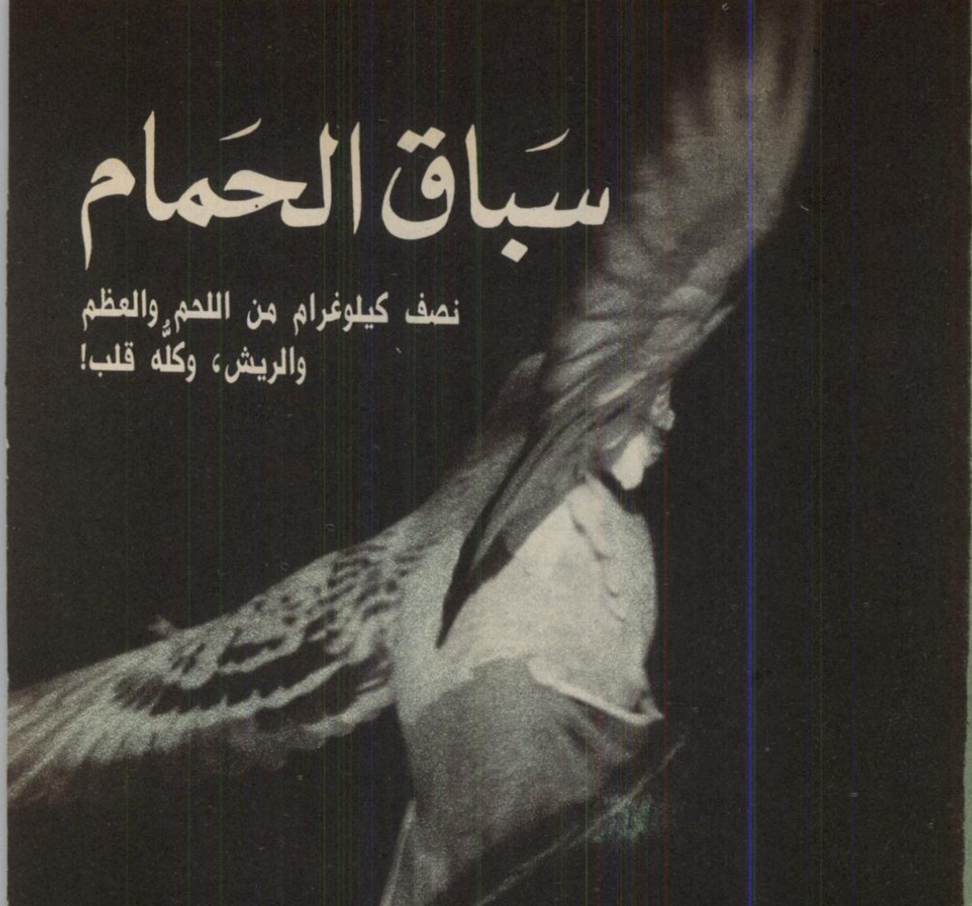

سباق الحمام

نصف كيلوغرام من اللحم والعظم والريش، وكلّه قلب!

الميزة الثانية المثيرة للعجب تتمثل في الريش الذي يمنح "٣٠٩" القدرة على التحليق. فلكل ريشة طيران، وعددها عشر في كل من الجناحين و١٢ في الذنب، عضلات خاصة توفر لها قدرة مميزة على المناورة الدقيقة، فيما تتولى عضلات الصدر تحريك الجناحين بسرعة ثماني خفقات في الثانية.

٣٠٩ هي مجرد حمامة، أي من فئة الطيور التي حظيت بأقل مقدار من التفهم. فهي تقطن في أصقاع الارض جميعاً باستثناء القطبين الشمالي والجنوبي. كما تعتبر، بين ذوات الريش، أقدم أصدقاء الانسان الذي يرى فيها الرفيق وساعي البريد والمسابق وطبق العشاء اللذيذ. ولئن يكن من الصعب تعداد طيور الحمام في العالم، فلا شك في أن عددها يقارب المليار.

ومن أغرب الامور في الحمامة "٣٠٩" قدرتها على الاسترشاد والعودة الى موطنها. فداخل هذا الطائر، الذي لا يتعدى وزنه نصف كيلوغرام، نظام ملاحة

© 1986 by William Ecenbarger. Condensed from Philadelphia Inquirer Magazine (October 5, '86), Philadelphia, Pa. Photos: Sal Dimarco, Jr.

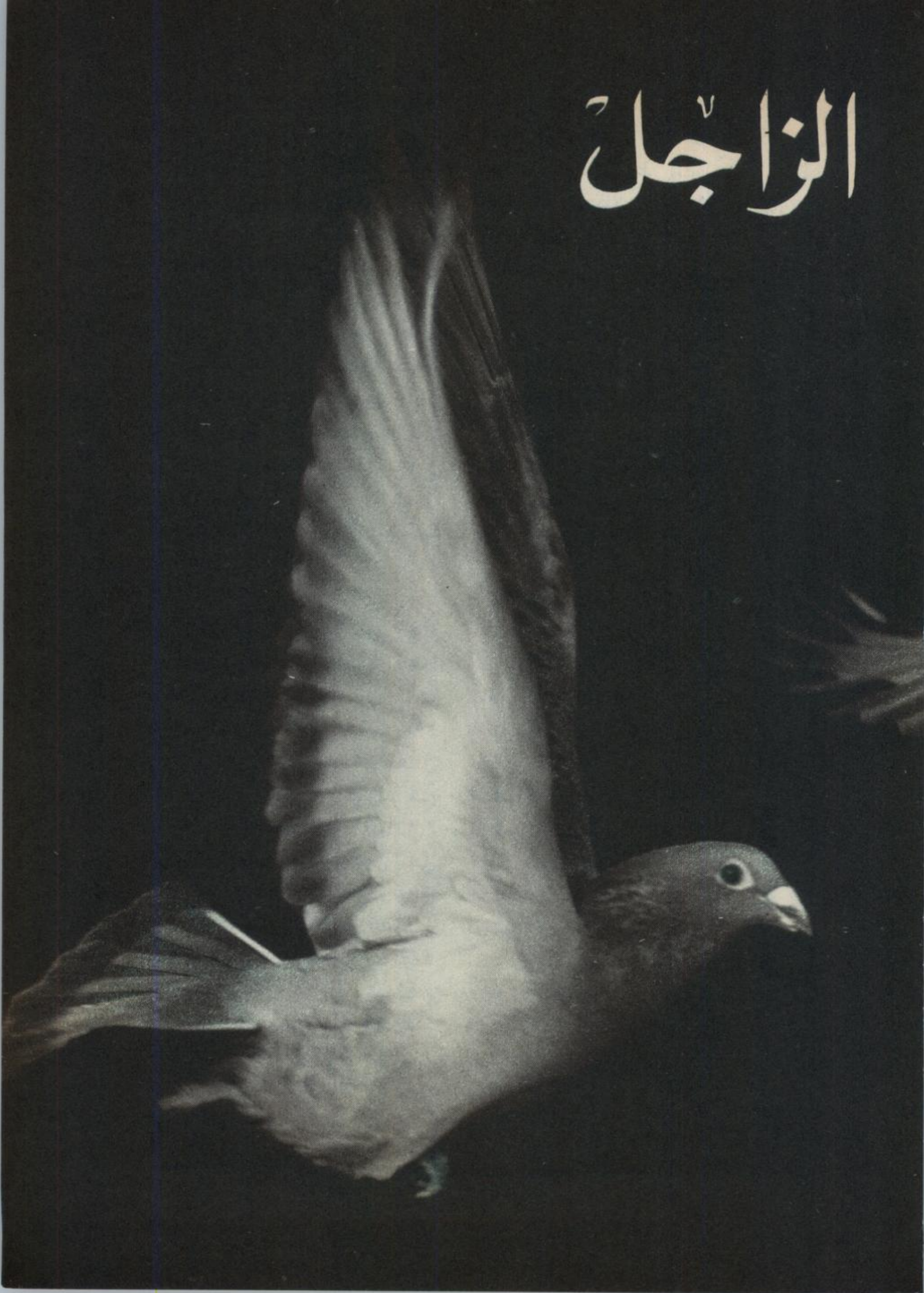
الزاجل

يتفوق في أوجه عدة على الانظمة المتوافرة في الطائرات العسكرية الحديثة. فالحمام الزاجل المدرب بعناية يستطيع العودة الى موطنه وإن أبعد عنه ألف كيلومتر. أما طريقته في ذلك فتبقى من أسرار الطبيعة الخافية علينا.

بالنسبة الى العين غير المدربة، الحمامة "٣٠٩" لا تختلف عن طيور الحمام القاطنة في ساحات المدن الكبرى منذ مئات السنين حيث واظبت علي تدنيس معالم الهندسة المعمارية. لكن القرابة بين "٣٠٩" وتلك الحمائم تماثل القرابة بين جياد السباق والحمير. "٣٠٩" هي من نوع "جانسن" أي بلجيكية من موطن الحمام الزاجل.

متسابقات صغيرات – كولن مارتن هاو جديد لسباقات الحمام الزاجل. وهنا وقائع سباقه الاول.

زرب كولن الحمامة "٣٠٩" مع ١٩ حمامة "فتية" (دون السنة) داخل قفص كبير، ونقلها في سيارة من منزله في رينولدز بولاية بنسلفانيا الى "النادي" أي مقر جمعية "كونكورس كيستون" في ريدينغ. وكان اتحاد نوادي شرق بنسلفانيا، موَّل السباق، وأحضر أصحاب الطيور ساعات توقيت معدنية مختومة ليتمَّ ضبطها بدقة، ثم عادوا الى بيوتهم حاملين ساعات التوقيت المختومة. وهكذا، عندما يصل الطائر الى موطنه، يعمد مالكه الى نزع السوار المرقم عن قائمته ويدسه في ساعة التوقيت التي تسجل وقت الوصول بدقة.

مسافة السباق ١٥٠ كيلومتراً. لكن أماكن اقامة الطيور متباينة، أي ان أياً منها لن يطير ١٥٠ كيلومتراً بالضبط. ويحتسب متوسط السرعة أمتاراً في الدقيقة. وحظيت "٣٠٩" باحدى أقصر المسافات وهي ١٠٥،٤٤ كيلومترات تفصل بين وستمنستر في مريلاند وعليتها في رينولدز. وجُعلت الحمائم في شاحنة ذات حجرات بحيث تطلق الحمامة تلو الاخرى بفارق عشر ثوان. وبدت الطيور مسرورة بالتجربة، مرفوعة الرأس، منفوحة الصدر، يقظة العينين متألقتهما، وهديلها يملأ الليل الذي غابت عنه النجوم. وكانت "٣٠٩" واحدة من ٢٨٥٩ حمامة شاركت في السباق.

أحجية علمية – كان قورش، مؤسس الامبراطورية الفارسية، استخدم الحمام في العام ٥٠٠ قبل الميلاد للاتصال بالاماكن النائية في امبراطوريته، كما اعتمدها قيصر الرومان في غزو بلاد الغال. كذلك تولى الحمام الزاجل نقل أسماء الفائزين في أولى الالعاب الاولمبية المؤرخة التي أجريت في العام ٧٧٦ قبل الميلاد.

وخلال الحرب العالمية الثانية تكثف استعمال الحمام الزاجل.

ويوم اجتاح الالمان بلجيكا في العام ١٩٤٠ أنزلوا مظليين خلف خطوط الحلفاء وقد ربطوا حمائم الى صدورهم بهدف اطلاقها في ما بعد لتعود الى موطنها حاملة نتاج عمليات التجسس.

ولا يزال الجيش الفرنسي يحتفظ بفرقة من الحمام إحياء لتراث عريق.

بدا فجر يوم السباق مكفهر الغيوم،

لكن منظميه قرروا المضي واطلاق الطيور. فعمد سائق الشاحنة الى تشغيل ثماني روافع معاً، فانفتحت الاقفاص وانطلق ٢٨٥٩ طائراً. أظلمت السماء. وحومت "٣٠٩" مرة فوق الشاحنة بهدف تحديد موضعها ثم انطلقت الى الشمال الشرقي مع بقية المتسابقين. وأغمضت جفناً ثانوياً شفافاً يقي عينيها الحمراوين من الرياح والجسيمات الصغيرة في الهواء، وخبأت قائمتيها تحت بدنها كما تفعل الطائرة بعجلات الهبوط.

لم يسبق للحمامة "٣٠٩" أن جاءت الى وستمنستر بولاية مريلاند. لكنها عرفت للحال الاتجاه الصحيح للعودة. كيف؟ يقول تشارلز والكوت عالم الطيور في جامعة كورنيل في ايتاكا (نيويورك): "هذه احدى الاحاجي الكلاسيكية في علم الاحياء."

زواج مدى الحياة – تتوافر ناحيتان أساسيتان لاسترشاد الحمام: البوصلة والخريطة. ففي الحمامة بوصلة داخلية تعطيها حاسة الاتجاه شمالا وجنوباً وغرباً وشرقاً. لكن ذلك الامر يصبح عديم الاهمية ما لم تعرف الحمامة موضعها بالنسبة الى النقطة التي تتجه اليها. ولنأخذ مثالا بشرياً: اذا عصبنا عيني شخص وجعلناه وسط غابة فانه لن يفيد من بوصلة.

يثق والكوت بأن لطيور الحمام بوصلتين: الشمس وهي الافضل في حال توافرها والحقل المغناطيسي للارض في الحالات الاخرى. وحين تكون الشمس مشعة يحدد الطائر اتجاهه من خلال تبدل موقع الشمس في السماء.

ويعتقد والكوت أن حاسة الحمام الخريطية تستند الى حقل الارض المغناطيسي الذي يبلغ ذروته في القطبين وأضعف مستوياته في خط الاستواء. وأظهرت الاختبارات في جامعة كورنيل أن طائر الحمام يفقد حاسة الاتجاه حين يحمل قطعة معدنية صغيرة ممغنطة. وقد عمد الباحثون الى تزويد طيور الحمام عدسات لاصقة وأدوات تبث إشارات لاسلكية وتتبعوها في الطائرات من أجل كشف أسرارها.

وفي اطار الابحاث الخاصة بالحمام جمع الباحثون معلومات كافية لدحض عبارة "له عقل عصفور" التهكمية للدلالة على شخص أبله أو معتوه. فطيور الحمام شديدة التأثر بتغيرات الضغط الجوي الى درجة أنها تستطيع تمييز فارق العلو بين أرض الغرفة وسقفها. فاذا علقنا موزة داخل قفص بعيداً عن متناول الحمامة، ووضعنا علبة داخل القفص، سهل تدريب الحمامة على دفع العلبة لتصبح تحت الموزة والوقوف عليها من أجل التقاط الثمرة. ونجح العلماء في تدريب الحمام على ممارسة لعبة كرة الطاولة وعزف ألحان على بيانو صغير.

ولا سر كبيراً في سبب عودة طيور الحمام الى موطنها، اذ ان الزواج بينها يدوم مدى الحياة. والذكور شديدو التمسك باناثهم، ويتشارك الزوجان في عمليتي حضانة الفراخ الناقفة وتغذيتها.

ما لا تطلبه الطبيعة – نهض كولن مارتن قرابة الساعة الخامسة صباحاً وذهب لاطعام طيوره كما يفعل كل صباح.

وهو يقول: "لا بد لي من تدريبها يومياً فأجعلها تطير بين ٣٠ و١٥٠ كيلومتراً في اليوم. ولا اكاد أعود الى المنزل حتى تكون سبقتني اليه. والحمامة "٣٠٩" ولدت في العلية، لكن مربي حمام مجاوراً اشترى أبويها بمئتي دولار.

في العاشرة والنصف صباحاً تلقى مارتن اتصالا هاتفياً يعلمه أن طيوره أطلقت الساعة العاشرة فصعد لانتظارها أمام منصة الهبوط، وهي فتحة في باب العلية تدربت الطيور على الدخول منها. وفي أيام السباق يقفل الباب بحيث يحبس الطائر العائد مدة كافية لنزع السوار عن معصمه وتحديد التوقيت.

وتطلع مارتن ناحية الجنوب الغربي وفكر: انها آتية، أراهن على ذلك!

كان ذلك في الحادية عشرة والدقيقة الثامنة والعشرين صباحاً.

اذا صحت نظرية تشارلز والكوت حول الحاسة الخريطية للحمام فان "٣٠٩" تقرأ خريطة الحقل المغناطيسي للارض من اجل التوجه نحو الشمال الشرقي. وكانت "٣٠٩" تطير بسرعة تراوح بين ٦٥ و٧٠ كيلومتراً في الساعة على ارتفاع حوالى ٥٠ متراً. وبعد ٣٠ دقيقة طيران بلغت جنوب مدينة يورك بولاية بنسلفانيا لتصل بعد أقل من ساعة الى غرب لانكاستر، أي انها اقتربت أقل من ٣٠ كيلومتراً من عليتها.

بعدئذ رأى مارتن بقعة دكناء في السماء الرمادية. لقد حامت "٣٠٩" عائدة الى العلية فبسطت جناحيها وذنبها لخفض سرعة طيرانها ثم صفقت بجناحيها لتحط على منصة الهبوط.

وعلى الفور سجل مارتن وقت الوصول بواسطة ساعة التوقيت المختومة، فاذا بها الحادية عشرة والدقيقة التاسعة والعشرون والثانية والثلاثون، اي ان الرحلة لم تستغرق اكثر من ٩٠ دقيقة بمعدل سرعة بلغ ٧٠،٦٨ كيلومتراً في الساعة او ١١٧٨،١٤٨ متراً في الدقيقة.

ذلك العصر ذهب مارتن الى النادي فعـرف ان "٣٠٩" حلت أولى بين المتسابقات في ناديه وعددها ٤٠٠. واتصل المسؤولون بالنوادي الاخرى، وأمل مارتن ان تكون "٣٠٩" فازت بالمرتبة الاولى في جميع السباقات.

لكن مارتن بدا حزيناً وهو يقود سيارته عائداً الى المنزل. قال: "في بعض المرات أشعر بالاسى حين أفكر في واقع علاقتنا بالحمام. فنحن نستغلّ حاسة هذه الطيور الكريمة بالعودة الى موطنها. لكن الطبيعة لم تسألها يوماً ان تطير ١٠٥ كيلومترات للعودة، وأنا أعوضها هذا الجهد بعناية فائقة. صحيح أن طيوري تتمتع بصحة أفضل من صحة سواها، ولكن في مقابل ما أوفره لها من حياة رغيدة أطلب منها ما لا تطلبه الطبيعة."

في اليوم التالي أبلغ مارتن أن "٣٠٩" حلت أولى بين ٤٨٥٩ حمامة مشاركة في السباق. فتلقى الخبر بابتسامة عريضة.

وليم اسنبارغر

الانسان هو الكائن الوحيد الذي يزرع نباتاً لا يأكله ومع ذلك يحصده كل أسبوع.

ف.و.

اسرار النجاح الخمسة

استطلاع للنشاطات الخلاقة الناجحة يرشدكم الى السبيل الامثل لاستغلال مواهبكم

هل هناك حقاً "شخصية ناجحة" أو توليفة من السمات تؤدي حتماً الى صنع المآثر؟ ان كان الجواب نعم، فما هي الصيغة السرية للنجاح؟ وهل في وسع أي كان أن ينميها في نفسه؟

لقد ركزنا في منظمة "غالوب" (١) على موضوع النجاح، فسبرنا مواقف ١٥٠٠ شخصية أمريكية مرموقة تم اختيارها عشوائياً. والمعيار الأساسي لشهرتها ليس الثروة أو المركز الاجتماعي، بل ما أنجزته في أحد الميادين العملية. ويحدد استقصاؤنا عدداً من الصفات المتكررة بانتظام لدى المتفوقين، وها هي خمس من أهمها:

١ الفطرة السليمة. وهي المزية الاكثر شيوعاً بين المستجوبين. ويمنح سبعة وتسعون في المئة أنفسهم درجات متفوقة في هذه الصفة، فيما يصرح ٦١ في المئة أن الفطرة السليمة مهمة جداً في نجاحهم.

وتعتبر الغالبية أن الفطرة السليمة تعني المقدرة على اصدار احكام حصيفة وعملية في الشؤون المستجدة يومياً. وللقيام بذلك ينبغي أن ينحّي المرء الافكار العارضة ويقصد تواً لب الامور. ويعبر أحد أقطاب صناعة النفط عن ذلك: "إن المقدرة الاهم الواجب توافرها للنجاح هي التبسيط. فلدى عقد الاجتماعات والتعاطي مع الصناعيين يصبح مهماً اختزال مسألة معقدة الى وجوهها الاكثر بساطة."

هل تولد الفطرة السليمة مع الانسان أم ان في وسعه أن يفعل ما يحسنها؟ جواب القطب النفطي ان في الامكان تطوير الفطرة السليمة حتماً. وهو يرد

(١) Gallup Organization

Condensed from «The Great American Success Story,» copyright © 1986 by George Gallup, Jr., Alec M. Gallup and William Proctor, published by Dow Jones-Irwin, Homewood, Ill.

فطرته الى تعلمه أصول المناقشة في المدرسة. والوسيلة الأخرى لتحسينها هي ملاحظتها في الغير، فيتعلم المرء من أخطائه وأخطائهم.

٢ معرفة حقل الاختصاص. تحل المعرفة المتخصصة في المرتبة الثانية بعد الادراك الصائب كصفة أكثر شيوعاً بين أفراد العينة المختارة. وقد منح ثلاثة أرباع المستجوبين أنفسهم درجة بارزة في هذه الميزة.

الجيولوجي فيليب أوكسلي، الرئيس السابق لشركة "تنيكو" للتنقيب عن النفط والرئيس الحالي للشركة في اوروبا، يعزو نجاحه الى عمله في حقول النفط والجلوس عند الآبار متعقباً وملاحظاً بكد واجتهاد طواقم المشتغلين بالمسابر الصوتية. وقد استقى فنون التجارة من مصادرها الاولية. وهو يقول: "أولئك الذين سيغدون مديرين مستقبلا عليهم أن يلموا عملياً بالحيل في مهنهم." وتدر عليه خبرته أكثر من ١٠٠ ألف دولار في السنة.

وقد افضت الخبرة العملية لمصور فوتوغرافي إلى اقتناعه بأهمية المعرفة المتخصصة. وهو يرى أن ادراك دور المعدات التي يستعملها وطريقة عملها جزء من نجاحه. وثمة مسألة جديرة بالملاحظة، اذ انه استقى معرفته الاختصاصية من التعلّم الذاتي وليس من التعليم المدرسي.

وينصح مدير أحدى الشركات الصناعية: "قوموا بواجباتكم، فلا شيء يزيد النجاح أكثر من معرفتكم ما تفعلون. انها تختصر المخاطر وتعتبر بمثابة شهادة تأمين على قدراتكم."

إن اكتسابكم المعرفة المتخصصة لا ينبغي الركون إليه، فعملية التعلم تستمر بعد تحديد الاهداف القصوى المطلوب بلوغها. ويشرح المدير ذلك: "كي تصيبوا نجاحاً ينبغي ان ترغبوا فيه، ثم أن تعملوا للحفاظ عليه."

٣ الاعتماد على الذات. المجلون ذوو الانجازات الكبيرة يعتمدون اساساً على براعتهم ودهائهم وقدراتهم. ويمنح سبعة وسبعون في المئة أنفسهم درجة متفوقة في هذه الصفة.

لا يستند الاعتماد على الذات إلى مشاعر المرء أو حسن طويته، بل إلى جسارته والمغامرة والحسم لتسيير الأمور في حياته. وهو يشمل قوة الارادة والقدرة على تعيين الأهداف المنشودة.

ثلثا المستجوبين ذكروا أنه كانت لديهم أهداف واضحة في حياتهم وسيرتهم المهنية. ونصف الذين تمت مقابلتهم يمنحون أنفسهم درجة متفوقة في قوة الارادة. وتنطوي هذه على عدة قدرات بينها المبادرة والمثابرة على العمل بعد بدئه.

ويصرح محاسب قانوني أسس احدى كبرى شركات المحاسبة، أن صيغة النجاح في ميدان اختصاصه ليست الفخر بما يفعله فحسب، بل الشجاعة والقدرة على الاحتمال في العمل طوال الساعات المطلوبة لانجاز الاهداف المقررة.

٤ الذكاء العام. هذه خاصية ملازمة للانجازات الرائعة لانها تشمل المقدرة الفطرية على استيعاب المفاهيم الصعبة بسرعة وعلى تحليلها بجلاء. وهذا هو تصور المشاركين في العينة المنتقاة، اذ قال ٤٣ في المئة منهم انها مقوم مهم في نجاحهم، فيما أعلن ٥٢ في المئة أنها مهمة الى حد ما.

توحي الدراسات الحديثة أن ثمة انواعاً من الذكاء لا يمكن قياسها بالسبل المعتادة كاختبارات حاصل الذكاء(٢). ومع ذلك فاللافت أن المشاركين ذوو حاصل ذكاء مرتفع يبلغ متوسطه ١٤٠.

وقد ثبتنا في استقصائنا، على نحو لم يفاجئنا، أن الذكاء العام للمستجوبين يشمل ثلاثة عناصر إضافة الى حاصل الذكاء: مفردات شاملة ومهارة في القراءة والكتابة. وتبين أن المستجوبين قرأوا في السنة التي سبقت الاستقصاء ١٩ كتاباً في المتوسط، من ضمنها عشرة في مواضيع لا تتصل بالروايات غير الواقعية.

هؤلاء المبرزون لا يقصدون المدارك المتوافرة بالسليقة اذ يتحدثون عن الذكاء. ويوجز مدير مالي مقاصده على هذا النحو: "ذهن مسؤول واهتمامات متشعبة، هي أساس النجاح."

٥ القدرة على الانجاز. ثلاثة أرباع المتفوقين الذين شملهم الاستقصاء يضعون أنفسهم في مرتبة "ذوي الكفاية العالية" في انجاز أعمالهم. ويجمعون على ثلاث مزايا على الاقل ساعدتهم في ذلك: القدرة التنظيمية، والعادات السليمة في العمل، والاجتهاد.

ويلخص أستاذ فيزياء صيغة نجاحه بمجرد "العمل الدؤوب المتماسك مع القدرة على الريادة والسبق." وهو يقر بأنه يعمل نحو ١٠٠ ساعة في الاسبوع.

إلى الصفات الخمس المدرجة اعلاه، ثمة عوامل أخرى تؤثر في النجاح هي: القيادة، الابداع، العلاقات مع الغير، والحظ طبعاً. غير أن الفطرة السليمة ومعرفة حقل الاختصاص والاعتماد على الذات والذكاء والقدرة على الانجاز تبقى الابرز.

جورج وأليك غالوب
ووليم بروكتور

(٢) حاصل الذكاء (Intelligence Quotient) رقم يمثل ذكاء المرء كما تحدده قسمة سنه العقلية على عمره وضرب حاصل القسمة بمئة.

صياد سمك

ذات مرة، بينما كنت في رحلة لصيد السمك، لاحظت رجلا مسترخياً في كرسي على حافة البحيرة، وفي احدى يديه زجاجة شراب بارد وفي الاخرى غليون. وكانت قصبة الصيد مركزة على عصاة، وخيط الصنارة يترقص على تموج الماء. واذ اقتربت منه سألته هل يومه محظوظ فأجاب: "نعم، الاسماك لم تزعجني الى الآن".

د.ك.

الرقص حرية تقفز من الطاحونة

أحد نجوم الباليه العالميين يأخذ بيدك ويشركك في أفراح رقصه

الاستوديو أبيض لامع من أعلاه الى أسفله. أرضه الواسعة المشمعة التي يضاعف حجمها جدار المرايا لم تطأها قدم راقص بعد.

أجل، نحن أمام تجديدات ممتازة وقد حظينا أخيراً بقاعة للتمرين كانت حلمنا الذهبي طوال سنوات: غرفة واسعة شامخة ذات نوافذ عالية أنيقة تغمر الاستوديو بأشعّة الشمس في هذا الصباح الخريفي البارد. الفسحة والهواء: هذا ما يحتاج اليه الراقصون للتحرُّك. إنها حاجة في دمهم. أي سخافة كانت تُرتكَب في الماضي بحق الراقصين حين كانوا يحشرونِ في أحقر المواضع في المسرح. اني افكّر في تلك الطبقة التحتية من مبنى أوبرا مونتي كارلو الشهير حيث تخلو جدران الاستوديو من النوافذ، ومع ذلك كانت خلال عدة مواسم مقرًّا لفرقة الباليه الروسية العظيمة الشهرة.

لقد طرأت تحسينات أكيدة على أحوال مهنتنا منذ عهد دياغيليف في القرن التاسع عشر. ومع ذلك، في إطار التقليد المهيمن على عالمنا، يبقى عنصر غير قابل للتغيير. اذا وضعنا جانباً الازياء والتجميل ومئات أساليب التعبير، فهناك في صدر كل راقص رغبة مسيطرة في الحركة والأداء. لذلك نقول ان الراقص لا يختار الرقص بل يراه ضرورة في حياته.

كثيرة هي الضرورات التي يواجهها الراقص. أولاها الانضباط الذي يجب أن يخضع له الطالب الناشىء ويكاد، لفترة غير وجيزة، يرجح على المتعة التي تمنحها المهنة. لكن الانضباط أمر لا بدّ منه للوصول الى الهدف النهائي وهو حرية الحركة.

وفي الاستوديو بداية كل شيء، في الفسحة الممتدّة بيضاء أمامي مثل قماشة فنان تنتظر أولى ضربات الفرشاة. أنا مولع بالبياض الموحي السلام والطبيعية. لكني أرى شيئاً ناقصاً. الاستوديو يجب أن يعاش فيه، أن يُبلى قليلا. وليس هذا بالأمر العسير، فالراقصون، مثلهم كمثل الغجَر، قادرون على مؤالفة منازلهم الجديدة بين ليلة وضحاها. في هذه الميزة يتشابه جميع الراقصين في أقطار العالم، ومع ذلك نرى

Condensed from «Lude Döring — Skizzen aus dem Ballettsaal» (Lude Döring — Sketches from the Studio), © 1985 by Belser Verlag, published by Belser Verlag, Stuttgart

كل فرقة تنجح في خلق جوّها الخاص مع مرور الزمن، هذا الجو الذي لا يلبث حتى يغزو كل الأماكن المحيطة.

مشهد ملوّن – ها أنا أحتل مكاني على العارضة وأبدأ التمرين. ثم يأتي راقصون آخرون، فرادى او جماعات صغيرة. يعرضون ملابس التمرين بألوانها المنوَّعة الرائعة، فتزدحم بهم الغرفة. ألوان من كل درجة ومن كل صنف. زرقاء، وردية، حمراء، مخطّطة، منقطة، سراويل لاصقة من الحرير أو من النايلون، سترات صوفية وأخفاف.

بعض الملابس تُطرح جانبا لاشتداد حرارة الجسم أثناء التمارين، لكنها غالباً ما تُعتمد كوسائل تهدي الى المواقف التي يتخذها الراقصون من ذواتهم ومن أجسامهم. بعضهم يثنون الثوب على أجسادهم على نحو يُبرز قسمات وتقاطيع

photo: Hannes Kilian

مُستملَحة، فيما يحاول آخرون إخفاء مناطق لا يطمئنون اليها. وكثيراً ما يكون تصرُّفهم هذا غير معتمد على مبرّرات كافية، لكن هذه المزاجيات تُعد من الخصائص المحبَّبة في الراقصين.

بالنتيجة نحن نقضي شطراً كبيراً من حياتنا في مواجهة مرآة الاستوديو الكاشفة. وفي ساعة الدرس نجيز لأنفسنا الاستمتاع بمقدار من التمويه علماً أننا وقت العرض المسرحي نخسر كل حق في الاختيار.

الغرفة تمتلئ الآن بسرعة. لم يبق أمامنا الا خمس عشرة دقيقة قبل بداية الدرس. لقد قطعنا من الموسم شوطاً كبيراً، وفي هذه الليلة علينا تأدية عرض. غير أن النقاش العام دار هذا الصباح حول انطباعاتنا عن الاستوديو الجديد. الثرثرة لا تلبث ان تتلاشى، وكل من الراقصين يباشر استعداده للعمل. وكما باشارة لا يرافقها صوت، يتحرّك الجميع ويتجلّى للعيان مشهد متعدد الالوان من الحركات التي يستسلم لسحرها أي مصمم معاصر للرقص. احدى الفتيات "تتساقط" على الارض متناثرة كقطرات ماء، وتتخذ أوضاعاً غريبة تستحضر تماثيل رودان في محاولة تحرير ساقها المشدودة. ونرى راقصاً اكبر سناً ينفتل بعنف معرّضاً ظهره للكسر، فظهره متيبّس بطبيعته واذا لم يعالج كل واحدة من فقراته قبل بداية الدرس فلن يقدر على القيام بالتمارين. وفي الجانب الآخر من الغرفة أحدث أعضاء المجموعة، انها فتاة من اليابان تبدو فعلا مثل دولاب متحرك في طاحونة هوائية وهي مكبَّة على تنشيط دورتها الدموية. وقريباً منها عدد من الفتيان عاكفون على تليين أجسامهم بالقبض على عارضات الارتكاز والترجح عليها مثل القرود.

نشوة الفن – لا يسعنا الا التسليم بأن الاوضاع التي سبق وصفها تكاد تخلو من أي عنصر جمالي. لكنها في الواقع لا تستهدف الجمال، انما غايتها ترويض الجسم وإراحة العضلات والمفاصل من تعب النهار السابق، وفي احوال قليلة من أوجاع تحدثها إصابات طفيفة.

ميزة الباليه أنه يبدو عملا هيّناً خاليا من أي جهد، لكن بلوغ هذه الدرجة من المهارة يقتضي ضغطاً فائق الوصف على الهيكل البشري خلال السنوات الخمس عشرة أو العشرين من حياتنا المهنية القصيرة. فمنذ السن الثامنة أو العاشرة تصبح عظام الراقص حسنة الرصف بفعل التمارين، والعضلات ممطوطة طيّعة لدنة تضفي على الشكل رشاقة جمالية آسرة وتُحدِث "النتيجة" أو النجاح المطلوب من راقص الباليه الكلاسيكي.

ويعود الفضل في كل ذلك الى الاوضاع الخمسة الأساسية المرتكزة على القدمين والتي ابتدعها معلّمو الرقص في بلاطات ملوك أوروبا في القرن الثامن عشر وأصبحت بمرور الزمن تشكّل ما يسمّى "الباليه الكلاسيكي." أما الغاية المستهدفة فهي فن جمال ورشاقة، وتقليد غير منقطع متحدّر من جدودنا الراقصين لا يفتأ يُملي معظم حركات الباليه المعاصر. إن التورم في عقدة ابهام القدم والذي يبقى غالباً محجوباً

تحت خف الساتان الناعم ليس في نظر الباليرينا (راقصة الباليه) الا ضريبة صغيرة تؤدّيها في مقابل الامتياز التي تناله من سنوات قضتها في اتقان فن الرقص على رؤوس الاصابع. لذلك لا بد من الدرس والتمرين اليومي على الاوضاع الكلاسيكية الخمسة، فالدرس والتمرين يؤلفان اللغة المشتركة التي جمعت الراقصين هذا الصباح. إنهما التدريب الضروري للوصول الى الحرية الصحيحة في الحركة، وهذه الحرية وحدها هي التي تحمل الحضور على تذوّق نشوة الفن.

ظباء مندفعة - ها هو معلّم الباليه قد حضر، ويبدأ التدريب. الغرفة تلزم الصمت. جميع حواسّنا تتركّز على الرجل الذي يضطلع بوظيفة الارشاد مدة ساعة ونصف ساعة من التمارين. انه ديكتاتور طيّب، لا يدع وضعاً خاطئاً يخفى عليه. في هذه الفترة يسيطر علينا جو اجلال ورهبة. الموقف هو نفسه، سواء كان في شتوتغارت أو لندن أو نيويورك. حين نتخذ وضعنا الاول على عارضة الارتكاز نُفرغ عقولنا من جميع الافكار النافلة ونتحد بالموسيقى ونندمج ببساطة التمرين الأول. بعد قليل تبدأ الاجسام تتحرك معاً منتقلة من وضع الى آخر. وتدريجاً تزداد الاوضاع تعقداً، وفقاً لمطالب المعلم، حتى يسيل العرق من كل سَم في جلودنا.

الدرس يختلف عن العرض المسرحي. يخلو من "الراقصة الاولى" ويدمج النفوس في هدف جماعي، في الطقس المسمّى "تدريباً." لا أثر فيه للتوتر والتأزم العصبي اللذين يرافقان العرض. بذلك يصبح عملا علاجياً هو في ذاته مصدر سرور. الصراع يحدث بيننا وبين ذواتنا التي تسعى يومياً الى استرداد أجسامنا وتعطيل تقنيّتنا. لأن جسم الراقص يشبه قصراً من الرمل على الشاطىء معرَّضاً لغزو الطبيعة التي لا تفتأ تطالب باسترداده وتهديمه.

الغرفة تنبض بالحركة. فرقة الرجال تمَّ تأليفها، وها هم يباشرون مهمتهم بنشاط وعزم مثل أسراب طائرات نفّاثة، ستة أو ثمانية في آن: انزلاق، كابريول(★) مزدوج، حركة خامسة، سقوط وجمع القدمين، دورة مزدوجة للركبة، وانتهى الأمر! أحد الفتيان يكاد يصطدم بآخر وكلاهما ينفجر ضاحكا لتلافيه كارثة.

ويصرخ المعلم: "إنصرفوا يا رفاق!" في حين تنقض فرقة أخرى في أعقاب الاولى. البنات اللواتي يتلقّين الدرس عادة على حدة يتحمَّسن لمظهر القوة في فِرَق الرجال. فينزلن الى الساحة لعوبات، ويواصلن ما انقطع من حركات الرجال، غير منتظرات الخطى الاكثر خفّة التي سيُطلب منهن تأديتها. ومع أنهن أقل قدرة على القفز من الرجال فان حماستهن تتبلور في رشاقة ظباء مندفعة كالسهام مقتحمة الفِرَقَ بسرعة تفوق التصديق.

السحر والشخصية - في نظر الغريب عن الموضوع يبدو التكرار الايقاعي اليومي أمراً مُذهلا. فتفكير الراقص ينحصر في الحركة وفي ما يحتاج اليه الجسم لاجتياز نهار طويل من التمارين

(★) قفزة تمتد فيها احدى الساقين في الهواء وتتلقى ضربة الاخرى.

المكرَّرة. عالمه يفرض عليه أن يعرق وأن يكون جمالياً في آن. انه يضمّد القروح اليومية ويمسح بالمرهم عضلاته المتألمة ويتساءل هل سيكون كامل الاستعداد حين يرتفع الستار؟ واذا حصل على فترة راحة من خمس عشرة دقيقة فانه يمدّ رجليه على أقرب كرسي أو يرفع الاثقال في الغرفة العليا لأن ركبتيه اصطكتا حين رفع فتاته في الامس. أما الفتيات فيجلسن ويخطن أشرطة الزينة على الاخفاف الجديدة.

بعض الراقصين يواجهون عملهم بأسلوب فكري مدهش فيما يعتمد آخرون غرائزهم الطبيعية التي شحذتها سنوات الخبرة وصقلتها. في كلتا الحالين تبقى المحطة التالية في طريق الانجاز هي الاعادة والتمرين، لا لساعات وأيام بل لاسابيع وأشهر لا بدّ منها لاتقان الخطى وأعمال رفع الاجسام التي اخترعها واضع الرقصات.

تمرين أخير – ها نحن على خشبة المسرح قبل بدء الحفلة بخمس عشرة دقيقة. لم أشعر بمرور الوقت. الغداء العاجل والزيارة السريعة للسوق والنومة القصيرة والاستحمام الأقصر. "تنفّسوا بعُمق! تنفّسوا بعمق!" ها هو الفكر النشط في اللاوعي آخذ في إعداد الدور، وينعكس ذلك في حركاتي الصغيرة بل في الطريقة التي أنقل بها قدمي. وحتى في هذا الوقت تبقى الناحية الاخرى من الفكر تؤدي آخر عمليات الفحص والتدقيق: هل الحذاء مُلصَق جيداً بالفِراء؟ هل المشط ومستحضرات التجميل في مكانها على الطاولة الجانبية في غرفة تغيير الملابس؟

"من فضلكم، خذوا أماكنكم!" تجربة واحدة اضافية. آه، لقد أعادت اليَّ نشاطي. في ظني اني لم أكن على ما يرام في تمارين هذا الصباح من حيث قوة الاحتمال. "أنت، أنت، أنت،" تنتقل هذه الكلمة من فم الى آخر ومن كل ناحية، بينما الراقصون غير المطلوبين في المشهد الأول يختفون في الفجوات المظلمة الجانبية في المسرح. يدخل قائد الفرقة الموسيقية ويقابَل بالتصفيق. يخيّم الهدوء على الحضور. خلفية المسرح تسبح في ظلام دامس، لكن شعوراً حميماً يلفّنا وسط العتمة. ومرة أخرى تغمرني تلك السكينة التي أشعر بها دائماً قبل أول تمرين صباحي، ويهيمن عليّ جو من الاطمئنان. ينتابني الفراغ الذي يعدّني للامتلاء بدَوري. أخيراً، ها هي بداية الساعات الثلاث التي لأجلها يعيش كل راقص.

ينفتح الستار لتمثيل رائعة "أونيغين" لتشايكوفسكي. هيّا! أطلقوا لنا حرية الرقص!

ريتشارد كراغون

الكاتب راقص منفرد في فرقة شتوتغارت للباليه التي قدمت عروضاً في أنحاء العالم. وفي العام ١٩٨٥ حاز جائزة مجلة "دانسماغازين" المرموقة.

ليست الغيرة حباً للغير بمقدار ما هي حب للذات.

ل.ر.

حكايات من العالم

ملاجىء سويسرا

سويسرا ماضية في وضع برنامج يؤمن لشعبها الحياة في حال الحرب. قبل عشرين سنة اخذت على عاتقها أن يكون هدفها للسنة ٢٠٠٠ تمكين جميع السكان من الوصول سالمين الى ملاجىء في مباني سكنهم أو في أماكن مجاورة. حتى الآن تمّ بناء خمسة ملايين ونصف مليون ملجأ لخمسة وثمانين في المئة من السكان.

القانون يقضي بأن يكون كل مبنى مجهزاً بملجأ ضد تأثيرات الحرب العادية أو الكيميائية او النووية. اما حيث لا مجال لاقامة مثل هذه الملاجىء فيفترض ان تبني السلطات المحلية ملاجىء يمكن الوصول اليها خلال عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة. أكثر هذه الملاجىء تأثيراً في النفوس ملجأ سوننبرغ الذي يستوعب اثنين وعشرين الفا.

أما في حال حصول هجوم بأسلحة ذات تأثيرات مستمرة، كانتشار الاشعاع الذري أو الغاز السام، فثمة امكان للبقاء في الملاجىء أياماً أو أسابيع، نظراً الى ما يتوافر في كل ملجأ من مخزون غذائي يكفي لثلاثة أيام علاوة على ما يحمله الناس من مواد غذائية. وللملاجىء ايضاً منافع ايام السلم، فهي تكون مستودعات أو مواقف للسيارات.

وكالة "رويتر"

قصر سلطان بروني

مودا حسان البولقيه معزّ الدين سلطان بروني يحكم احدى أصغر الدول المستقلة في العالم وتبلغ مساحتها ٥٧٦٥ كيلومتراً مربعاً. اما قصره الجديد الذي يحوي ١٧٨٨ غرفة والمشاد على ربوة مشرفة على العاصمة فيعتبر أضخم مقر ملكي في الدنيا.

هذا القصر الذي قدرت تكاليفه بـ ٣٥٠ مليون دولار يتألف من أربعة مبان متداخل بعضها في بعض ومكونة من ثلاث طبقات وتبلغ مساحتها الارضية حوالى عشرة هكتارات. وتعلو القصر قبتان مغلفتان بصفائح ذهبية. وهو قائم وسط حديقة طبيعية مساحتها ١٤١ هكتاراً. هذا القصر بأبهته، وبعروشه الاربعة تحسباً لزيارة ملك وملكة أجنبيين، هو مركز القوة في أمة صغيرة جداً.

"نيويورك تايمس"

مَاذا تفعلون عنْدَما يتشاجرُ أولادكمْ؟

المنافسة بين الأخوة أمر مزعج لكنه طبيعي وقد يكون مفيداً إذا عرف الاهل كيف يواجهونه

علت أصوات شجار بين ولدي كارين فهرعت من غرفة الطعام للتوسط بينهما. ولدى عودتها تمتمت: "ليتهما لا يتشاجران كثيراً، فأنا أحبهما متقاربين متحابين ولكن مهما فعلتُ فانهما لا يتوافقان."

كارين ليست الوحيدة في همّها، إذ ثمة كثير من الأهل يشاطرونها شعوراً متزايداً بالاحباط عندما يفقد العقاب والثواب تأثيرهما البعيد المدى في المشاجرات بين الأخوة. لكن خبراء كثيرين يرون أن لا مفر من بعض المشاجرات التي تهدف الى لفت أنظار الاهل وتكوين شخصيات الاولاد، وأنها يمكن أن تكون مفيدة لهم.

بعض الاهل يخشون أن ينمّي أولادهم شعوراً بالنفور من أشقائهم مدى الحياة. لكن ثمة خبراء يصرّون على عدم صحة ذلك، مضيفين أن الاهل يمكنهم المساعدة في جعل المشاجرات الاخوية ذات تأثير مفيد في حياة أولادهم.

المشاجرات الاخوية يمكن أن تعلّم الاولاد كيف يتصرفون في حالات التنافس. يقول عالم النفس آرنولد دالكي: "يتعلم الاولاد من المشاجرات الاخوية طريقة التفاوض عندما يريد شخصان الحصول على الشيء ذاته أو على أشياء مختلفة." ومن خلال العلاقات مع الاخوة والاخوات يتعلم الاولاد أيضاً كيف يتقبلون نتائج تنافسهم مما يرونه من حزن على وجوه الخاسرين ومن شعورهم بالخيبة في حال الاخفاق.

المنافسة الاخوية قد تؤدي الى اكتشاف الذات. ويواجه الاولاد من خلالها حقيقة التفاوت بينهم، كذلك قوتهم وضعفهم،

Condensed from Woman's Day (September 2, '80)
© 1980 by Fawcett Publications, Inc., New York, N.Y.

فيصححون أخطاء الآخرين ويرفضون تمثيل دور المرؤوسين ويصرون على أن تسمع أقوالهم، وكل ذلك جزء من تنمية شخصياتهم. فتعلم رؤية التفاوت على نحو ايجابي يمكن أن يؤدي الى ازدياد وعيهم للذات واحترامها.

وعلى سبيل المثال، مايكل هو ابن أوسط لقي وضعه صعباً، اذ يأتي ترتيبه بين أختين: ليندا المجتهدة وتينا الصغيرة الفاتنة. وكانت ليندا انزعاجه الاكبر، وهو يقول: "كانت تحصّل علامات جيدة وتفوز في مسابقات الانشاء. لقد أعجبتُ بها لكنني شعرت بأنني نكرة." وذات ليلة تغيّر كل شيء عندما دخل مايكل غرفة الدرس في البيت ليجد ليندا باكية ووالدها يعلمها بنفاد صبر. بدت ليندا عاجزة عن فهم مادة الجبر، في حين كان مايكل يستوعبها جيداً: "لقد أعجبت بفكرة أن في امكاني عمل أمر تعجز عنه ليندا. وبدأ والدي يعيرني انتباهه، فكنا نتقاسم حبنا للرياضيات، وهذا الامر عنى لي كثيراً."

ويرى دالكي أن "الولد لدى تفحص مركزه بين أفراد العائلة تتاح له فرصة رائعة لرؤية نفسه في موقع فريد." وبمساعدة الاهل ينظر معظم الاولاد الى مواقعهم الفريدة نظرة راغبة فيها.

المشاجرات الاخوية يمكن أن تعطي الاهل إيضاحات قيّمة لمشاعر الاولاد وحاجاتهم. بعدما بلغ بيتر الصف الثاني تطورت مشاجراته مع أخيه ذي السنوات الاربع. وتذكر والدته: "كان يأتي من المدرسة ويضرب كيفن أو يصرخ في وجهه من دون سبب." وبعد أسبوع من المشاجرات أخذت الام ابنها الاكبر جانباً وسألته عن سبب غضبه فترقرق الدمع في عيني بيتر ووجدت أمه في نهاية المطاف أن متاعبه الحقيقية كانت مع مدرّسه الجديد.

يقول أستاذ طب الاطفال الدكتور موراي كابلمان: "إن مشاجرات الاخوة مأمونة لأن أحد الوالدين يكون عادة في المكان ليحكم بين الاخوة الذين ينزعون الى المغفرة اكثر من الاصدقاء. وهذا التصرف يساعد الاولاد في معالجة غضبهم وكبتهم بوسائل بنّاءة."

وغالباً ما تتفاقم مشاجرات الاخوة عندما يشعرون بكبت أو بعجز، خلال عملية طلاق الوالدين وبعدها أو لدى زواج أحد الوالدين ثانية أو انتقال العائلة الى مكان آخر أو بعد ولادة أخ جديد. ويقول اختصاصي بشؤون الزواج والعائلة: "عندما يضايق أحد الاولاد أخاً أو أختاً أكثر من المعتاد على المرء أن يتساءل: ماذا يريد ولدي ولا يستطيع الحصول عليه؟ ماذا يريد ولدي ولا يستطيع طلبه؟"

مشاجرات الاخوة تعلم الولد كيف يغفر ويحب ويثق بالآخرين. يقول دالكي: "المحبة والمشاجرة ليستا ضدين. فالاولاد يتلقون دروساً في التربية من أهلهم إثر مشاجراتهم الاخوية."

والاهتمام الكبير الذي يخزنه الاخوة بعضهم لبعض يظهر غالباً في أوقات الشدّة، حين يدهش أحدهم الحاضرين بتصرفه إذ ينبري لنصرة شقيقه والدفاع عنه. وهذه إشارة سليمة تدل على أن ثمة رابطاً بين الاولاد هو شعور عائلي حقيقي.

ومشاجرات الاخوة يندر أن تكون لها بداية ونهاية واضحتان. ومن غير المجدي توجيه اللوم الى أحد المتشاجرين. "من بدأ الشجار؟" سؤال عديم الفائدة. اذاً، متى يجب التدخل وكيف؟ اليكم ما يوحي به الخبراء.

ضعوا حدوداً مناسبة للتصرفات لا للافكار والمشاعر. جوان التي وضعت مولودة جديدة تحاول ثني ابنها جيف ذي السنوات الثلاث عن القول انه لا يحب أخته الجديدة. وهي تشتكي: "أقول له يجب عليه أن يحب أخته الصغيرة، لكنه يصر على أن أعيدها من حيث أتت. حتى انه لكزها في وجهها في غفلة مني."

في امكان جوان أن تخاطب ابنها: "أفهم غضبك عندما تأخذ أختك قسطاً كبيراً من وقتي. فلا بأس إن غضبت، لكن عليك ألا تلكزها في وجهها أو أن تؤذيها في أي نحو. لن أسمح بذلك أبداً." وفي امكانها التحدث الى ابنها وتخصيص وقت له وحده في ما بعد.

قليل من الضرب والقرص والدفع ليس بالكارثة. وفي هذا تقول كارولين كالادين وهي عاملة اجتماعية وأم لأربعة أبناء ومؤلفة كتاب "تنشئة الاخوة" بالتعاون مع زوجها: "نحن لا نتدخل بعد قرصة أو دفعة بين أخوة، وان لم يكونوا متكافئين، بل ندعهم يتدبرون نزاعاتهم. واذا تعدى الامر ذلك أعطينا كلا منهم عملا في البيت أو أرسلناهم الى غرفهم ريثما يهدأ غضبهم."

أمّا اذا أدّت المشاجرات الى أضرار أو تحطيم ممتلكات، فساعتئذ يتوجب تدخل سريع وحازم. غريغ صبي في الخامسة من عمره كان يشعر بحسد من أخته التي نالت اهتماماً في اثناء تحضيرها أول عرض باليه ستؤديه. فعمد الى اخفاء حذائها ولوى عصابة شعرها. يقول دالكي: "أفضل ما يفعله الاهل تركيزهم على المسلك أو التصرف ومساعدة الولد في اظهار شعوره. فيتوجب سؤاله مثلا: هل أنت غاضب لان اختك تؤدي عملا مميّزاً؟ أنا أتفهم شعورك، لكن ما تفعله غير مقبول."

أدوا دور الوسيط لا دور الحكم. الأهل الذين ينحازون في مشاجرات الاخوة يزيدون من حدتها. وفي معظم الاحيان يستطيع الاهل مساعدة أولادهم بتشجيعهم على حل مشاكلهم.

يقول الدكتور كابلمان: "في وسع الأهل في أفضل حال التوسط في مشاجرة بين أخوة بالاستماع من غير انحياز. حاولوا أن تكونوا هادئين وموضوعيين. اطرحوا أسئلة مثل: ماذا حدث؟ لماذا يحدث هذا؟ كيف السبيل الى اصلاح الوضع؟"

وتوافق كالادين على أن البقاء خارج المشكلة أمر مهم. وتنصح الاهل: "انها مشكلة الاولاد لا مشكلتكم. عليهم هم ايجاد الحل. بالطبع يمكنكم حفزهم على ذلك من طريق نزع اللعبة المختلف عليها، مثلا، أو منعهم من مشاهدة التلفاز حتى يتوصلوا الى حل مرض."

لتكن معاملتكم لاولادكم فريدة وعادلة بدلا من أن تكون متساوية. إن معاملة متساوية قد تكون مسيئة للاولاد. فبعضهم أقوياء

والبعض الآخر يحتاج الى مساعدة. واذا بقي ولد عرضة لانتقادات من أخ، فيجب أن ينال عوناً لمواجهة ذلك. ومثل هذه الحماية قد تعني المساعدة على تصحيح صورته الذاتية من طريق التأكيد له أن لكل ولد صفات حسنة وصفات سيئة. وقد يعني ذلك اجبار الاخوة على وقف تصرف معين، مع التفسير لجميع المعنيين لماذا قد تكون المعاملة الخاصة ضرورية.

عندما تبين أن سيندي البالغة من العمر سبع سنوات مصابة بداء السكري، بدأ أخواها يسخران منها بفعل الحسد، لأنها كانت تنال رعاية فائقة. ولما كانت سيندي تعيش تحت وطأة الحميـة والعلاج، فقد انتابتها نوبات بكاء وأحلام مزعجة.

وتقول الوالدة: "في نهاية المطاف جلست الى جانب ابني البكر وابنتي وطلبت منهما المساعدة. أخبرتهما أنني أتفهم شعورهما بالاهمال، لكنني لا أستطيع السماح لهما بصب غضبهما على سيندي. وصممت أيضاً على أن أقضي معهما مزيداً من الوقت."

من جهة أخرى، محاولة حماية ولد من آخرٍ قد تلحق أذى بالاثنين معاً. مارك ولد مجلٌ غير أنٍ علامات أخيه جايسون الاصغر منه سناً هي دون المعدل. وقلق والداهما من أن نجاح مارك قد يسبّب لجايسون شعوراً بالاخفاق، فحرصا على عدم مدح مارك أبداً. ثمة خبراء يظنون أن هذا خطأ، إذ يستأهل الناجح اطراء. وعلى الوالدين تشجيع ولدهما المقصّر لتعويض تقصيره في مجالات أخرى.

إن تدليل أولادكما والتوسط بينهم في مشاجراتهم تحدٍّ رائع ومفيد. والافادة تظهر عندما يكبر الاولاد لا ليتنافسوا بنجاح فحسب، بل ليقوِّم كل منهم الآخر كفرد مميز وصديق مدى العمر.

إيلين أم شابة تنتظر مولودها الثاني، وهي لا تنزعج من احتمال قيام مشاجرات في المستقبل بين أولادها: "أعلم ان ذلك سيحدث. أختي وأنا قضينا طفولتنا معاً في عراك وبكاء وسماح وضحك. واليوم تعتمد احدانا على اخرى. وأنا أتمنى الامر نفسه لاولادي، وكلي استعداد لبذل قصارى جهدي من أجل أن يتحابا ويصبحا أصدقاء مدى العمر."

كاثلين ماكوي

منبهات مثلجة

يكاد يستحيل علي كل صباح ايقاظ زوجي للذهاب الى عمله. ولدى زيارتنا والديه في عطلة نهاية الاسبوع سألت أمه عن الطريقة التي اعتمدتها في مواجهة هذه المشكلة طوال سنوات، فأجابتني: "البلل (الكرات الزجاجية) كنت أحتفظ بكمية منها دائماً في البراد."

فسألتها متعجبة: "وما شأن البلل في البراد؟"

عندئذ التفت زوجي وقال لي: "هل حدث أن دسّ أحدهم بللاً مجلدة في فراشك؟"

ش.م.

لا شيء يفوقه في توطيد الصداقة بين الجيران

الرّواق الأماميّ

الرواق الأمامي. كلمتان هما الاكثر إيحاء وتلازماً مع المنازل الريفية وفترات بعد الظهر المشمسة.

ليس الرواق غرفة داخلية أو خارجية، بل هو صلة الوصل بين العائلة والجيران. فلا تقام هناك مناسبات اجتماعية كبرى، بل مبادلات يومية كالكياسات اللطيفة التي توثّق الأواصر بين الجيران.

وحين صار الناس يمضون الأمسيات داخل منازلهم أمام أجهزة التلفزيون، فُقدت تلك الصلة، أو لنقل أبدلت بأخرى إلكترونية. ولكن أي جهاز تلفزيوني يستطيع الحلول مكان عبارات الجيران: "أهذا حفيدك الجديد؟" "هل بلغتك أخبار التوأمين؟" "ليلة سعيدة، هل تنشقت رائحة دوار الشمس والياسمين؟"

إني أذكر جدي ابان الحرب العالمية الثانية. كان يمضي فترات بعد الظهر جالساً الى طاولة يلعب بورق الشدة (الكوتشينة) في رواق منزله أو يكتب رسائل الى أبنائه الأربعة. كان آل مع سلاح المشاة في أوروبا وإدي مع سلاح الجو في المحيط الهادىء وبيل في معهد للمدفعية غرب الولايات المتحدة وجاكي طالباً في مدرسة حربية جنوب الولايات المتحدة، لذا علّق جدي علماً صغيراً تزينه أربع نجوم بيضاء وسط الفتحة الأمامية من الهيكل الخشبي لرواقه ذي الجانبين. فكان كل عابر سبيل يعرف أن لجدي أربعة أبناء في الجيش.

"كيف حال الأولاد؟" عبارة كثيراً ما سمعتها توجه الى جدي فيما أنا أرسم طائرات مقاتلة على طاولتي الشبيهة بتلك التي يجلس اليها. وكان يجيب: "جاكي سيأخذ اجازة بعد اسابيع. عرفت من رسالة آل الأخيرة أنه في مكان ما من فرنسا. بيل وصل الى لاس فيغاس في مأذونية لمدة ثلاثة أيام. أما إيدي فلا نعرف أين هو. لكن الصحف تحدثت عن صراع محتدم في جزر مارشال وآمل ألّا يكون هناك."

وذات يوم وصل ساعي البريد وسلّمنا برقية من وزارة الحربية الأمريكية. كان إيدي في جزر مارشال آنذاك حيث أصيب بجروح. وقد نجح الأطباء في إنقاذ حياته، لكنهم اضطروا الى بتر إحدى ساقيه.

Illustration: Bob Dacey

ومنذ ذلك الحين تبدلت أسئلة الجيران والمارين بالرواق وباتت من نوع: "كيف حال إدي؟"

لقد تتبعوا التطورات، منذ نقله على متن الطائرة - المستشفى الى الولايات المتحدة حيث أدخل المستشفى العسكري في باتل كريك بولاية ميشيغان الى حين وصول عروسه الفتية من مساتشوستس للاقامة مع أهله. وذات يوم عاد إدي وجلس في الرواق الأمامي. وحرص عابرو السبيل على منحه بعض الخصوصية متوخين أقصى درجات اللباقة في تصرفاتهم. فهم شعروا بحاجته الى الوحدة، بمقدار اهتمامهم بدور الرواق في تأمين الترابط بين العائلة والمجموعة التي تعيش العائلة في كنفها، خصوصاً أن إدي من أبناء تلك المجموعة وقد أصيب أثناء خدمة وطنه. وفي النهاية بات إدي يشعر برغبة في دعوة الناس الذين عرفهم قبل الحرب لكي يتحدث اليهم.

وكان الرواق المكان الأمثل للمطالعة من دون شعور بالوحدة. فبين صفحة وأخرى يسهل على إدي تسريح نظره في الطبيعة ومراقبة الغيوم تتجمع في السماء ومناقشة ساعي البريد في تحديد الوقت المتوقع لهبوب العاصفة. وعندئذ يمكنه مراقبة الجيران يهرعون لاتقاء المطر فيما هو جالس في مأمن.

وهناك أيضاً مقعد كبير للبالغين يتيح لهم مراقبة أولادهم يلهون. حتى الجدود المستريحون في مقاعدهم الوثيرة أو كراسيهم الهزازة يشاركون في الحياة الشابة التي تنبض حولهم بحيث أن مساهمتهم في الأحاديث الدائرة توفّر أكثر التفاصيل غرابة.

وكل من كان يذهب للقاء حبيبته في "عهد الرواق الأمامي" يذكر اجتماع العائلة كاملة فيه. وهكذا كان لا بد من لقاء جميع أفرادها في انتظار نزول الفتاة من غرفتها. وحتى بعد العودة من النزهة كان الشاب يأمل ان يكون الأهل أووا الى الفراش، وعندئذ يوفر الرواق الأمامي مسرحاً ممتازاً لبعض المغازلة، خصوصاً في المكان الأمثل أي الأرجوحة المدلاة من السقف بسلاسل. ولكن قلما نصادف أهلا لا تصدر أرجوحتهم المدلاة صريراً ينبئهم بما هو جار في رواقهم الأمامي.

واليوم، حين نخرج من غرفة التلفزيون أو غرفة التسلية، يتجه معظمنا للجلوس في الفناء أو على مقربة من موقد المشاوي حيث تحجبنا جدران أو أسوار أو شجيرات عن أعين الجيران.

إلّا أن ثمة خاصية لا توفرها مشاوي الفناءات الخلفية، لذلك قررت، قبل ولادة حفيدي الأول إضافة رواق أمامي الى منزلي. وهكذا سيمكنني، على غرار جديّ قبلي، سماع كلمة اتصال من عابر سبيل: "عمت مساء يا جون! أهذا حفيدك الجديد؟"

جون كالهين

- المعلم: "هناك عشر ذبابات على الطاولة. اذا قتلت إحداها، فكم يبقى؟"
- التلميذ: "واحدة يا أستاذ. الذبابة النافقة."

م.ك.

فتن طبيب الاسنان بيويو من خشب الورد فاندفع باحثاً في أعماق الكتل الدائرة

اليويو المثالي

تبسم توم كون عندما فتح حقيبته للتفتيش في مركز "ايمس" للابحاث التابع لوكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا) في موفيت فيلد بكاليفورنيا. وضحك الحراس اذ رأوا الحقيبة ملأى بقطع اليويو.

لكن كون أتى في مهمة خطيرة، جاء يطلب استشارة فنية وربما مادة مصنوعة لعصر الفضاء قد تساعده في بحثه عن اليويو الكامل.

اليويو دولاب موازنة (١) بسيط وأنيق مشدود الى خيط، يتألف من قرصين محدبين موصولين بمحور لف عليه الخيط. يعقد اللاعب طرف الخيط على اصبعه ويسقط اليويو فيأخذ هذا في الدوران هبوطاً وصعوداً بينما يلتف الخيط ويرتخي.

كون طبيب أسنان في سان فرنسيسكو فتن باليويو منذ طفولته. وهو فاز في مباراة محلية في ديترويت بولاية ميشيغان عام ١٩٥٠ نظمتها شركة "دنكان" للالعاب التي كانت، ولا تزال، كبرى شركات صنع اليويو. وكانت الجائزة يويو من فضة لؤلؤية مرصعاً بحجر الراين، وهو ألماس زائف.

---

(١) Flywheel

Illustration: Ilene Astrahan

عام ١٩٧٦ أعطاه صديق يويو مصنوعاً من خشب الورد. ويذكر كون: "لم أكن رأيت يويو منذ سنين. وكان ذلك اليويو جميلا يلذ به اللعب اكثر من النماذج البلاستيكية. الا أن محوره انكسر بعد يوم واحد." ولم يتمكن كون من اصلاحه ولم يجد سواه مماثلا في الجودة، فعزم على أن يصنع واحداً في مشغله في البيت.

واجهت كون مسائل لم يكن من السهل حلها. منها أن اليويو كان يصنع سابقاً والخيط مثبت الى محوره. ثم، قبل خمسين سنة، ادخلت شركة "دنكان" الى السوق نموذجاً لفّ فيه الخيط بارتخاء على المحور بدلا من أن يكون موصولا به. وهذا التجديد سمح للاعب بأن يجعل اليويو "ينام،" أي يدور في مكانه على طرف الخيط بعد اسقاطه. بذلك توسعت آفاق لاعبي اليويو وطورت طرق معقدة و"حِيَل" كثيرة وازدادت البراعة في استخدام اليويو "النائم." لكن كون تساءل عن القطر المثالي لمحور اليويو. وهذا التساؤل قاده مباشرة الى عمق فيزياء اليويو.

حِيَل وألعاب - المبدأ الاساسي في لعبة اليويو هو حفظ الطاقة. فاليويو المستريح في اليد يملك طاقة كامنة(٢) وعندما يفلت تنبعث فيه هذه الطاقة من خلال جاذبية الارض. فاذا قُذف اليويو أضيفت الى قوته الكامنة قوة القذف الحركية(٣). ويقال ان لاعبي اليويو الماهرين قادرون على جعل اليويو يدور ثمانية آلاف دورة في الدقيقة.

عندما يهبط اليويو تتوزع طاقته في اتجاهين: الطاقة الانتقالية في تحركه نحو الارض والطاقة الدورانية وهو ينزلق عن الخيط نزولا. وكلما صغر قطر المحور زادت دورات اليويو وخفت سرعة سقوطه، أي ان المحور الارفع يخفض طاقة السقوط ويزيد طاقة الدوران.

قبل أن يفقد اليويو قوة دورانه يرجعه اللاعب بحركة سريعة من اصبعه، فتعمل الحركة على رفع اليويو بلطف مسافة قصيرة مما يخفف الضغط النزولي للمحور على الخيط، أما قوة التحرك الزاويّ(٤)

---

(٢) Potential energy

(٣) Kinetic energy

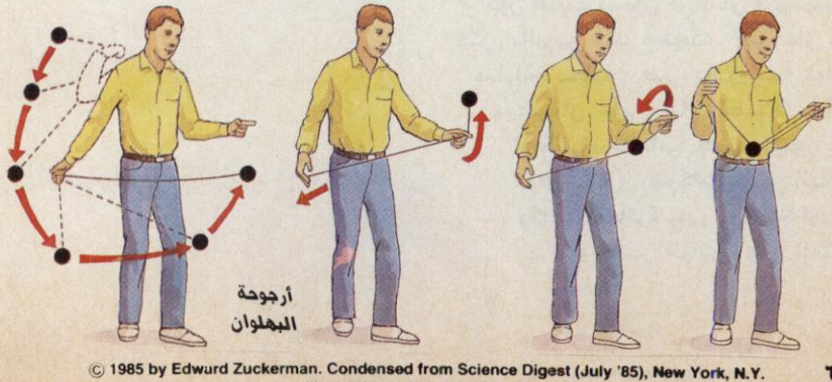

© 1985 by Edwurd Zuckerman. Condensed from Science Digest (July '85), New York, N.Y.
Illustrations: Network Graphics

فتبقيه دائراً في الاتجاه ذاته. وبينما يدور اليويو بحرية يلتف الخيط بارتخاء على المحور الدائر، وعندما يرفعه اللاعب ثانية بحركة سريعة وبعكس الجاذبية، يلتف الخيط بشدة. وبفعل الاحتكاك تنعقد الأنشوطة ويدور اليويو وهو آخذ في الارتفاع.

المحور هو الوصلة الضعيفة، فكلما ازداد رقة ازدادت جودته، أي طال نوم اليويو. ولكن اذا زادت الرقة زادت سهولة الانكسار. لذلك أجرى كون تجارب بمحاور يراوح قطرها بين ثمانية أعشار السنتيمتر وأقل منها تدريجاً بخفض خمسة وعشرين في الالف من السنتيمتر. وانتهى أخيراً الى اعتماد محور مخدد في وسطه ويبلغ قطره ستة أعشار السنتيمتر.

هناك حيل مختلفة وكثيرة وكل منها يلائم نوعاً خاصاً من اليويو. ويشرح كون: "عندما يؤدي اليويو ألعاباً دينامية من نوع "أنشوطات القمر" و"برسيمة بثلاث أوراق" (٥) فانه يسبح في الهواء كصحن طائر صغير. ولا يهمك أن ينام أو لا ينام، بل ترى نفسك أكثر اهتماماً بنعومة دورانه وثقله وشكله. لكن بعض حِيَل الخيط مثل "شطر الذرّة" و"فاتلة الدماغ" (٦) يقتضي استعمال يويو ينام وقتاً طويلا، فيُستخدم هذا الوقت في استنباط تشكيلات من الالعاب. وهناك حيل مثل "رجل على أرجوحة البهلوان" (٧) تقضي بالتقاط اليويو على خيطه، ويساعد في ذلك وجود فاصل واسع بين شطري اليويو.

تصنع شركة "دنكان" للالعاب نماذج عدة بحسب المقتضيات. لكن كون طلب صنع يويو يعمل في جميع المناسبات. فجاء الحل في منتهى السهولة: يويو يمكن تفكيكه واعادة جمعه. ان يويو كون "نو جايف ثلاثة في واحد" (٨) يمكن جمعه في ثلاثة أشكال: الشكل الكلاسيكي للالعاب الدينامية، وشكل الجمل الطائر ذو الفاصل الواسع لالتقاط اليويو على

(٤) Angular momentum
(٥) «Lunar Loops» and «Three — Leaf Clover»
(٦) «Splitting the Atom» and «Brain Twister»
(٧) «Man on Flying Trapeze»
(٨) No Jive 3 — in — 1

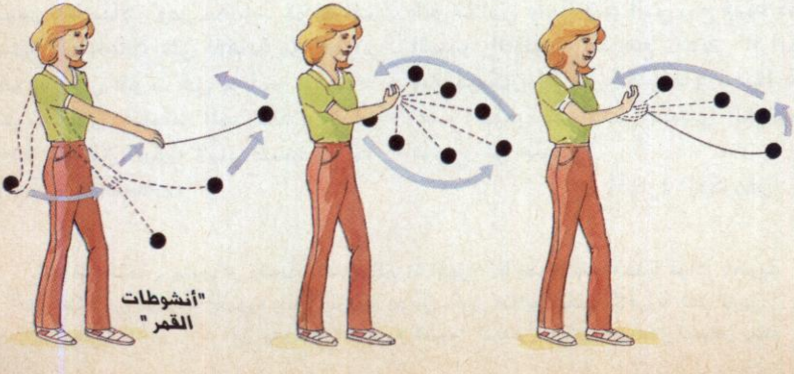

خيطه، وشكل غير مألوف يدعى "باغودا يو" حيث يكون أحد قرصي اليويو مقلوباً والآخر على حاله.

الخشب هو الافضل - في عالم مثالي يستمر اليويو في الدوران الى الابد. لكننا نلعب في عالم حقيقي، حيث السرعة الاساسية والثقل والاحتكاك تحدد مدة الدوران.

والاحتكاك هو العامل الذي يخفف سرعة اليويو ويفضي به الى الجمود و"الموت". وهو الذي حمل كون على التوجه الى "ناسا."

واضح أن المحور الناعم يسبب أقل مقدار من الاحتكاك ويعمل على الوجه الافضل. لذلك صنع كون بعضاً من نماذجه الاولى بمحاور معدنية. اليويو النحاسي كان ثقيلا جداً، اما النماذج التي صنعت من ألمينيوم وفولاذ فلم تعمل بالجودة التي عمل بها نموذج خشبي سابق.

أخيراً اقترح عليه أحد زبائنه في عيادة طب الاسنان أن يتصل بوكالة "ناسا." وهذا ما فعله، وتكلم مع والتر غولدنرات المستشار الفني في مركز "ايمس" للابحاث. ومن مهمات غولدنرات تشجيع الصناعات على الافادة من المواد الجديدة التي طورت في برنامج الفضاء.

جرب كون المواد المختلفة. وقذف أنواعاً عدة من اليويو لايام مستخدماً ما يربو على مئة نموذج. لكنه لم يجد أفضل من الخشب.

أخيرا حصل الحدث الكبير وتوصل كون الى ما يصبو اليه. وهو يتذكر: "عزمت على صنع يويو بمحور خشب يمكن ابداله. وكل يويو من نوع "نو جايف ثلاثة في واحد" يباع اليوم في أنحاء العالم مزوداً ثلاثة محاور تركّب عند فك قرصيه."

يشكك بعض العلماء في أن اليويو الخشبي ينام أكثر من سواه. ويؤكد ريتشارد برانت وهو عالم فيزيائي بجامعة نيويورك أن "مُعامل الاحتكاك(٩) بين الخيط والمعدن الناعم أقل منه بين الخيط والخشب ولا جدل في ذلك."

وليست لدى كون أي فكرة لماذا ينام الخشب على نحو أفضل، لكنه يشدد على أنه يعرف ما يعرف: "قد يعمل الخبراء بالنظريات، أما أنا فأعمل بالواقعية."

كون ليس الوحيد في هذا المجال، اذ هناك صانعون كثيرون ينتجون أنواعاً ممتازة من اليويو بمحاور خشبية. ووصلت الى كون رسالة من بوب رول الذي يلقب نفسه "مستر يويو." واتضح أن رول هو الذي أشرف على المباراة في ديترويت قبل ثلاثين عاماً، تلك التي ربح فيها كون اليويو اللؤلؤي المرصع بحجر الراين. ويتذكر كون أن رول "كان ماهراً لبقاً في لعب اليويو، وهو كتب يخبرني أنه يحب نموذج نو جايف."

إدوارد زوكرمان

(٩) Coefficient of friction

الرجال دائماً يريدون أن يكونوا عشاق المرأة الاول. أما نحن النساء فلنا غرائز فطرية أكثر دهاء في مواجهة الامور، والذي نريده هو أن نكون حكاية الحب الاخيرة عند الرجل.

من مسرحية "امرأة بلا أهمية" للشاعر والكاتب الايرلندي أوسكار وايلد

جولي أندروز أدهشت الصّغار وأعجبت الكبار

هذه الممثلة المتعددة المواهب لها أكثر من صوت عذب ووجه جميل

وقفت مجموعة من السياح تمتع النظر بمشهد خلاب كأنه صورة في بطاقة بريدية: سماء زرقاء فوق جبال الالب السويسرية التي تكلل قممها الثلوج وتسمو بجلالها فوق حقول خضراء تزدان بزهور برية. فجأة يتغلغل الى الآذان صوت صادح بكلمات باتت على كل لسان: "التلال مفعمة بصوت الموسيقى" (١) وتركض فتاة وسط الصورة الطبيعية. أيمكن أن تكون...؟

تقول جولي أندروز ضاحكة: "أدركت أنهم سيعرفونني. وربما ظنوا أني أفعل

(١) «The hills are alive with the sound of music» بهذه العبارة يبدأ فيلم "صوت الموسيقى" أو "لحن السعادة" (Sound of Music).

في "صوت الموسيقى."

The National Film Archive

Illustration: Neil MacDonald

ذلك كل يوم مؤدية دور ماريا فون تراب الى الابد."

انها قصة تستسيغ جولي أندروز روايتها. حصل ذلك أثناء اقامتها في بيتها في غشتاد حيث كانت تؤدي تمارين جسدية وصوتية استعداداً لحفلة غنائية أحيتها في لندن. فكانت تعدو على التلال صعوداً ونزولا وتتوقف أحياناً لتجرب صوتها.

وفي مخيلة ملايين الناس في انحاء العالم ستبقى جولي أندروز البارونة ماريا، وهو الدور الذي مثلته عام ١٩٦٥ في فيلم "صوت الموسيقى." والغريب ان حياتها الخاصة شديدة الشبه ببطلة الفيلم، زاخرة بالاطفال والغناء وحتى بالجبال، على الاقل حين تكون في سويسرا.

صرّح احد النقاد: "جولي أندروز تسمو أعلى من الشاشة فتكاد تبلغ الحضور وتعانقهم." ويرد لها الجمهور العناق. وعلى رغم حياتها المهنية الناجحة، حظيت جولي بنصيبها من الاخفاقات على شباك التذاكر ولم تنفذ اي عمل سينمائي في اواسط السبعينات. لكنها من نجمات هوليوود الاطول بقاء تحت اضواء الشهرة.

ولا يبدو ان جولي كبرت منذ ٢٢ عاماً حين مثلت فيلمها الناجح "صوت الموسيقى." ولم يشهد شعرها الاحمر الذهبي سوى تعديل بسيط فغدا اكثر أناقة من قبل. وما زالت تحتفظ بجسد رياضي ناحل وقسمات انكليزية ناعمة تشع بالصحة والقوة.

راوحت أدوار جولي بين بائعة الزهر اللندنية الفقيرة إليزا دوليتل في الرائعة الموسيقية "سيدتي الجميلة" (٢) ودور المغنية الموهوبة ذات الحظ العاثر التي تنتحل شخصية مغنٍّ ذكر يتظاهر بأنه أنثى في الفيلم الكوميدي "فيكتور / فيكتوريا" (٣) الا ان جولي الحقيقية أشبه ما تكون... حسناً... بماريا فون تراب. تحب المنزل بطبيعتها وان تناقض ذلك مع مهنتها. فهي تهوى التمثيل والغناء، لكنها غالباً ترفض الاعمال التي تبعدها عن عائلتها. وتقول: "اذا كان المرء ينعم بزواج سعيد ويحب ما يفعله، فمن الحماقة الذهاب لمدة خمسة اشهر الى سيبيريا من أجل تصوير فيلم سينمائي."

السيدة الجميلة – ولدت جولي أندروز عام ١٩٣٥ في والتون اون تايمس على مقربة من لندن. وكان والدها مدرساً ووالدتها عازفة بيانو. وحين بلغت السن الرابعة تطلق والداها وتزوجت أمها تيد أندروز المغني الكندي الذي اكتشف لدى جولي صوتاً مميزاً يستطيع بلوغ خمس طبقات صوتية.

وفي السن العاشرة شاركت جولي أمها وزوج أمها في مسرحية غنائية. واضطرت جولي الى الوقوف على صندوق لبلوغ المذياع. ومع ذلك حققت نجاحاً فورياً. وذهبت العائلة في جولة ببريطانيا فقدمت عرضاً لمدة اسبوع في مجموعة من المسارح متنقلة من نزل حقير الى آخر.

ظلت جولي ترتدي جوارب قصيرة وأحذية بشريط وملابس صممت على نحو

---

(٢) My Fair Lady
(٣) Victor / Victoria

يخفي صدرها، بحيث استمرت في تمثيل دور الطفلة حتى في سني المراهقة. ولما بلغ صوتها مرحلة النضج لم تعد قادرة على اداء اكثر من ثلاث طبقات. واقتنعت بأن حياتها المهنية بلغت النهاية. ولكن في العام ١٩٥٣ شاهدها مخرج تمثل في مسرحية ايمائية في لندن، وكان يحضّر لانتاج المسرحية الموسيقية اللندنية "الصديق" في نيويورك. وعرض عليها دوراً في مسرحيته. وفي السن التاسعة عشرة بلغت جولي مرتبة النجومية من خلال مسرحية "الصديق". وبعد سنة أدت دور اليزا دوليتل في مسرحية موسيقية مقتبسة من رواية "بيغماليون" للكاتب البريطاني جورج برنارد شو. ومن ثم بدأ تاريخ جولي المسرحي. وبعد تقديم العرض لمدة سنتين في برودواي، شارع الفن في نيويورك، مثلت جولي دور اليزا في لندن على مدى ١٨ شهراً، ثم عادت الى مسارح نيويورك لتؤدي دور غينيفير في مسرحية "كاملوت" حيث مثل ريتشارد بورتون دور الملك آرثر.

ومع ذلك لم تعتبر جولي في هوليوود ممثلة قادرة على اجتذاب الجمهور. فطلب المنتج جاك وارنر من ركس هاريسون أن يؤدي مجدداً دور هنري هيغنز في فيلم "سيدتي الجميلة" في حين اسند دور اليزا الى الممثلة أودري هيبورن. وكانت جولي ما زالت تتحسر على ذاك الدور حين طلب منها والت ديزني المشاركة في فيلم غنائي ينوي انتاجه ويحمل اسم "ماري بوبينز" (٤).

وفي العام ١٩٦٤ فيما كانت جولي تتسلم جائزة "الكرة الذهبية" لأفضل ممثلة عن دورها كمربية اطفال غريبة الاطوار (حصلت على جائزة اوسكار تلك السنة) قالت في كلمتها: "أود أيضاً أن أشكر جاك وارنر الذي وفر لي هذه الفرصة." وساد الصمت القاعة، وكان جاك وارنر القوي يجلس في المقعد الامامي. ثم انفجر الجميع بضحكة تقديرية، بمن فيهم وارنر.

أم وزوجة أولا – تملك جولي أكثر من مجرد صوت عذب ووجه جميل. لكن ٢٠ سنة مضت قبل أن تسلّم هوليوود بتلك الحقيقة. وفي اواسط الستينات غدت النجمة السينمائية الاهم اذ أثنى النقاد على فيلمها الثاني "أمركة أميلي" (٥). ثم جاء "صوت الموسيقى" ليحقق نجاحاً كاسحاً. ورفضت جولي قَصْر أدوارها على شخصية واحدة، فأدت أدواراً غير مستحبة مثل دور الممثلة المزاجية غرترود لورنس في "نجمة!" (٦) ودور جاسوسة في "ليلي العزيزة" (٧) ودور سكرتيرة غدارة في "بزرة التمر الهندي" (٨) أمام عمر الشريف، وجميع هذه الافلام كانت كارثة على الصعيدين السينمائي والمالي.

وفي العام ١٩٦٩ تزوجت جولي الكاتب والمخرج والمنتج السينمائي بلايك إدواردز. وكانت لها ابنة في السن السابعة اسمها إيما كايت هي ثمرة زواج سابق بمصمم الديكور المسرحي البريطاني طوني والتون. أما بلايك

(٤) Mary Poppins
(٥) The Americanization of Emily
(٦) Star
(٧) Darling Lili
(٨) The Tamarind Seed

فكانت له ابنة تدعى جنيفر (١١ عاماً) وابن يدعى جيف (٩ أعوام).

ولجأت جولي الى ما سمته "القرار الواعي جداً" في اعطاء عائلتها مرتبة الاولوية وان جاء ذلك على حساب عملها. وهكذا لازمت بيتها الى حين بدأت في العام ١٩٧٢ تصوير البرنامج التلفزيوني الامريكي "ساعة مع جولي أندروز." وفي تلك السنة قرر بلايك التركيز على الكتابة فظل في المنزل واعتنى بالاولاد بينما ركزت جولي اهتمامها على برنامجها التلفزيوني. ولم ينجح تبادل الادوار، اذ قالت جولي: "أحب أن أكون أماً وزوجة وممثلة، لذلك لا أشعر بالراحة حين أذهب الى العمل فيتولى سواي المهمات الاخرى." لذلك عادت الى ممارسة دوريها

في "ثنائي لواحد."

في "فيكتور / فيكتوريا."

© 1986 Cannon Films, Inc.

المفضلين كزوجة وأم حين انتقلت العائلة الى سويسرا بعد نحو سنة.

حتى العام ١٩٧٤ لم يكن بلايك وجولي انجبا اطفالا، فقررا التبني وقدما طلباً بذلك الى وكالة تهتم بالايتام الفيتناميين. وفي غضون سنة وصلت آمي (٥ اشهر) ثم جوانا (شهران).

وتذكر جولي تلك اللحظات: "كانت الطفلتان صغيرتين جداً وتعانيان سوء تغذية وجرباً. والجرب التهاب جلدي طفيلي سريع العِدوى، وكانت احداهما مصابة بالتهاب شعَبي. ومن غير المعقول

Cobal Collection

مع دادلي مور في "١٠".

كيف أنهما تعافتا في غضون أسابيع قليلة كما لو أننا روينا وردة عطشى."

وصممت جولي على توفير طفولة طبيعية لاولادها على رغم الشهرة التي يتمتع بها أبواهم. وتقول إيما، وهي الان ممثلة صاعدة في الرابعة والعشرين: "انها تسعى دائماً الى أن تكون أماً في الدرجة الاولى. وحتى حين تكون منشغلة فانها توفر وقتاً كافياً لعائلتها. كانت دائماً حاضرة لقراءة القصص حين نأوي الى الفراش أو لتصحبنا في نزهة هادئة فنتحدث ونتمشى في الحديقة. وهي التي تتولى تنظيف ما وسخه الحيوان المدلل لدى العائلة. وكانت كلما فعلت ذلك قالت: لا أظن أن اليزابيث تايلور تقوم بهذه الاعمال."

فقراء ولاجئون - في العام ١٩٧٩ سمع بلايك وجولي خبر اقامة جسر جوي نظمه المحاميان ريتشارد والدن ولولين ورنر من لوس أنجلس بهدف نقل مساعدات غذائية وطبية عاجلة الى "سكان القوارب" الفيتناميين اللاجئين بحراً الى ماليزيا. وقال والدن: "تبرع بلايك وجولي بمبلغ ١٠ آلاف دولار." وبعد بضعة أسابيع تبرعا بمبلغ ٧٥ الف دولار لاستئجار طائرة تنقل المواد الطبية الى كمبوديا. وأكدا لوالدن أنهما ينويان تقديم المزيد، وهم حضّا المشاهير وأصحاب الثروات في هوليوود على المشاركة في نشاطات المنظمة التي باتت تعرف باسم "عملية كاليفورنيا" (٩). ومنذ ذلك الحين وزعت وكالة الغوث هذه نحو ٥٠ مليون دولار كمساعدات للمكسيك وغواتيمالا والسلفادور ونيكاراغوا ولبنان وبولونيا واثيوبيا والصومال وفيتنام وكمبوديا. وقال والدن: "من الصعب تقدير المساعدة النقدية التي وفراها، ولولاهما لما استطعنا الاستمرار بعد الجسر الجوي الثاني."

وفي العام ١٩٨٢ قررت جولي ان تطّلع عن كثب على أوضاع المياتم والمخيمات في فيتنام وكمبوديا وتايلاند. وكتبت بعد زيارة احد المياتم: "سأذكر ذلك المكان الى يوم مماتي. لم تأخذ ادارة الميتم في الاعتبار ما من شأنه تنشيط العطاء لدى الاطفال. فلا ألوان ولا صور جدارية ولا ألعاب. وحين انتقلت لرؤية قسم الاطفال المرضى لم أصدق عينيّ. كانوا ممددين على أسرّة خشبية بلا فراش، ورائحة البول عابقة. غرفة واحدة لا تحوي سوى أطفال. بعض يعاني التهاب الدماغ وبعض آخر شلل الاطفال. بعضهم أعمى، أحدهم يعاني شقاً حَلْقياً مخيفاً وبعضهم يحتضر بسبب سوء التغذية."

وعادت جولي الى منزلها وهي مصممة على تكريس وقت أطول لنجدة ضحايا الحروب والاضطرابات والجوع والفقر. وسرعان ما حظيت جهودها المتواصلة بالاهتمام. فخلال حفلة اقيمت في البيت الابيض عام ١٩٨٣، قدم الرئيس الامريكي ريغان الى "عملية كاليفورنيا" جائزة رئاسية عن "أفضل عمل تطوعي." وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٤ تلقت جولي دعوة من اللجنة العليا لشؤون اللاجئين التابعة للامم المتحدة للمشاركة في مؤتمر لغوث افريقيا.

(٩) Operation California

لحظة لا تنسى - في ذلك الوقت حظيت الحياة العملية لجولي أندروز بزخم جديد. فقد أعادها زوجها الى الشاشة بعد غياب دام أربع سنوات لتمثل دور المرأة الكهلة في فيلم "١٠." ثم أدت دور نجمة سينمائية شهيرة تختلف تماماً عن شخصيتها هي، في فيلم آخر من انتاج ادواردز بعنوان «S.O.B.» . وحققت جولي انتصاراً شخصياً من خلال فيلم "فيكتور / فيكتوريا." ففي أحد المشاهد الرائعة حجبت بصورتها الجديدة شبح ماريا فون تراب الطاغي: فتاة فقيرة ترتدي أسمالا وتؤدي أغنية راقصة. ولما صفق لها الجمهور مزقت ثوبها لتظهر أنها شاب وليست فتاة. فكانت تلك لحظة لا تنسى.

وفي آخر افلامها "ثنائي لواحد" (١٠) واجهت جولي دوراً بارزاً من نوع آخر لعازفة كمان ضربها مرض تصلب الانسجة. وهي قاربت الدور بنقاوة مميزة اذ عمدت الى تلقي دروس في العزف على الكمان من أجل اعطاء صبغة حقيقية لادائها على الشاشة.

وعلى المسرح أيضاً لم تخش جولي العمل الصعب. فالمخرج الراحل موس هارت الذي أدارها في مسرحية "سيدتي الجميلة" قبل نحو ٣٠ سنة أشاد كثيراً بالاداء المميز لنجمته العصامية: "ان جولي قادرة على السمو في اي مناسبة." فلها القدرة والارادة في آن، وان فعلت فبلباقة وذوق وبدفئها وكرمها الخاصين.

بولا درانوف

(١٠) Duet for One

لسان عمة

عمتي لا تسر أبداً بالوقوف في طابور. والناس الذين يحاولون الاندساس أمامها يثيرون نقمتها.

ذات يوم كادت تصل الى أمين صندوق المتجر حين تخطاها شاب سائلا: "ايزعجك اذا ما تقدمتك؟ ليس معي سوى هذه العلبة لطعام الكلاب."

أجابته بصوت يشبه الزئير: "يا مسكين! اذا كنت جائعاً الى هذا الحد فتقدم حالا."

م.س.

هاتف حجري

كان عمي يتبضع فاكتشف انه نسي محفظته ولم يبق في جيبه سوى بضع قطع نقدية صغيرة. ولما حاول أن يتصل بمنزله طلب منه عامل الهاتف رسم المكالمة، فصرخ عمي: "لماذا؟ يمكنني أن أرمي حجراً من هنا فأصيب منزلي."

فرد عامل الهاتف بهدوء: "في هذه الحال، يا سيدي، اقترح عليك أن ترفق بالحجر رسالة مختصرة."

ل.س.

صور من الحياة

النبل في المحن

مررت وصديقي ذات ليلة باردة في ضاحية لم نألفها وكان الجليد يغطي الطريق. فانزلقت بنا السيارة الى الفناء الامامي لاحد المنازل. وما ان نزلنا وأخذنا نجرف الثلج من حول السيارة حتى هرع سكان المنازل المجاورة لمساعدتنا. وبعدما حررنا السيارة عرضتُ على صاحب المنزل تعويض الاضرار التي لحقت بفنائه. فرفض بتاتاً وقال وهو يبتسم: "ان كل الاضرار تهون أمام العواطف النبيلة التي تبعثها المحنة في قلوب الناس الطيبين."

ك.م.

مخاوف زوج

كنت أجيل النظر في غلاف احدى المجلات النسائية، فلفت نظري العنوان الآتي: "ماذا يخيف الرجل في زوجته العاملة؟" وقررت الحصول على اجابة مباشرة، فسألت زوجي: "ما الذي يخيفك أكثر من أي شيء آخر في كوني امرأة عاملة؟"

فأجابني على الفور: "أن تتركي عملك."

ل.ج.

خصام مؤبد

دام الخصام بين شقيقتين ثلاثين سنة. وعندما علمت احداهما ان الاخرى مريضة جداً رأت من واجبها أن تعودها. وأثناء الزيارة قالت المريضة لشقيقتها. "أخبرني الاطباء أن حالي سيئة. فاذا توفيت فاعلمي انني سامحتك، واذا تعافيت فستبقى الامور بيننا على حالها."

س.ب.

طلب في محله

وصلتُ وزميلي الى المطار في طريقنا الى بيته للتعرّف الى أفراد عائلته. وعندما دخل غرفة التفتيش مرّ على جهاز لكشف المواد المعدنية التي يحملها المسافرون، فرنّ جرس الإنذار وظل يرنّ حتى بعدما نزع صديقي مفاتيحه وساعته وحزامه. وبقي جيب لم يمد اليه يده، فطلب منه المفتش أن يفرغ ما فيه.

عندئذ تنهد صديقي وأخرج علبة معدنية للجواهر مغلّفة بالمخمل، ففتحها والتفت اليّ وسألني بكل رصانة: "هل تقبلين بي زوجاً؟"

فقبلت طلبه من فوري.

ا.ت.

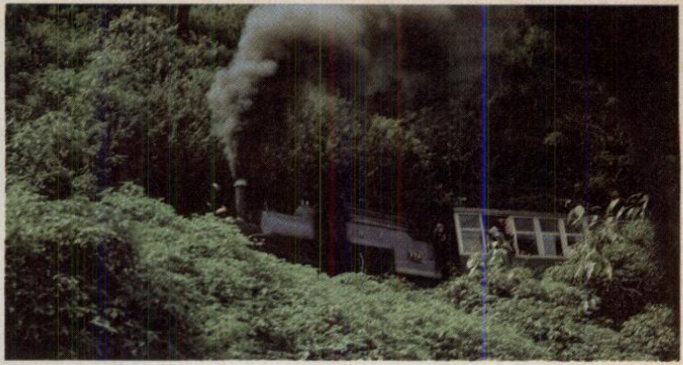

Andrew Brock

القطار البخاري الصغير الذي ينقل الزوار من السهول الى التلال.

نجمة حملايا

كل شيء صغير في دارجيلينـغ، المنتجع الاكثر شهرة في التلال الهنديّة. وما من بلدة أعرفها تضاهي دارجيلينغ في هذه النمنمة المدروسة.

في الطريق اليها من كلكوتا تقطع سهولا فسيحة سفعتها الشمس في طبيعة لا نهاية لها. وتجد في انتظارك عند سفح التلال قطاراً كالدمية أزرق اللون صغير الحجم دقيق العجلات ترسله البلدة اليك، فيحملك وينطلق بك بايقاع رتيب عبر أحراج خضراء وبساتين مزروعة بالشاي.

البلدة مشيّدة في شكل مدرج على قمة ضيّقة يبلغ ارتفاعها ٢١٠٠ متر وفي جانبيها ممرات عميقة. وحين وصلت كانت الغيوم تدور حولها كالدوامة وتلفّها من كل صوب. فأوحت إليّ حرمة غريبة واستقلالية ذاتية. بدت دارجيلِينغ كأنها من نسج خيال صبياني: بلدة أُلقي عليها سحر فصغّرها وعزلها عن العالم بطبقات من الضباب. وما ان انفرجت الغيوم حتى لاحت في الافق كتلة جبال حملايا بروعتها وجلالها وقد حوّل نور الشمس بياض الثلج الذي كساها الى لون وردي.

خليط سكاني – ان مشاهدة قمة كانشنجونغا ونظيراتها من دارجيلينغ لهي من أسمى خبرات الاسفار وأروعها.

© 1970 by Jan Morris. Condensed from «Among the Cities,» by Jan Morris, published by Viking London.

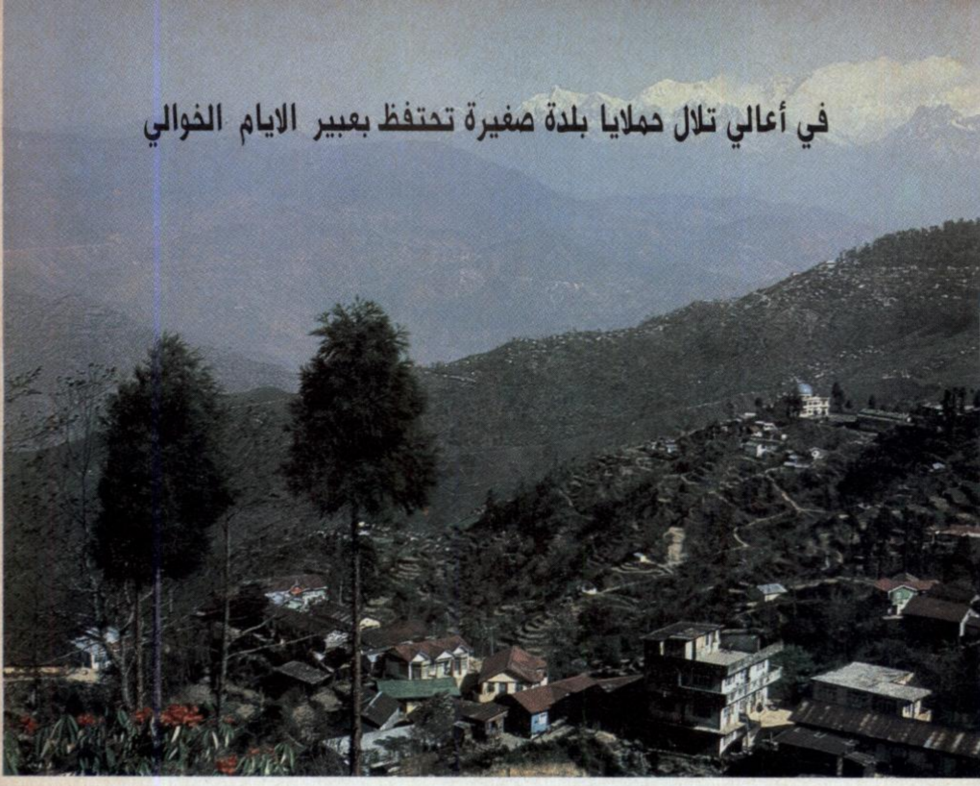

في أعالي تلال حملايا بلدة صغيرة تحتفظ بعبير الايام الخوالي

على أن ما يعطي البلدة طابعها المميّز ليس منظر جبال حملايا، بل وجود هذه الجبال حيث هي. فالبلدة تحسّ حضور الجبال وتعيش في حضرتها. ودقّة حجمها لا تنمّ عن شعور بالنقص تجاهها، بل عن وعي للذات، الامر الذي يمنح دارجيلينغ وقعاً خاصاً ويضفي عليها حيوية مميزة.

وعلى طول الطريق الممتدة من القمة حيث الفنادق والفيلات الى الاسواق في سفوح التلال حيث البضائع من كل لون، تسمع جلبة الحياة حولك: طنين وأزيز ودندنة لا تنقطع ومعنويات مرتفعة دائماً وأولاد لا يتوقفون عن اللعب وشباب لا يتوقفون عن الصخب وسياح لا يتعبون من الثرثرة والمرح والتجوال في أرجاء البلدة على ظهور أفراس قزمة مستأجرة.

كل شيء في دارجيلينغ يبدو لعيني الغريب أبهى وأكثف ممّا هو في الحياة الواقعية، خصوصاً بعد هبوط الظلام عندما يخرج نصف السكان للتنزه في تشاوراستا، وهي ساحة مثلثة تقع في منتصف الطريق الى القمة. قصدتها في أول مساء لي في البلدة وشاهدت الاهالي يتمشون ويثرثرون كأهل اسبانيا في نزهاتهم المسائية.

ليس من بلدة في العالم تضاهي دارجيلينغ، تلك المستوطنة الحدودية، في تنوّع السكان. فأهاليها من

Photo: Robert Harding Picture Library

المهاجرين الذين وفدوا اليها من أماكن مختلفة من شرق حملايا ومن السهول السفلى. فهناك اللبتشا سكان المنطقة الاصليون الشديدو البأس والخفيفو الحركة والذين لا يتجاوز طول الواحد منهم المتر ونصف المتر. وهناك الشيربا من النيبال ومعظمهم من الحمّالين في أعالي جبال إفرست وكانشنجونغا. وهم يتنقلون بخطى ثابتة واندفاع صلب وكأنهم لا يستطيعون التوقف.

أما أهل التيبت بسراويلهم الانيقة وبشراتهم الصافية الخالية من الشوائب، فيبدون محنكين مبنكين وكأنهم جاهزون أبداً للذهاب إلى ملهى في مدينة أوروبية. وأما الغوركا فكأنهم جنود يسيرون بخطى عسكرّية ورؤوسهم مرفوعة وصدورهم منفوخة.

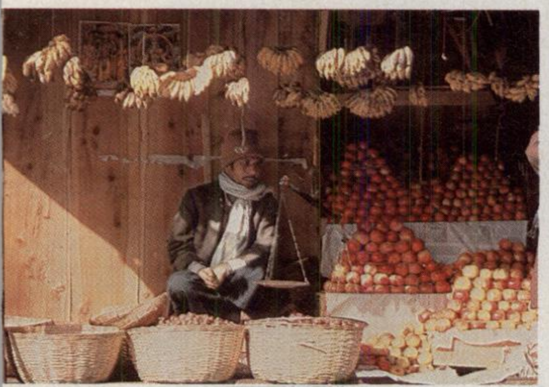

بائع يعرض الموز والتفاح في السوق. Jimmy Holmes

سباق تقليدي - على أن أولئك الاقوام المغوليين الشماليين الاقوياء ذوي المناكب العريضة، لا يشكلون سوى عنصر واحد من الخليط البشري في دارجيلينغ. فتلك الفتاة السمراء الناحلة ربما كانت من أنام أو من تايلاند. وضباط الجيش الاربعة اولئك بشواربهم السوداء الرفيعة هم من الراجبوتيين.

وذاك هندوسي صبغ جلده بالمغرة الصفراء. وتانك العينان اللتان تحدقان بين لحية كثة وعمامة معقودة هما حتماً لواحد من السيخ. والسيدة الجالسة الى الطاولة المجاورة صاحبة الابتسامة الخجولة التي تفتر شفتاها عن أسنان كالخزف الصيني هي حتماً من مدراس.

ويتجلى هذا الخليط السكاني في أبهج مظاهره في حفلات السباق التي تقام في دارجيلينغ. ويقال في حلبة السباق، بكل تحبّب، انها الاصغر في العالم. وفي نهاية السباق يندفع المتنافسون من الحلبة الى الطريق المحاذية بسرعة جنونية تفقد الوافدين الجدد أعصابهم

والاجراءات التقليدية ما زالت تُراعى. أما السباق فيديره نادي جيمكانا في دارجيلينغ. ويجلس المشرفون والحكام في المنصة الرسمية مرتدين ثيابا أنيقة.

وبطاقة السباق مطبوعة مع كل ما تقتضيه من عبارات التهذيب والرقّة. والقوانين غاية في الصرامة، ويحذّر المدربون والمتسابقون من أن أي شغب أو اخلال بالنظام سيكون النظر فيه من صلاحية المشرفين على السباق، غير أن أخلاط الناس في دارجيلينغ لا يعبأون بهذه الأنظمة. فحيثما توجهنا نجدهم يحومون حول وسطاء المراهنات أو يتنزهون في المنحدرات المكسوة

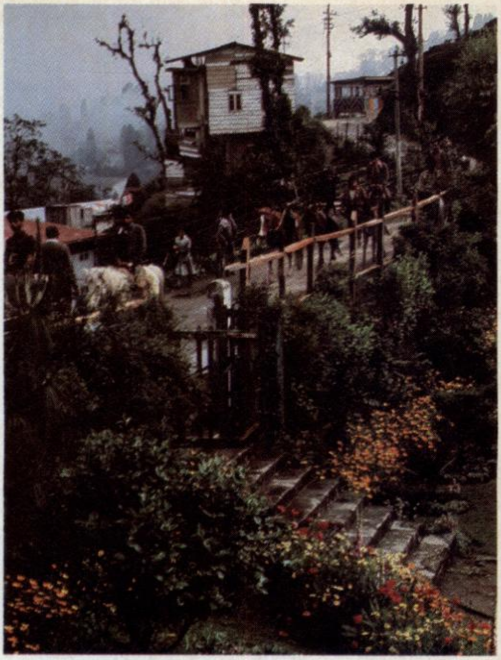

دارات من الطراز الفكتوري ونزهات على متون الجياد القزمة تحافظ على أجواء القرن التاسع عشر.

بالعشب خلف الحلبة أو يساومون باعة الجوز.

يقرع الجرس فتسقط الحواجز وتندفع الى الحلبة ثلاثة جياد أو أربعة من التيبيت تنشر وراءها سحباً من الغبار، وعلى ظهورها فوارس متشبثون بها بتصميم وضراوة. خدودهم عالية، أنيقون في بزّاتهم المميزة، وقبعاتهم تخفي عيونهم. يعبرون الحلبة الصغيرة كالصواريخ قبل أن يختفوا خلف مدارج النظارة في عاصفة من الهتاف والضحك وصرخات الاستحسان وكأنهم كشافة الملك أتيلا. ويتبادل المشرفون عبارات الاعجاب ولا يبدو عليهم أي انفعال.

متعات صغيرة – في القرن التاسع عشر نزل اسم دارجيلينغ على الخريطة للمرة الاولى، وذلك بفضل ضابط في الجيش هو الجنرال لويد الذي ما ان وقع بصره على البلدة حتى تكشفت له عن أهليّة لتصبح مصحّاً يقصده المرضى. وكان بعد ذلك أن تلطف الراجا سيكيم وسلمها الى الحاكم البريطاني في الهند من أجل "إتاحة المجال لخدّام حكومته المرضى للانتفاع من مزاياها."

وتحتفظ دارجيلينغ حتى اليوم بنكهة الماضي وعبيره. فبيوتها تشبه الشاليهات بواجهاتها المثلثة الزوايا، وهذا طراز من البناء استهوى الفكتوريين. وأهاليها على مشاربهم ملزمون مراعاة تقاليد من الايام الغابرة عمادها الحشمة، وهي تعيد الى الاذهان

photos: Andrew Brock

أيام اعتمار النساء قبعات البوكيه وتقديمهنّ الشاي مع البسكويت.

معظم أسباب اللهو في دارجيلينغ من النوع الذي يرضى عنه حتى أجدادنا. هناك مثلا متعة النهوض في الثالثة صباحاً لمشاهدة شروق الشمس وقمة جبل إفرست من تلّة تايغر. وهناك الرحلات المنظمة الى المواقع السياحية المهمة مثل دير غوم والسكة الحديد الدائرية في باتاسيا. وهناك متعة التعرّف الى الأزهار والاشجار البرّية والتفرّج على الحيوانات أو رسمها في حديقة الحيوانات. كذلك متعة التنزه على ظهور الجياد القزمة.

ولا ننسَ متعة السير علىَ الاقدام. فالسيارات ممنوعة في دارجيلينغ التي هي عن حق من أنسب أماكن السير على وجه الارض. وفي وسع المرء أن يسير حول البلدة أو وسط الحدائق أو ان يقصد التلال السفحية للتنزه. وإذا أحبّ، ففي امكانه أن يستأجر فريقاً من الشيربا ويتوغل في الجبال مزوداً علباً من الاناناس وكيساً للنوم.

اعتدت كل صباح قبل الفطور أن أتسلّق تلّة المرصد. وهناك مزار على قمة هذه الأكمة التي تكتنفها الأحراج وترتفع فوق تشاوراستا. ويحتشد المتسوّلون على طول الطريق الى القمّة.

منظر كانشنجونغا رائع عندما يكون الطقس صافياً. وفي انتظار تحضير البيض لي في الفندق درجت على الجلوس على العشب والتساؤل عن سر مناعة دارجيلينغ. يبدو لي انها سلمت أو هربت، إذا جاز التعبير. فكأنها، من غير أن تدري، مارست قيماً جعلتها تنتقي من العالم تحتها ما تريده فقط وتنبذ ما عداه. ومع ان اسمها معروف في كل مكان، فانها تبقى البلدة الصغيرة الواقعة في تلال حملايا والقريبة من الارض ومن السماء.

في دارجيلينغ كفاية من الفساد المادي، ولكن نادراً ما نلمس يأساً أو انحطاطاً. ربما كانت أثقال الحمالين مرهقة، ومع ذلك فانهم يجدون قدرة على الابتسام. وربما أكثر الاولاد والدجاج من دخول المطبخ والخروج منه، إلا ان الامهات لا يظهرن نزقاً وانزعاجاً. والفتيات يضحكن وهن يقطعن الحطب بكدّ في الاحراج. وأحمال القش التي تثقل كواهل العمال مرقشة بأزهار وردية وزرقاء.

يغمر الانسان شعور بالرضا والدماثة بعد زيارة دارجيلينغ. فتلك الجبال الهائلة التي تناطح السحاب قومت كفتي الميزان وكأنها تقول: "ليس مفيداً أن تهتاج وتتذمر، فلا شيء يدوم."

هذه الفكرة المختصرة المفيدة التي راودتني كل صباح بعد مكوثي عشر دقائق على التلة ذكرتني دائماً بأن البيض الذي طلبته هو في انتظاري. فأهرول نزولا الى الفندق تتبعني أسراب من الاطفال، ليستقبلني نادل يعتمر عمامة حمراء ويزيح الغطاء عن عصيدتي.

يان موريس

مدهشة هي الطبيعة: قبل ملايين السنين لم تكن تعلم اننا سنحتاج الى نظارات، ولكن انظروا أين وضعت آذاننا.

ل.ا.

عيادة آخر زمان

إنها لعبة الانتظار التقليدية ولكن بطابع حديث

"نهارك سعيد، أيمكنني مساعدتك؟"

– نعم، أنا الدكتور هربرت فامبلو. جئت لمعاينة المريض فريد فرسبي.

"أنا السيدة فرسبي. هل لديك موعد يا دكتور؟"

– أجل، تمام الثانية عشرة. آسف لوصولي بضع دقائق قبل الموعد.

"لا بأس. تفضل بالجلوس في الردهة وسيقابلك المريض في أقرب وقت ممكن."

© 1984 by Arthur Hoppe. Condensed from Mole Magazine (March '84) Washington, D.C.
Illustration: Scott Pollack

- شكراً. عن إذنك، من هم أولئك الاشخاص هناك؟

"إنهم الدكتور تيفس والدكتور كاتز والدكتور كليفنسون. فالمريض شديد الحرص على صحته. هل سبق أن قابلته؟"

- أظن أنني عالجته من لسع البق في العام ١٩٨٣.

"صحيح، فقد اعتاد المريض زيارة العيادات تلك الايام. حسناً، سأبحث عن سجلك هنا... فابلو... فاكوسكي... ها هو... فامبلو. آه، ليرحمك الله. مكتوب هنا أنك توفيت."

- لا بد من وجود خطأ ما.

"هذا بعيد الاحتمال يا دكتور. آسفة، علينا تحضير سجل جديد لك. أرجو أن تملأ هذا التقرير عن تاريخك الطبي."

- تاريخي الطبي؟

"أجل، مدرسة الطب التي تخرجت فيها والمقررات التعليمية التي درستها وأعمالك المنشورة والنوادي الرياضية التي تنتمي اليها. المريض يرى أن المعلومات الكاملة عن التاريخ الطبي للطبيب تساعد في تقويم تشخيصه للداء. وما دمت هنا، إليك استمارة التأمين."

- تأمين صحي؟

"لا، بل تأمين ضد التقصير المهني. سجل هنا مبلغ التغطية واسم شركة التأمين وعنوانها ورغبتك في أن ترسل طلباتنا اليها مباشرة. وعلى الوجه الآخر املأ الفراغ بكشف تام لحسابك المصرفي."

- لا اعتقد...

"ولدى انتهائك يمكنك أن تتصفح هذه المجلة."

تك، تك، تك، تك، كوكو! كوكو!

- سيدة فرسبي! هل تذكرينني؟ أنا الدكتور فامبلو، ما زلت أنتظر رؤية المريض منذ ساعة ونصف ساعة.

"آه، لا، لم ننسَكَ يا دكتور. لقد تأخر المريض قليلا."

تك، تك، تك، تك، كوكو! كوكو!

- سيدة فرسبي، أطلب مقابلة المريض حالا!

"لا ترفع صوتك، أرجوك. فالمريض مع أحد الاطباء الآن."

- ما عدد الاطباء قبلي؟

"أعتقد أنك التالي. إتبعني إلى الحمام، وبعد أن أغلق الباب أرجو أن تخلع معطفك وترتدي هذه السترة البيضاء."

- أمتأكدة من أن انتظاري لن يطول؟

"بالطبع. ولتشغل نفسك في هذه الاثناء إليك مجلة اخرى."

تك، تك، تك، تك، كوكو! كوكو!

"سيدة فرسبي، إنني في الحمام منذ ساعتين وأربع عشرة دقيقة، ولن أمكث فيه ثانية اخرى!

"أهذا أنت يا دكتور؟ كنا نبحث عنك. نعتذر لأن المريض دعي الى معالجة قضية طارئة. ولكن سنرتب موعداً آخر، أليس كذلك؟ دعني أتحقق من جدول المواعيد. سيقابلك المريض في تمام الثالثة والنصف بعد سبعة اسابيع. هل يناسبك ذلك يا دكتور؟

دكتور! دكتور! يا لطبعه الحاد! سنضطر الى تركيب باب جديد للمدخل. مشكلة الاطباء أنهم لا يدركون كم وقت المريض نفيس هذه الايام."

آرثر هوب

أسياد المخدرات في أنحاء القارة
ينشرون بضاعتهم التي تحمل اليأس والموت الى الملايين

حربٌ في آسيا ضِدّ الهيرويين

ضباب الصحراء يحجب قافلة الجمال المتهادية طوال النهار. واذ يهبط الليل تقطع القافلة الحدود من باكستان إلى الهند. ولدى وصولها إلى كهف كبير يفرغ الراكبون حمولتهم ويعودون إلى منازلهم. وبعد بضعة أيام تأتي شاحنات لنقل هذه الحمولة المؤلفة من مئات الرزم: كيلوغرامات من هيروويين "الهلال الذهبي." ومن حصون التجار على الحدود يوزع المسحوق المميت في مدن الهند المكتظة بالسكان لاشباع المدمنين هناك، ومنهم براديب بائع المخدرات المتجول في أحياء ريغاربورا الفقيرة في غرب دلهي.

يقول ذاك المهزول المترنح ابن الثانية عشرة: "فكرة واحدة تشغل بالي كل صباح هي كسب المال للحصول على جرعة المساء." وبراديب ليس وحيداً في مسعاه. فبالطريقة نفسها يمضي الوف الناس أوقاتهم في مدن عدة في آسيا باحثين عن ثمن الجرعة التالية.

فلتان تام - منذ عشرات السنين ومنطقتا "المثلث الذهبي" الذي يضم أجزاء من تايلاند ولاوس وبورما، و"الهلال الذهبي" الذي يشمل قسماً من باكستان وأفغانستان وايران، تمدان العالم بالهيروويين والأفيون. وكان الآسيويون في الماضي تركوا عمليتي تصنيع المخدرات واستهلاكها للمدمنين الاوروبيين والأمريكيين. لكن الأوضاع تبدلت الآن. فطمعاً بالأرباح الوفيرة من تجارة الهيروويين يعمد رؤساء عصابات المخدرات المحليون الى استخراج الهيروويين من الأفيون. وعلى رغم ذلك فان استهلاك الهيروويين في الغرب يتضاءل تدريجاً، خصوصاً في الولايات المتحدة حيث يجرف تيار الكوكايين الآتي من أمريكا الجنوبية معظم متعاطي المخدرات. لكن التجار الآسيويين وجدوا منافذ جديدة لبضاعتهم المهلكة بإغراق الأسواق المحلية بكميات هائلة من الهيروويين الممتاز.

Condensed from Newsweek International (October 6, '86), © 1986 by Newsweek, Inc., New York, N.Y.

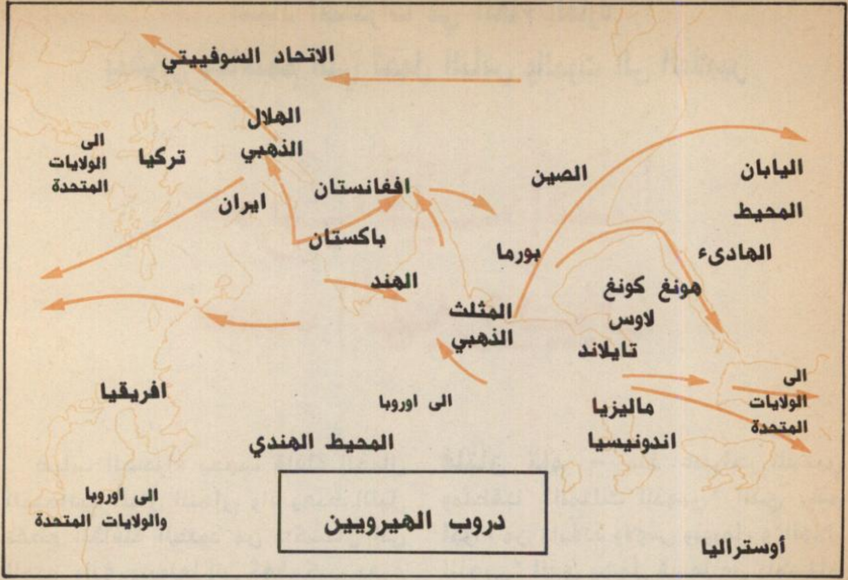

كانت النتيجة مريعة. فتعاطي المخدرات بات منتشراً كالوباء في القارة الآسيوية. ويقول موظف كبير في الهيئة الباكستانية لمكافحة المخدرات: "تجدها في كل بلدة وكل طبقة اجتماعية. إنها خارجة تماماً عن سيطرتنا." فهناك نحو مئة ألف مدمن للهيرويين في نيودلهي وربما قرابة نصف مليون في أنحاء الهند. ويصل العدد في باكستان المجاورة الى ٤٥٠ ألفاً وفي هونغ كونغ إلى ٣٨ ألفاً. وادمان الهيرويين يعتبر مشكلة خطيرة ومتفاقمة في كل من اوستراليا واليابان على رغم أن حكومتيهما لا تتابعان إحصاءات عدد المدمنين. أما تايلاند، التي لا يتجاوز عدد سكانها خمس عدد سكان الولايات المتحدة، فيقدر أنها تحوي عدد المدمنين نفسه، أي ٥٠٠ ألف.

بالون كبير – لم تصل الشرطة وسلطات الانعاش الاجتماعي في آسيا، تماماً كما في الغرب، الى أي استنتاج عن سبب انحراف هذا العدد الهائل من الناس نحو المخدرات. بعض المتعاطين يجدون في الهيرويين هروباً سهلا من الواقع، انه يشبع رغبات الفتيان في أحياء كراتشي الفقيرة وفي عائلات سيدني الغنية على السواء. ويرى فيه آخرون نوعاً من التشبه بالطبقة الراقية العصرية أو بنجوم "الروك" في أوروبا وأمريكا. وقد يعود بعض السبب إلى سعره المناسب. ففي هونغ كونغ يراوح ثمن الغرام الواحد من الهيرويين بين ٨ دولارات و١٣،٨٠ دولاراً، ولكن في بانكوك يبلغ ثمن الجرعة دولاراً واحداً، أي إنها أرخص من الشراب.

كما في الغرب، فرض هذا الوباء

ضريبة على آسيا تعدت تحطيم حياة المدمنين. فهو يتسبب في ٥٧ في المئة من الجرائم والجنح في بانكوك. ويترافق الفساد في أوساط المسؤولين مع نمو عصابات ترويج المخدرات في كل مكان. فالمناطق الرئيسية لانتاج الأفيون، تلك المستوطنات المتفرقة على طول حدود تايلاند وبورما والجرود المهجورة في التخوم الشمالية الغربية لباكستان وسهول مرتفعات أفغانستان، جميعها تقع فعلا خارج سيطرة أي حكومة مركزية.

عندما تتمكن السلطات من اتلاف حقل أو إغلاق طريق إمدادات، تنقل العصابات عملها، ببساطة، إلى مكان آخر. ويقر بذلك شافاليت يودماني رئيس الهيئة التايلاندية لمكافحة المخدرات: "ان مكافحة المخدرات تشبه ضغط بالون كبير: حين تمسك أحد طرفيه ينتفخ الطرف الآخر."

قلق شديد – لا بد من ان تضخم محصول الخشخاش في العامين ١٩٨٦ و١٩٨٧ سيجعل حرب آسيا على المخدرات أكثر ضراوة. ففي بورما، أكبر منتج للأفيون الخام في العالم، ساعد الطقس في تضخم المحصول على نحو مذهل الى ٨٥٠ طناً. فمعظم حقول الخشخاش تقع في ولاية شان النائية على حدود الصين ولاوس وتايلاند حيث تضعف سلطة حكومة العاصمة رانغون. وتسيطر على تلك المنطقة، وبالتالي على تجارة المخدرات، جماعات منافسة من المتمردين.

وفي افغانستان تواجه السلطات مشاكل مماثلة في الجبال قبالة ممر خيبر.

وبحسب التقديرات الأمريكية، أنتج الأفغان عام ١٩٨٦ كميات من صمغ الافيون من قرون الخشخاش في حقولهم المخبوءة تكفي لتصنيع ٦٠ طناً من الهيرويين.

أما في بقية الدول الآسيوية المنتجة للأفيون فالمحاصيل أقل نسبياً لكنها في نمو سريع. والاجراءات الصارمة لنظام الأحكام العرفية الذي فرضه الجنرال محمد ضياء الحق ساعدت في خفض إنتاج باكستان للأفيون من ٨٠٠ طن في العام ١٩٧٩ إلى ٤٥ طناً في العام ١٩٨٤. وعندما شكل ضياء الحق حكومة مدنية في العام ١٩٨٥ تشوش برنامج مكافحة المخدرات وساعدت الظروف في ارتفاع المحاصيل الى ١٤٥ طناً في العام ١٩٨٦.

كان محصول الأفيون في لاوس هزيلا في العادة الى حد أن الادارة الامريكية لمكافحة المخدرات لم تأبه لملاحقته. أما اليوم، بعد ارتفاع المحاصيل إلى ١٢٠ طناً في العام ١٩٨٦، فالادارة تتنبه بقلق شديد إلى إمكانات لاوس في الانتاج.

انتصارات هزيلة – حتى كبرى عمليات الضبط في العالم – اكتشاف ٦٠٢ كيلوغرام من المخدرات في مزرعة خارج بومباي بالهند في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ – تبدو عديمة الجدوى اذا قورنت بالمخزون الآسيوي المذهل من الهيرويين. والفرصة الوحيدة لوضع حد لهذا التدفق هي تدمير حقول الخشخاش. في تايلاند ساعد برنامج طويل الأمد للقضاء على المخدرات، تمول الولايات المتحدة قسماً منه، في خفض محصول

الأفيون الى ٣٥ طناً في العام ١٩٨٦، أي بتراجع ٤٠ في المئة عن العام ١٩٨٥. وقد وظفت المنح الامريكية في شراء شاحنات صغيرة ومتوسطة لنقل "البضائع" وفي استخدام مخبرين من داخل عالم الاجرام. وقدمت الحكومة الاوسترالية دماغاً الكترونياً لمساعدة بانكوك (تايلاند) في تقفي المخدرات ومروجيها. وبدا فارق النتائج واضحاً بهذا الدعم الخارجي. ويقول العقيد في الشرطة التايلاندية فيراج جوتميتا: "لولاه لما وصلنا الى ما نحن عليه الآن."

ومع ذلك فان انتصارات الشرطة التايلاندية في الحقول تتعادل والأعمال الزاهرة وغير المشروعة في تصنيع الهيروبين وتجارته. معظم المحصول الهائل من الخشخاش في بورما يرسل جنوباً إلى الأقاليم الجبلية على الحدود التايلاندية حيث تصنّع كميات منه وتشحن بحراً إلى أوروبا والهند والشرق الاوسط وأوستراليا وأمريكا. وفي العامين ١٩٨٥ و١٩٨٦ سمحت بورما للولايات المتحدة بتمويل برنامج متقدم للقضاء على المخدرات. وعلى رغم ذلك فلن تتمكن هذه الجهود الا من اتلاف جزء بسيط من المحصول وستعوض الغلال المتزايدة في أفغانستان وباكستان ولاوس كل الخسائر.

غضبة شعبية - في كل مرة تتكرر الأمور على المنوال نفسه، اذ تشن القوات الحكومية غزوات صغيرة فيطوقها تجار المخدرات بعد فترة وجيزة. المال هو السبب في عدة حالات. وعلى رغم قلة الدلائل على تورط مسؤولين رسميين كبار في أعمال الرشوة المتعلقة بالمخدرات، فقد افسدت أموال المخدرات ألوف الموظفين الرسميين الصغار. فالعقيد فيراج، متعقب المخدرات الأول في الشرطة التايلاندية، لا يتقاضى أكثر من ٥٠٠ دولار شهرياً، ويتساءل: "حين يعرض أحدهم على شرطي متدني الأجر عشرة أضعاف راتبه في مقابل تغاضيه عن بعض الأمور، فكيف تراه يثبت على أخلاصه؟"

الواقع أن فرصة الاغتناء من تجارة المخدرات، بالنسبة الى ألوف الرسميين والسكان العاديين على السواء، تفوق خطر العقاب المترتب عليها والذي يصل الى الموت في خمسة بلدان على الأقل: ماليزيا وسنغافورة وتايلاند واندونيسيا وسري لانكا. وماليزيا، على نحو خاص، تنفذ أحكام الاعدام شنقاً بانتظام وصرامة. وعلى رغم مواجهة أقصى العقوبات تبقى نسبة الادمان مرتفعة، بمعدل ١٠٥ آلاف مدمن بين ١٦ مليون مواطن.

ماذا عن جموع المدمنين ضحايا المخدرات في آسيا؟ قليلون يفيدون من الطب الحديث في محاولة معالجة ادمانهم. فالطريقة المتبعة في ماليزيا تبدأ بانقطاع مفاجىء عن المخدرات، تليه سنة أو سنتان من إعادة التأهيل. وتعتمد هونغ كونغ برامج اختيارية لازالة السموم، وسلسلة مراكز لمعالجة المرضى الخارجيين، وحتى تزويد المدمنين المسجلين مادة "ميثادون" وهي بديل من الهيروبين يساعد في تخفيف ألم

الانقطاع. لكن هذه البرامج لا تعد بشفاء أكيد، إذ أسفرت نتائجها في هونغ كونغ وماليزيا عن انقطاع مدمنين اثنين من عشرة عن المخدرات نهائياً.

ان الضريبة الباهظة التي يفرضها وباء المخدرات، من جرائم وفساد وموت ويأس، أثارت عواصف غضب عبر القارة. واندفع المحتجون في باكستان إلى الشوارع حاملين شعارات من نوع "حطموا أوكار الهيروويين" و"ابنوا مجتمعاً بلا مخدرات." وبدأت ماليزيا تطبيق برنامج دولي لتعقب المخدرات يهدف الى تثقيف الأولاد. ونظمت تايلاند حملة شعبية مطلقة هذا النداء القلبي: "أحبوا الحياة... امتنعوا عن المخدرات الآن."

لكن الكلمات تبقى سلاحاً ضعيفاً في وجه الهيروويين. وهناك مخدرات جديدة في طريقها إلى المنطقة، من ذلك بداية تدفق الكوكايين من أمريكا الجنوبية. وقد وجدت الشرطة اليابانية أخيراً كمية من الكوكايين تقدر قيمتها بمليوني دولار مخبأة تحت باقات خضر في ثلاجة وكيل عقارات بطوكيو.

وهكذا تستمر الحرب ضد المخدرات الآسيوية.

"نيوزويك"

"كاربوراتور"

توقفت احدى السيارات قربي عند اشارة مرور حمراء. فسمعت مواء صادراً عن مقدمها. فرحت ألوح بيدي الى أن رآني السائق فنزل من السيارة. وحين رفع الغطاء رأينا هرة سوداء صغيرة جاثمة على المحرك.

واذ تجمهر الناس حولنا قال لي السائق محرجاً: "أمسكي الهرة يا سيدتي لحظة واحدة." وقفز الى مقعده وأدار المحرك وانطلق.

واحتفظت أنا بالهرة الصغيرة وسميتها "كاربوراتور."

ب.س.

من الألغاز الكبرى في الحياة العائلية أن ينجب الصهر التافه أنكى الأحفاد على الأرض.

ل.ا.

الغاز الصناعي يقود عجلة الغد

غيّرت هذه الصناعة معيشتنا وسيكون لها دور أكبر في المستقبل

لم أكن سمعت بما يسمى "الهواء السائل." ثم حل يوم جلست في سريري بالمستشفى أنتظر بقلق نتيجة الجراحة التي أجريت لشبكة عيني السليمة الوحيدة. نزع الجراح الضمادات وحدق الى عيني وأكد لي: "نعم، نجحت." وفيما أنا استمتع بهذا الخبر المفرح مضى يشرح لي الطريقة التي أنقذت بصري. لقد استخدم في الجراحة أداة في شكل قلم رصاص، مبرّدة بالنيتروجين السائل. والبرودة الشديدة ختمت التمزق في شبكة العين بالطريقة ذاتها التي تلحم بها المفاصل المعدنية بالحرارة.

أُخذ النيتروجين من الهواء الذي نتنفسه يومياً. ويتكون الهواء أساساً من ٧٨ في المئة نيتروجيناً و٢١ في المئة أوكسيجيناً وكميات قليلة من ثاني أوكسيد الكربون والهيدروجين والهيليوم وغازات نادرة (أرغون، كريبتون، نيون، زينون) وبخار الماء وملوثات. وباستثناء البخار والملوثات فان كل هذه المقومات تستخدم في الصناعات الحديثة، وان يكن بعضها اليوم متوافراً من مصادر أخرى بكلفة أقل.

ان الشركات الغربية الكبرى التي تنتج غازات صناعية – هوائية هي: شركة "الهواء السائل" في فرنسا و«BOC» في بريطانيا و"يونيون كارbايد أند اير بروdكتس أند كيميكالز" في الولايات المتحدة. ويبلغ رقم اعمال هذا القطاع ١٢ مليار دولار سنوياً وتعد مصانعه بالمئات في أنحاء العالم.

يشرح الامر ريتشارد جوردانو رئيس مجلس ادارة مجموعة «BOC» : "ما نعمله هو انتزاع غازات من الهواء ومن مصادر أخرى لنساعد سوانا كي يبتكروا منتجات جديدة أو يحسنوا المنتجات المتوافرة. عليك أن تتطلع الى ما وراء المسرح لترى كيف نعمل، وحين تنظر حقاً ستجدنا في كل مكان."

عالم فاتن - لم أكن في حاجة الى التطلع خارج محيط غرفتي لأجد دليلا على الغازات الصناعية وهي تعمل. فجهاز التنفس بجانب سريري موصول بقارورة أوكسيجين سائل، وزجاج النوافذ ووصلات الفولاذ في سريري صنعت في أفران بلغت أقصى درجات الحرارة التي أذكاها اشتعال الاوكسيجين، ومادتا الارغون والنيون في المصابيح الكهربائية وأنابيب الفلورسنت التي تضيء غرفتي أخذتا من الهواء العادي.

خارج غرفتي أرى جدولا كان قبل سنوات ملوثاً. ثم نفخ فيه الاوكسيجين الذي بعث النشاط في الجراثيم فأخذت تلتهم النفايات السامة. وبات الجدول بيئة صالحة تعيش فيه الاسماك ويسبح فيه الاوز.

كلما تصفحت جريدة وجدت اشارة الى استخدام الغاز الصناعي: فالعمال في نيويورك ينزعون طبقات الدهان التالفة داخل تمثال الحرية بواسطة رشاش النيتروجين السائل. والسوفييت ضخوا النيتروجين السائل في جوف الارض تحت المفاعل النووي المعطوب في تشيرنوبيل لتجليد التربة وخفض الحرارة في قلب المفاعل. ومرر الفرنسيون النيتروجين داخل شبكة أنابيب عبر الرمل والحصى تحت نهر السين ليسهل بناء نفق للقطار السريع.

وفتنتُ بعالم الغازات الصناعية حتى انني عزمت على استكشاف بعض مصانعها. وبالقرب من ميلون جنوب باريس زرت معملا لعزل الهواء ينتج ما يزيد على ٣٠٠ طن من الغاز يومياً.

والمعمل يتألف من مجمّع بنايات غير واضحة المعالم مشادة بالمعدن والاسمنت، ورأيت خارجه رجالا بمعاطف بيضاء يراقبون تحميل الغاز في صهاريج. ولكن لم أرَ دليلا على تفريغ مواد أولية. لذا سألت فانو المهندس المسؤول: "أين هي موادكم الاولية؟" فتبسم واشار الى فتحة في قمة جدار مجهزة بغطاء ويبلغ حجمها أربعة أمتار مربعة: "هاك موادنا الاولية. انها تأتينا من تلك الفتحة، وهي ليست سوى هواء عادي."

سمعت كثيراً من الصرير والقرقعة في الداخل، لكنني لم أر الا رجالا بسترات بيضاء يضبطون مجموعات من المقاييس والاجهزة والنسخ المسحوبة من الدماغ الالكتروني. يعمل موظفو فانو القلائل من الثامنة صباحاً الى الخامسة مساء كل يوم الا السبت والاحد. ويعمل المصنع أربعاً وعشرين ساعة يومياً سبعة أيام في الاسبوع بتوجيه من الادمغة الالكترونية، وهناك شخصان حاضران دائماً وعلى استعداد لتلبية اشارة لاسلكية من الدماغ الالكتروني في حال ظهور اي مشكلة.

وتساءلت: اذا كان الهواء نقياً، وشغّل الحد الادنى من العمال، فان الغاز المستخرج من الهواء لا بد من أن يكون قليل الكلفة. فرد فانو: "لا، أبداً، الغازات غالية جداً، لان عملية فصل الهواء تتطلب طاقة كبيرة كي يستمر تحركه في الاجهزة المختلفة حيث يتحلل الى اجزائه الاساسية."

صقيع وغليان - في أوائل القرن التاسع عشر كان بعض العلماء يعتقد أن

الهواء وجزءيه الاساسيين - الاوكسيجين والنيتروجين - "غازات ثابتة" غير قابلة للتحويل الى سوائل. ولكن في العام ١٨٧٧ استخرج لوي كايتيه في فرنسا وراوول بيكتيه في سويسرا في مختبريهما بضع قطرات ضاربة الى الزرقة من الهواء السائل. وفي نهاية القرن ابتكر كارل فون ليندي في ألمانيا وجورج كلود في فرنسا، كل على حدة، تقنيات لصنع الهواء السائل وفصل أجزائه الغازية. وعلى الاثر أنشأ ليندي شركة لاستثمار اختراعه في ألمانيا وأصبح كلود في فرنسا أحد مؤسسي شركة "الهواء السائل".

ترتكز التقنيات على ثلاثة مبادىء: الاول، أن درجة الحرارة التي يتحول فيها الغاز سائلا تختلف تبعاً للضغط المسلّط عليه. والثاني، أن حرارة الغاز ترتفع عندما يُضغط وتبرد عندما يتمدد، وفي امكان المرء ملاحظة ذلك في "خرطوشة" ثاني أوكسيد الكاربون التي تحوّل الماء العادي صودا غازية. فالغاز في الخرطوشة مضغوط بمعدل أربعة أو خمسة أضعاف الضغط الجوي. وعندما يتمدد الغاز داخل الماء في القارورة تصبح هذه باردة كالثلج. والمبدأ الثالث يقوم على أن في الامكان حل السائل الى أجزائه الغازية بتسخينه الى درجة الغليان. فيرتفع الجزء الاخف بخاراً يمكن تبريده وتكثيفه ليعود سائلا كما كان، وهذا ما يفعله المزارع حين يستقطر عصير التفاح لصنع الشراب.

والفارق بين هذه العمليات ومصنع فصل الهواء هو درجة الحرارة. وهذا الفارق كبير جداً. فدرجة غليان غازات الهواء في الضغط الجوي، وهي الدرجة ذاتها التي تتحول فيها الغازات سوائل، منخفضة جداً: ١٨٣ درجة مئوية تحت الصفر للاوكسيجين و١٩٦ درجة تحت الصفر للنيتروجين. والوصول الى هذه الدرجات المنخفضة كان تحدياً للابداع الهندسي.

صندوق بارد - تبدأ العملية في مصنع فصل الهواء بآلات ضغط جبارة تمتص الهواء من الخارج، ثم تنقّيه أجهزة من الملوثات وبخار الماء وثاني أوكسيد الكاربون. وبعد تنقيته يضغط الهواء بقوة هائلة تصل الى ٢٠٠ ضعف الضغط الجوي، كي يتمدد لاحقاً ويستعمل كمبرد. ولما كان الضغط يرفع حرارة الهواء كثيراً، فانه يمرر داخل وحدات للتبريد ويعالج كي تنخفض حرارته الى ٨٠ درجة مئوية تحت الصفر. عندئذ يخف الضغط على معظم الهواء الى ستة أضعاف الضغط الجوي العادي. وهذه الكتلة من الهواء المتمدد تبرِّد القسم الآخر الذي يبقى تحت الضغط العالي، ليبلغ ١٦٠ درجة تحت الصفر حين يبدأ التحول الى سائل ضارب الى الزرقة. من ثم يدخل الهواء السائل شبكة معقدة من الانابيب والمبادلات(١) حيث يعلو الضغط ويهبط وترتفع درجات الحرارة وتنخفض تباعاً. وفي النهاية يُفصل النيتروجين بالغلي مخلفاً الاوكسيجين النقي.

يتم التقطير داخل أبراج فولاذية غير قابلة للصدأ، حيث نضدت مئات الاطباق

(١) Exchangers

بعضها فوق بعض وكل منها تتخلله ألوف الثقوب الدقيقة. يصعد الغاز من خلال الثقوب فيندلق السائل على جوانب الأطباق الى أسفل. وبذلك يزداد الغاز غنى بالنيتروجين ويزداد السائل غنى بالاوكسيجين.

وهذه العملية لا تمكن رؤيتها. وبما أن العمليات تتطلب هذا المستوى من درجات الحرارة القصوى، فانها تجرى داخل جدران معدنية لما يسمى "الصندوق البارد" (٢) وما يستخرج من هذا الصندوق قد يكون مواد غازية أو مواد سائلة بحسب مقتضيات الشحن.

رجاء للمرضى – ان استعمالات الغازات الصناعية في عالمنا المتميز بالتكنولوجيا العالية كثيرة ومتنوعة. فالاغذية المجمدة بواسطة النيتروجين السائل أو ثاني أوكسيد الكاربون غيّرت طريقة أكلنا. وبرامج الفضاء تقتضي كميات هائلة من الهيدروجين والاوكسيجين السائلين كوقود للصواريخ. ورقائق الدماغ الالكتروني هي من الدقة بحيث لا يمكن صنعها الا في جو من النيتروجين في منتهى النقاوة والهمود (أو في جو ابن عمه الارغون الاكثر هموداً). وقد أمكن حفر آبار في البحر بعيداً من الشاطىء باستخدام كميات ضخمة من غازي الهيليوم والاوكسيجين لتوفير جو صالح للعيش تحت الماء.

(٢) Cold box

في مقره الرئيسي في باريس يتكلم ادوار دو روايير رئيس شركة "الهواء السائل" عن المشاريع الهندسية المتطورة حالياً في غرف الرسم. فالطائرات ستنقلنا في الاجواء العليا من لندن الى أوستراليا في أقل من ساعتين، وسيستخدم الاوكسيجين والهيدروجين السائلان كوقود في تحليقها. وستندفع القطارات بسرعة ٥٠٠ كيلومتر في الساعة وكأنها تسبح في الهواء مشدودة الى أعلى بأجهزة مغناطيسية كهربائية مبردة بالهيليوم السائل. وستسيَّر السيارات بمحرك خزفي أخف وزناً وأقل استهلاكاً للوقود بمعدل الضعفين من المحركات المصنوعة من الفولاذ. وسيُصنع الخزف من مسحوق الاوكسيد باستخدام تقنية تُجرى فقط في جو نيتروجين نقي وهامد الى أقصى الحدود.

ويقول روايير بحزن: "نحن سندير عجلات القرن الحادي والعشرين، لكن قلة من الناس ستعرف بذلك."

لن نكون جميعاً غير عارفين. فاذا حقق العلماء أحلامهم بات في امكان مئات الالوف الذين يعانون أمراض تنفس مزمنة أن يعيشوا حياة هانئة بفضل قارورة أوكسيجين يحملونها في جيوبهم.

وسيتخلص آخرون من آلام المفاصل الملتهبة من طريق معالجتها بالنيتروجين. ولن ينسى كثيرون منا أن قطرات من غاز مجلد أنقذتهم من العمى.

روبرت فيرنك

الاصدقاء هم العائلة التي نختارها. ج.١٠

شُكرًا يا مُعلِّم!

وصيتهم ترافق كلًا منا
انها المعجزة المشتركة والأمل الدائم
بوجوب التوجه نحو الافضل

اني أتحسر لعدم تفرغي لتلاميذي حين أكثر من الكتابة. وعلى رغم أني بدأت سنتي الحادية والعشرين في حقل التعليم فاني أتساءل: "هل توقفت عن اعتبار نفسي معلماً؟"

أزمة الايمان هذه تعيد أساتذتي الى ذهني علني أفيد منهم مجدداً بعد مرور عقدين على انتهاء المرحلة السابقة من حياتي كتلميذ. أنا لا أتذكر التعليم الفعلي للمواد المختلفة، بل أشياء بسيطة قد تكون لحظة أو بضع كلمات أو نصيحة.

لا أذكر اسم معلمتي في سنتي الابتدائية الاولى في غرايفيل بولاية إيلينوي. إنها علمتني القراءة والكتابة والجمع والطرح. كانت بداية سعادة في حقل اللغة وتعاسة في عالم الارقام.

أما أبرز ما أتذكره فهو أنها علمتني التمييز بين اليمين واليسار إذ كنت أعسر. وهمست في أذني الصغيرة يوماً:

© 1986 by Mark Medoff. Condensed from New York Times Magazine (November 9, '86), New York, N.Y. Photos of Mark Medoff: Maggie Steber

"معلمات الصفوف الابتدائية يجبرن الطفل الاعسر على استعمال يده اليمنى ليشابه الجميع." لكنها لم تفعل ذلك معي. وستبقى ذكرى هذه المعلمة وملاحظتها الاستثنائية في مخيلتي.

• • •

في العام ١٩٤٨ انتقلنا الى جزيرة صغيرة شرق ميامي في فلوريدا. كانت امتداداً لشاطىء رملي تعلوه نقوش مزخرفة. انه شاطىء ميامي.

هناك كانت السيدة روزين الفاتنة في انتظاري. وقد حضر زوجها يوماً ليعلمنا أن نرسم نجمة. لم يخطر لي يوماً أن لها زوجاً، بل خلتها تنتظرني حتى أكبر وأتزوجها. ولكن لمَ يعلمنا رسم نجمة؟ كل واحد يعرف أن يرسم النجوم.

الا أن زوج السيدة روزين لم يعلمنا رسم نجمة عادية، بل نجمة رباعية الزوايا وثلاثية الابعاد بدت بارزة من الورقة. هذا ما يسمى الوهم البصري. انه سحر!

• • •

ذات يوم دخلت صف السيدة روزين امرأة طويلة هزيلة ذات عينين مشرقتين وبشرة لامعة. انها الآنسة بارنيت رئيسة "وحدة المشاة"، وهي مجموعة من عشرين صبياً يرتدون ثياباً بيضاء ويسيرون في فرق متضامنة في المناسبات المدرسية الخاصة. كذلك رأست الآنسة بارنيت شرطة الامن المؤلفة من طلاب مختارين يضعون على صدورهم أحزمة بيضاء غريبة ومكلفين حفظ سلامة الاولاد في اجتياز الشارع المزدحم أمام المدرسة. وكان جميع صبيان مدرسة بيسكاين الابتدائية يتمنون الحصول على أحد هذين المنصبين المعتبرين.

أعلنت السيدة روزين أن الآنسة بارنيت ستقدم على عمل غير اعتيادي، فسوف تختار تلميذاً من السنة الرابعة لينضم الى وحدة المشاة المقتصرة على طلاب السنتين الخامسة والسادسة.

غير معقول! والمدهش في الامر أنني اذ رحت أرمق المرشحين المرجحين حولي حاسداً أياهم، سمعتها تختارني أنا.

في الصفين الخامس والسادس أصبحت شرطياً وقائداً لوحدة المشاة. وكانت الآنسة بارنيت تكرر علي بحماستها المتوقدة: "إن قررت القيام بعمل فنفذه على خير وجه ومن كل قلبك. وإن قررت القيادة فسر في المقدم وارفع رأسك بفخر." وما أضيفه الى عظتها هو أنك لن تنجح تماماً ما لم تغامر حتى الفشل المريع.

• • •

في السنة السادسة التقيت السيدة روث والر الحازمة العادلة ذات الشعر الاحمر والوجه المنمش. لقد جعلتني للمرة الاولى أشعر بقدرتي على أن أكون طالباً جيداً، الى كوني عضواً في وحدة المشاة وشرطة الامن.

• • •

في ثانوية ميامي بيتش أجبرني أساتذة اللغة الانكليزية على المطالعة والكتابة المتواصلة وحفظ المفردات. كان بات ساموبلسن أستاذ الصف الثانوي

الثاني شاباً أنيقاً ذا تسريحة عصرية يرفع فيها شعره عن جبينه الى الوراء. وهو كان يعلمنا كتابة القصص القصيرة.

لم أتصور أبداً أن يكون عملي مميزاً. لذا دهشت حين منحني أمام الصف أعلى علامة أعطاها خلال حياته التعليمية. ثم طلب مني أن أقرأ قصتي.

كنت خائفاً! انه الخوف من الوقوف على المنبر ومن وضع خفايا ذاتي أمام الحكم العام. لكن السيد ساموبلسن أومأ الي أن أتقدم، وشجعتني تصرفاته كأنه يقول: "لا تخف من أي شيء." فتناولت القصة، وخلال عشرين دقيقة من العظمة والارتباك أصدرت الحكم على حياتي: مارك ميدوف، لقد حكم عليك مؤبداً بكشف خفايا ذاتك علناً.

• • •

في الفصل الاول من سنتي الجامعية الاولى في ميامي تعرفت الى الدكتور روبرت هايفلي الذي تخلى عن مهنة زاهرة في علم البصريات كي يتفرغ لتعليم الادب.

لم يكن بنادم قط على رغم أنه بات يتقاضى ثلث ما كان يتقاضاه سابقاً. كان يبدو في ذروة السعادة مع الطلاب وكأنه مكلف انقاذ نوع مختلف من البصر.

علمني التفكير فوق العموميات. وهذا ليس سهلا على شاب في الثامنة عشرة مزود قليلا من المعرفة والبراعة العقلية لتحليل تفاصيل الامور. لكني مع الدكتور هايفلي لاحظت للمرة الاولى كيف يستعجل الانسان تصنيف الاشخاص والاشياء بطريقة مجحفة وناقصة ومريعة.

كانت الدكتورة هيلين غارلينغهاوس كينغ، بشعرها المربوط وفساتينها الحريرية الطويلة، تبدو كأنها آتية لتوها من العصر الفيكتوري، وهو حقل اختصاصها. انها معلمة الكتابة الانشائية العالية في الفصل الثاني من سنتي الجامعية الاولى. كانت منعزلة ومتصلبة ومتمسكة بقواعد اللغة، وطالما اعتبرت استعمالي القاطعة - التي أصررت على أنها أداة خلاقة - أسلوباً همجياً.

في أحد الايام تجرأت وسألتها هل أستطيع كتابة قصة قصيرة بدلا من الفرض المعين. فحدقت الي محاولة قراءة ما في داخلي وأجابت: "لا أعلم ان كنت تستطيع ذلك، ولكن يمكنك المحاولة." ثم ابتسمت ومضت.

في الاولى بعد منتصف الليل التالي لتسليمي القصة استيقظت على رنين الهاتف، فاضطربت وظننت ان مكروهاً حصل. ولكن عوض ذلك سمعت من الطرف الاخر صوت الدكتورة كينغ الكئيب ينبض بالحياة: "ما من شيء أعلّمك اياه عن الكتابة. سأحولك الى أستاذ آخر."

• • •

الانتقال الى أستاذ جديد خلال فصل واحد حدث فوق العادة. فكيف اذا كان وليم فريد شو، الاستاذ الاسطوري لمقرّر الكتابة الابداعية. طوال ثلاث سنوات من الشباب الخائب في الجامعة كان شو يوبخني ويحطمني حيناً ثم يتقرب مني ويشجعني حيناً آخر. لقد علمني الكثير من فن الكتابة، وأهمه أن لهذا الفن وسيلتين رئيسيتين - القراءة والكتابة.

وان لم تكن مضطراً الى الكتابة فتحوَّل عنها، لأن الخيبة والمعارضة ليستا جديرتين بالاحتمال الا اذا كنت ملتزماً تماماً.

• • •

درَّس شو أيام شبابه في جامعة نيومكسيكو الصغيرة في لاس كروس. وفي العام ١٩٦٦ بعد تخرجي في جامعة ستانفورد في كاليفورنيا أعد لي أن أتبع خطاه.

أصبحت أستاذ اللغة الانكليزية في لاس كروس. وطالما كتبت نثراً وأعلنت أنني سأنشر رواية في وقت قريب. ولكن ماذا كنت أعرف عن فن التعليم؟

ساعدني أساتذة كثيرون في جامعة نيومكسيكو. في الفصل الاول صادقت جون هادسل أستاذ اللغة الانكليزية. كان دائم الانهماك في ما كان يدعى "مسرح جمعية لاس كروس." وسألني يوماً: "لمَ لا تكتب مسرحية فننتجها ونعرضها؟" فكتبت مسرحيتي الاولى التي تضمنت فصلا واحداً آنذاك ثم عرضت في ثلاثة فصول بعد ثمانية أعوام في نيويورك.

وكانت هديتي التعليمية التي وهبني اياها جون عظيمة مثل انتاج مسرحيتي الاولى: "على المعلم ألا يخاف مما يكتشفه وهو يعلِّم أموراً يظن أنه يدركها تماماً."

أرلين بلكين وتوم ارهارد زميلان في دائرة الفنون المسرحية. انهما مثال الجهد التعليمي المتواصل مدة عشرين سنة. راقبت توم طويلا ولم ألاحظ أي تقاعس في حبه المادة التي يدرسها أو حبه المبادلة داخل الصف - تعليم الاستاذ للطلاب وتعليم الطلاب للاستاذ. فالتزام المعلم هو نمط حياته.

أما أرلين بلكين المحبوبة والملأى حيوية فذكرتني بالآنسة بارنيت والسيدة والر. كانت تحضني دوماً على التقدم بشجاعة، وحتى بتهور، من أي عمل أنويه - فالاكتفاء الذاتي يولد الانكماش والانكماش يسبق الموت.

• • •

في العام ١٩٧٢ رجعت الى مدرسة ميامي الثانوية لاحاضر في صف المسرح. سألت أستاذ المسرح عمن تبقى من أساتذة اللغة الانكليزية، فأجاب: "ارين روبرتس تدرِّس في الصف المجاور للقاعة."

لم أكن مميزاً في صف الآنسة روبرتس، بل كنت تلميذاً عادياً جداً. لا أذكر أياً من نصائحها وحكمها، لكني لا أنسى تقديرها اللغة والافكار والتلاميذ. انها مثال المعلم غير الاناني. فقلت: "كنت أود مكالمتها، لكني لا أريد ازعاجها."

فرد استاذ المسرح: "هذا هراء. ستكون سعيدة برؤيتك."

رافق استاذ المسرح الآنسة روبرتس الى الممر خارج القاعة. فوقفت أمام رجل في الثانية والثلاثين وقد رأته في المرة الأخيرة شاباً في الثامنة عشرة.

قدمت نفسي: "أنا مارك ميدوف. كنت معلمتي في سنتي الثانوية الاولى عام ١٩٥٨."

رفعت المعلمة رأسها الي محاولة استحضار صورتي القديمة في ذهنها.

وعلى رغم استعدادي لاسماعها بعض الجمل المنمقة فقد انطلقت مني هذه الكلمات من دون تفكير: "أريدك أن تعرفي كم كنت مهمة بالنسبة الي."

هناك في ممر القاعة بكت المرأة الجميلة الحساسة التي قاربت سن التقاعد، ثم احاطتني بذراعيها.

حين أستعيد تلك اللحظة أشعر بأن كل ما أعرفه وأنقله الى تلاميذي وأولادي هو جزء من الميراث المستمر والتساؤلات المشتركة والامل الدائم بتوجيه أنفسنا نحو الافضل.

ضمتني ارين روبرتس للحظات وهمست من خلال دموعها: "شكراً." ثم نظرت الى وجهي المنسي وعادت الى صفها لتكمل ما داومته ألوف الايام أثناء غيابي.

بعد تفكير عميق أعتقد أنني بتلك الكلمات وفيت ارين روبرتس بعضاً من حقها. انها الكلمات التي أود أن أنقلها الى جميع أساتذتي كما أود أن أسمعها من تلاميذي: "أريدك أن تعلم كم كنت مهماً بالنسبة إلي."

مارك ميدوف

حاز الكاتب جائزة "توني" المرموقة للمسرح عام ١٩٨٠.

مغنّ ميكانيكي

أخبرني صديق لي، وهو مغنٍّ، القصة الآتية:

قبل سنوات شاركت في حفلة غنائية. وما ان ظهرت وفرقتي الموسيقية على المسرح حتى ساد القاعة انتظار صامت. لكن غطاء البيانو كان مقفلا. واذ راح عازف البيانو يبحث عن المفتاح اخرجت سكيناً من جيبي ودسست شفرتها في القفل وأدرتها فانفتح الغطاء وصفق الحاضرون استحساناً. ومنذ ذلك الحين لم احظ بمثل هذا الهتاف الحماسي.

ا.م.

حديث عن الحمية

بعد قياس وزن كل سيدة في مجموعتنا بدأت مرشدتنا الكلام على أصول الحمية. وكان موضوع محاضرتها ذلك اليوم "مشكلة الاكل خارج المنزل." فنصحت بطلب بدائل كالمرطبات الفقيرة بالوحدات الحرارية واللحم المشوي بدلا من المقلي. وأخيراً سألتنا: "ما هي اكبر مشكلة تواجهكن عندما تخرجن لتناول العشاء في مطعم؟"

فأجابتها احدى الزميلات على الفور: "همٌّ لقياك هناك."

ل.س.

المرأة العصْرِيَة: «سِنّ اليَأسِ» حَيَاة جَديْدة

حياة المرأة وانتاجيتها لا تنتهيان بانقطاع الطمث. وكلما بكرت في اكتساب العادات السليمة ضمنت مرحلة لاحقة زاخرة بالسعادة والانتاج

كان الموضوع في ما مضى يعتبر من الاسرار المحظورة. وكانت النساء يكذبن في موضوع أعمارهن وكأن بلوغ الاربعين أو الخمسين أمر يدعو الى الخجل. وأي حديث عن التغيرات المقلقة التي تعتري أجسادهن كان يدور همساً وفي منتهى السرّية.

أما اليوم فقد أصبح موضوع انقطاع الطمث من الامور التي يجوز التحدث فيها. فالنساء اللواتي مررن بهذه المرحلة ما زال ثلث أعمارهن أمامهن، فلا غرو أن يرغبن في حياة فضلى وعمر أطول.

والابحاث الكثيرة حول ما يسمّيه الاطباء "المرحلة الحرجة" أو "سن اليأس" حملت أخباراً طيبة الى النساء اللواتي بلغن منتصف العمر وأخباراً أطيب الى من هنّ أصغر سناً.

يقول الدكتور موريس نوتلوفتز مدير مركز دراسات سن اليأس في غينزفيل بولاية فلوريدا الامريكية: "ما نسميه طبيعياً بالنسبة الى نساء اليوم اللواتي انقطع الطمث لديهنّ ليس في الواقع طبيعيا." فالنساء تدفعهن رغبة جامحة في النحافة، فيغفلن تناول الطعام المغذي. وفي سعيهن الى التشبه بالسيدات ذوات الكياسة والاناقة يصبحن قليلات الحركة وينفقن معظم أوقاتهن جالسات. ويتابع الدكتور نوتلوفتز شرحه: "يمكن البدء بتناول الطعام المغذي وممارسة التمارين الرياضية في أي عمر،

فالوقت لذلك لا يفوت أبداً." لكن الوقت، من ناحية أخرى، ليس باكراً أبداً على هذه الامور. وهناك خطوات من شأنها، إذا طبقتها الشابات في الوقت المناسب، أن تفيدهن حاضراً ومستقبلا.

طبّياً، يبدأ انقطاع الطمث مع توقف العادة الشهرية. ويكون ذلك عادة بين السادسة والاربعين والخامسة والخمسين من العمر، أي في وقت يستنفد المبيضان مخزونهما من البييضات ويتوقفان عن العمل.

لا يمكن توقع نوع المرحلة التي تمرّ بها كل امرأة بعد انقطاع الطمث. فهي بالنسبة الى بعض النساء سهلة ومريحة وبالنسبة الى البعض الآخر شاقة ومزعجة. والمرحلة هذه في حياة النساء تتوافق زمنياً مع المرحلة التي يبدأ الاولاد ترك المنزل الوالدي، ومع بلوغ الزوج نفسه منتصف العمر الحرج. وهي المرحلة ذاتها التي ربما برزت خلالها حاجة أحد والدي الزوجين الى مساعدة أو عناية، وربما رافقها تغير في إحساس المرأة بذاتها ووعيها لتلك الذات.

كل شيء، بدءاً بحسابها في البنك وانتهاء بالمجتمع الذي تعيش فيه، يؤثر في المرأة في تلك المرحلة من حياتها. فالمرأة التي ما زال أحد أولادها مقيماً معها في المنزل الوالدي، مثلا، تعاني مشاكل أقل مما تعانيه امرأة تجد نفسها وحيدة في العش الخالي. والنساء ذوات الدخل المرتفع والخيارات المفتوحة هن أقل معاناة من مثيلاتهن ذوات الدخل المتدني. وللثقافة تأثير كبير أيضاً. ففي المجتمعات التي تمجد الصبا والجمال، أي إشارة تدل على الشيخوخة هي بمثابة عقاب يُنزل في الشخص، بينما هي في المجتمعات التي تجل الشيوخ وتقدرهم، كما في افريقيا والهند، بمثابة جائزة أو مكافأة.

على أن التغيرات الجسدية حقيقية. وبين كل أربع نساء واحدة يسبّب لها انقطاع الطمث ألماً. واكثر الاعراض شيوعاً وإزعاجاً هي "الهبات" الساخنة التي يعانيها معظم النساء. وهي تبدأ عند بعضهن في السن الخامسة والثلاثين أو قبل ذلك. وهذه الهبّات تسبب عادة إزعاجاً طفيفاً فتشعر المرأة كأن جو الغرفة أصبح فجأة حاراً أكثر من اللزوم. وفي بعض الحالات يسبق الهبّة هاجس داخلي ثم حرارة فائقة تنتشر في الوجه والعنق وأعلى الجسم.

قبل انقطاع الطمث وأثناءه وبعده تظهر لدى النساء جملة أعراض: هبّات ساخنة وتغيرات مهبليّة ومشاكل في المثانة وتغيرات في العظم. بعض النساء تقتصر أعراضهن على واحد أو اثنين من هذه. أما القليلات الحظّ بينهن فيتعرضن لها كلها.

ولدى الاطباء علاج ناجع لجميع هذه الاعراض تقريباً، إلا أنه علاج يثير الخلاف في ما بينهم ويدعى "التعويض الهورموني"(١)، وتعطى خلاله المرأة أقراصاً تحتوي على الـ"إستروجين" الذي يفتقر اليه الجسم في هذه المرحلة.

في الستينات هلل الناس للاستروجين واعتبروه أعجوبة، فهو الذي يزيل أعراض مرحلة منتصف العمر الحرجة ويؤخر

(١) Hormone replacement therapy

الشيخوخة ويتيح للمرأة أن "تحتفظ بأنوثتها" كاملة مدى الحياة. أما في السبعينات فان بعض الدراسات التي تقشعر لنتائجها الابدان ربطت الاستروجين بالسرطان. واليوم، في الثمانينات، عاد الاستروجين الى الساحة في حلة جديدة. وفي محاكاة لأمنا الطبيعة، يصفه الاطباء اليوم بجرعات صغيرة مع هورمون آخر يدعى "بروجستين." والاثنان من الهورمونات التي كان الجسم ينتجها ثم انقطع عن انتاجها.

لا توافق تاماً على أن طريقة العلاج هذه سليمة ولا تشكل أي خطر. وفي ذلك تقول لويز برنتون من المعهد الوطني الامريكي للسرطان: "اننا لسنا مقتنعين هنا،" خصوصاً أن المركَّب لم يُجرَّب بعد على أعداد كبيرة من النساء ولفترات طويلة. وعلى رغم ظهور دلائل على أن جمع الهورمونين يخفف خطر اصابة الغشاء الداخلي للرحم بالسرطان، وهو الخطر الذي ارتبط بالاستروجين، إلا أن خطر الاصابة بسرطان المبيض والثدي ما زال قائماً.

وورد في تقرير للدكتور ر. دون غامبرل من كلية جورجيا للطب، بعد دراسة هي الكبرى في نوعها والاكثر تفاؤلا، أن العلاج بجمع الاستروجين والبروجستين يقلل خطر الاصابة بسرطان الثدي لدى بعض النساء. إلا أن تأثير هذا المركّب بعد انقطاع الطمث وعلى المدى الطويل ما زال مجهولا. وتوضح برنتون "ان الدراسات التي أجريت على الاستروجين وحده أظهرت أن خطر الاصابة بسرطان الثدي ربما ارتفع قليلا عند بعض النساء من فئات معيّنة."

لكل دواء تأثيرات جانبية. والخطر الناجم عن المعالجة بالهورمونات ضئيل جداً بالنسبة الى مجموع السكان، أما بالنسبة الى الفرد فإنه مرتفع. والمعالجة بالهورمونات تشبه مفتاح المصباح الكهربائي، أدره فتختفي الأعراض، أطفئه فتعود الاعراض جميعها، بما فيها الهبات الساخنة و"الذوبان" السريع للعظم، وأحياناً على نحو أسوأ مما كان. تلك هي، بالنسبة الى أي امرأة، مسألة موازنة بين أخطار العلاج بالهورمونات وأخطار انقطاع الطمث، خصوصاً خطر نخار العظم(٢) وسهولة انكساره. وهي أيضاً موازنة بين الاعراض. فربما خففت الهورمونات من كرب انقطاع الطمث وويلاته. ولكن من جهة ثانية، ربما أحدث البروجستين تأثيرات جانبية كانتفاخ البطن وأوجاع الرأس والاعراض التي تسبق الحيض.

الاطباء الحكماء يصفون الهورمونات بانتقائية، وهم يقصرونها على ثلاث فئات من النساء:

١. النساء اللواتي ينقطع طمثهن في سن مبكرة فيفتقرن الى الحماية التي يوفرها الاستروجين. ويعتقد الاطباء أن معالجة مثل هؤلاء النسوة بالهورمونات ضرورية، على الأقل حتى يبلغن السن الطبيعية لانقطاع الطمث. والشابات اللواتي لا ينقطعن عن التدخين ربما وجدن أنفسهن يوماً في هذه الفئة التي

(٢) Osteoporosis نخار العظم أو ترققه.

يتعرّض أفرادها لانقطاع مبكر للطمث. وهذا ينطبق أيضاً على النساء اللواتي يخضعن لجراحات استئصال المبيضين مع الرحم.

٢. النساء المعرضات أكثر من سواهن لنخار العظم. بعض النساء، ولاسيما الشقراوات والهزيلات البُنية، يتعرضن لنخار العظم بسرعة أكبر من سواهن. وهناك اليوم آلات تقنية يمكن بواسطتها اكتشاف هذا الخلل.

٣. النساء ذوات الاعراض الحادّة. على كل امرأة أن تزن انزعاجها شخصياً وأن تستشير طبيبها، وفي ضوء ذلك يمكنها أن تتوصل الى قرار شخصي.

وفي وسع النساء الاصغر سناً أن يتخذن خطوات توفّر لهن حماية أكيدة ضد كثير من مشاكل منتصف العمر. وفي امكان النساء الاكبر سناً أن يجرّبن العلاجات البديلة فيأخذنها عوض الهورمونات أو معها. ومن شأن هذه العلاجات ان تلطّف من حدّة الاعراض المزعجة.

نخار العظم. الكلسيوم هو المادة التي تبني العظم. والنساء يحتجن الى أكثر من كمية الكلسيوم التي توفّرها وجبات الطعام العادية، والتي تراوح بين ٤٥٠ و٥٥٠ غراماً. والمرأة أثناء الحمل والرضاعة تفقد الكثير من الكلسيوم. وإذا بدأت النساء تناول ما يراوح بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ مليغرام من الكلسيوم يومياً قبل انقطاع الطمث بوقت طويل، لوفرن لانفسهن حماية ضد نخار العظم في المستقبل. وبعد انقطاع الطمث يؤدي نقص الاستروجين الى ذوبان العظم، فترتفع حاجة المرأة الى الكلسيوم الى ١٥٠٠ مليغرام يومياً. وفي استطاعتها الحصول على هذه الكمية من طريق الاطعمة الغنية بالكلسيوم كالحليب (الذي يحتوي الكوب منه على ٣٠٠ مليغرام من الكلسيوم) ومشتقاته أو من طريق تناول أقراص الكلسيوم.

التمارين الرياضية المنتظمة تساعد المرأة الشابة في المدى الطويل في تنمية عظامها لكي تخدمها طوال العمر. أما بالنسبة الى المرأة الاكبر سناً فإن التمارين المنتظمة تؤخر خسارة العظم. وأما التمارين التي تفيد العظم وتنمّيه فهي تلك التي يحمل المرء أثناءها ثقله كلّه، مثل المشي والعدو والتزلج مسافات طويلة وركوب الدراجة الهوائية والرقص ورياضات المضرب. وللتمارين فائدة إضافية، فهي تحفز الغدتين الكظريتين (فوق الكليتين) على مضاعفة انتاجهما من الاستروجين الذي تزداد حاجة المرأة اليه بعد انقطاع الطمث. تذكري أن تناول الكلسيوم بكميات كافية والتمارين الرياضية المنتظمة والحمية الصحيحة ونمط الحياة الملائم هي المقومات الاساسية التي اذا اجتمعت أبعدت نخار العظم.

الهبّات الساخنة. انها لغز طبّي. ويجهل الاطباء نوع الخلل الذي يطرأ على جهاز ضبط الحرارة في الجسم فتشعر المرأة فجأة، ومن دون إنذار سابق، كأن

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985

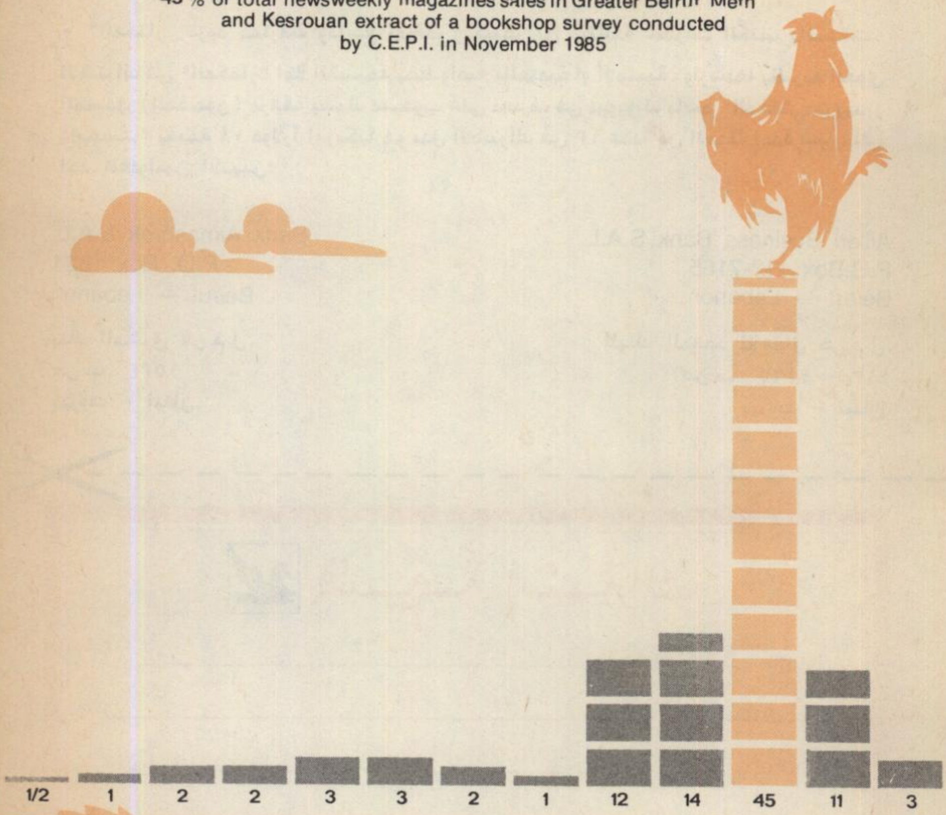

النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative **TAMAM S.A.L**

مجلة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.

قسيمة اشتراك

Name ______ الاسم

______

Address ______ العنوان

______

Profession ______ المهنة

Date ______ التاريخ

Signature ______ التوقيع

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

جلدها اشتعل. وإذا حصل لها ذلك وهي بين الناس، فإنها تظن أن جميع الموجودين لاحظوا الاحمرار الذي علا وجهها. والحقيقة أن التغير الخارجي دقيق الى حد أن معظم الناس لا يلاحظون شيئاً.

وتلازم الهبّات الساخنة المرأة مدّة سنتين في العادة، إلا أن بعض النساء يعانينها عشر سنين أو أكثر. والظاهر أن الاستروجين يشفيها، لكن هناك تدابير أخرى من شأنها ان تساعد المرأة على التخلّص منها. ولقد جمع أحد الخبراء في موضوع منتصف العمر إجابات عينية من ٥٠٠ امرأة حول تجاربهن الخاصة والوسائل التي وجدنها مفيدة في هذا الشأن، ومنها:

- انتبهي جيداً لكل ما تؤدينه من أعمال وما تأكلينه وما تشعرين به. دوّني ذلك في مفكرة، فبعض النساء لاحظن أن الهبّات الساخنة تتبع نمطاً معيّناً.
- ارتدي ملابسك في طبقات تسمح لك بنزعها وارتدائها من جديد. ويستحسن أن يكون قماشها من الانسجة الطبيعية كالقطن والصوف.
- ثابري على التمارين الرياضية.
- تجنبي الكحول والتبغ والكافيين.
- جرّبي أساليب بسيطة في الاسترخاء والتأمل. تخيّلي نفسك في جو منعش ولطيف. وربما كان مفيداً في ذلك أن تتناولي كوباً من الماء البارد.
- تجنبي الاجهاد. بعض النساء وجدن أن الفيتامين "ب" مفيد في حالات الاجهاد، ولكن عليك أن تستشيري طبيبك قبل تناول أي نوع من الفيتامين.

نوبات العرق الليلي. هذه هبّات حارّة توقظ المرأة غير مرة في الليلة الواحدة. ان عدم تناول أي طعام بعد العشاء والاسترخاء قبل النوم ربما ساعدا في تلطيفها. وهناك نساء يحتفظن بالقرب من السرير بكظيمة (ترموس) من الماء البارد أو بوعاء فيه قطع من الثلج.

مشاكل المثانة. بعد انقطاع الطمث تواجه بعض النساء صعوبة في السيطرة على المثانة بسبب الضعف الذي يعتري العضل في منطقة العانة. وتمارين "كيغل"(٣) قد تساعد هذا العضل على الاحتفاظ بقوته. حاولي أن تؤدي تمارين كيغل السريعة (شد العضل العاني وارخاؤه بسرعة) والبطيئة (تقليص العضل وابقاؤه هكذا لمدّة ثلاث ثوان ثم ارخاؤه).

الجفاف المهبلي. لدى بعض النساء يؤدي نقص الاستروجين الى الجفاف المهبلي والحكاك والضمور. وممارسة الجنس تكراراً وبانتظام هي الوصفة للشفاء من هذه الحالة وربما للوقاية منها.

على أن بعض النساء يشعرن بانزعاج يثنيهنّ عن ممارسة الجنس. وهن يحتجن الى وقت أطول للاثارة والاستجابة. وعلى الازواج الذين ربما كانوا هم أنفسهم يمرون بحال انحدار، أن يتفهموا ذلك.

ربما ساعدت تمارين كيغل في هذا المجال أيضاً. وهناك أطباء يصفون مرهم استروجين للمهبل. الا أن بعض النساء

(٣) نسبة الى الطبيب الذي صممها.

يتدبرن أمر الجفاف باستخدام مراهم خالية من الهورمونات تذوب في الماء، مثل المستحضرات الهلامية المرطبة وزيت جوز الهند.

كآبة منتصف العمر. كل تغيير في الحياة، وان يكن ايجابياً، مرتبط بالاجهاد. وليس انقطاع الطمث استثناء لهذه القاعدة. والنساء في هذه الفترة يغدين متوترات، مزاجيات، وكثيرات النسيان. وربما كان ذلك ردّ فعلهن على الهبّات الحارة التي تعتريهن.

ولقد أظهرت بضع دراسات أن من كنّ تعيسات قبل انقطاع الطمث هن أكثر تعرضاً للكآبة بعد انقطاعه. ومن النتائج الاخرى للدراسات أن المرأة التي تحيا حياة كاملة هادفة هي أقل تعرضاً للمحن العاطفية من سواها. ومن المفيد في هذا المجال أن تحافظ السيدة على مظهر جذاب، وتولي طعامها عناية خاصة فتتناول المفيد منه، وتؤدي التمارين الرياضية الضرورية. والنساء الاصغر سناً اللواتي ينمين اهتمامات عدة ونشاطات متنوعة وصداقات كثيرة يقطفن ثمار جهودهن حاضراً ومستقبلا. وفتيات اليوم، أكثر من أمهاتهن قبلهن، سوف ينظرن الى انقطاع الطمث كما تنظر اليه نساء قبيلة موهاف الهندية على أنه الوقت الذي تتحرر فيه المرأة ويصبح لديها "وقت للعمل ووقت للعب ووقت للحكمة."

الساعة البيولوجية. مع الزمن يشيب الشعر ويترهل الجسم وتظهر التجاعيد. الوقت يمر والاستروجين لا يوقفه. وكثير من الامور التي تلطّف أعراض انقطاع الطمث، كالحمية الصحيحة والتمارين الرياضية والحياة الفنية، هي نفسها التي تساعد على الاحتفاظ بشعور الشباب.

مهم ألا نغفل مرور الزمن. ومفروض أن تنظر المرأة الى انقطاع الطمث كاشارة لتتأكد من صحتها الجسدية وخلوها من الامراض المرتبطة بتقدم السن كضغط الدم المرتفع والسكري واضطرابات القلب والشرايين، وفي ضوئها تجري التكيفات الضرورية في نظام الاكل والرياضة ونمط الحياة الذي تتبعه. ويقول الدكتور ولف اوتيان رئيس قسم الولادة والامراض النسائية في "مركز جبل سيناء الطبي" في كليفلاند بولاية اوهايو ومدير "عيادة سن اليأس" في كليفلاند: "التغيير الاهم ربما أتى من عزم المرأة على كسب السعادة والتمتع بالحياة."

وكما علمتنا عالمة الانثروبولوجيا الراحلة مرغريت ميد، فإن سنوات الذروة في ابداع المرأة وانتاجها هي تلك التي تعقب انقطاع الطمث، حين تمتلىء بحيوية لم تألفها من قبل. أما بالنسبة الى الشابات، فإن الوقت لاتخاذ القرارات واكتساب هذه الحيوية هو الآن.

كلير سافران

في شركة هندسية لوحة كتب عليها: "ليس هناك أبداً وقت كاف لتأدية العمل كما يجب، ولكن هناك دائماً وقت كاف لاعادة تأديته."

ا.ر.

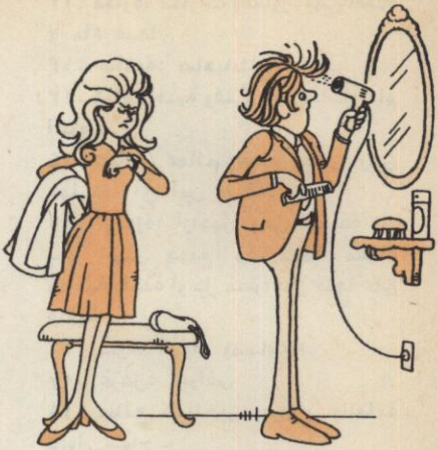

دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد مفردات يُراد جمعها. وقد وُضع أمام كل كلمة أربعة جُموع، واحد منها صحيح. وعلى القارىء، اختباراً لمعرفته اللغوية، أن يختار الجواب الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. نواة: أنوية – نَوى – نوايا – نوايات.
٢. فم: فِمام – فموات – فموم – أفواه.
٣. عنكبوت: عناكب – عوانك – عناكبيت – عناكت.
٤. صُبح: أصبحة – صبحيات – أصباح – صباحات.
٥. حِصان: حصون – أحصنة – أحصان – جياد.
٦. ابن عرس: بنو عرس – أولاد عرس – بنات عرس – أعراس.
٧. ظمآن: ظمأى – ظمئون – ظُمي – ظِماء.
٨. معدة: مِعَد – أمعاد – مُعُود – مَعاد.
٩. أسطوانة: أساطين – أسطونات – أساطل – أسطوان.
١٠. نصيب: أنصاب – نصوب – أنصبة – نِصاب.
١١. مفازة: مفائز – مفاوز – أمفزة – مفايز.
١٢. صاحبة: أصحاب – صَحْب – صُحبة – صواحب.
١٣. فِناء: أفنية – فنوات – فوان – أفناء.
١٤. عِمامة: أعمام – عوامّ – عمائم – أعمَّة.
١٥. أرجوزة: رُجُز – أرجاز – أراجيّ – أراجيز.
١٦. سُوء: أسواء – سوايا – أسوئة – سُوىً.
١٧. عَرَض: عوارض – أعراض – عُروض – عرائض.
١٨. سائح: سُوّاح – ساحة – سُيّاح – سوائح.
١٩. حُمّى: حُمَّيات – حِمىً – حمائم – حُمم.
٢٠. ثدي: أثاد – ثُديان – أثدية – ثُدِيّ.
٢١. أُحجيَّة: حجىً – حجج – أحجُوات – أحاجيّ.
٢٢. غلام. غُلُم – غلمان – صبية – أغلام.
٢٣. رابية: ربىً – ربوات – رواب – رُبْيان.
٢٤. رداء: أردية – أردان – رُدِيّ – رداوات.
٢٥. عندليب: عديلات – عنادل – عنالب – عَنادٍ.

الأجوبة الصحيحة

١. نواة: نَوى ونَوَيات. وجمع نوى أنواء ونِوِيّ ونَوِيّ.

٢. فم: أفواه وأفمام. وأصل الكلمة فَوَه.

٣. عنكبوت: عناكِب وعنكبوتات. والغالب عليها التأنيث.

٤. صُبح: أصباح.

٥. حصان: حُصُن وأحصنة. وهو الفرس الذكر أو الكريم.

٦. ابن عِرس: بنات عرس. ذو القَعْدة: ذوات القَعْدة.

٧. ظمآن: ظِماء وظُماء. والانثى ظمآنة وظمأى.

٨. معدة: مَعِد ومِعَد.

٩. أسطوانة: أساطين. أساطين الزمان: حكماؤه.

١٠. نصيب: أنصبة وأنصباء ونُصُب. وهو الحظ والحصّة.

١١. مفازة: مفازات ومفاوز. وهي الفلاة لا ماء فيها.

١٢. صاحبة: صاحبات وصواحب.

١٣. فِناء: أفنية وفُنِيّ. وهو ساحة أمام البيوت.

١٤. عِمامة: عمائم وعِمام. يقال: أرخى عمامته، أي أمِن وترفه.

١٥. أرجوزة: أراجيز. وهي قصيدة من بحر الرجز جميع مصاريعها مقفّاة بقافية واحدة أو كل مصراعين منها على قافية.

١٦. سُوء: أسْواء ومساوىء.

١٧. عَرَض: أعراض.

١٨. سائح: سائحون وسُيّاح. والعامة تقول سُوّاح.

١٩. حُمّى: حُمَّيَات. وهي حرارة غريبة تنتشر في جميع البدن.

٢٠. ثدي: أثدٍ وثُدِيّ. ويقال لثدي الرجل ثُنْدُوَة.

٢١. أحجِيَّة: أحاجٍ وأحاجِيُّ وهي اللغز أو الكلمة المغلقة.

٢٢. غُلام: غِلْمة وغِلمان وأغلمة.

٢٣. رابية: رواب. ربوة: رُبىً ورُبِيّ. وهما ما ارتفع من الارض.

٢٤. رداء: أردية. يقال: هو خفيف الرداء، أي قليل العيال والدَيْن.

٢٥. عندليب: عَنادِل. وهو طائر يقال له الهزار.

المستوى

٢١ – ٢٥: ممتاز

١٤ – ٢٠: جيد جداً

٩ – ١٣: مقبول

الأخوان جياكوميتي ضاهيا بيكاسو

ديبغو (الى اليسار) وألبيرتو جياكوميتي.

سويسريان صنعا تراثاً فنياً مفعماً بالاصالة

أذكر ألبيرتو جياكوميتي رجلا متقدماً في السن (كان في الثامنة والثلاثين التي تعتبر متقدمة بالنسبة الى سنواتي الاحدى والعشرين.) التقيته في باريس قبيل الحرب العالمية الثانية. كانت عيناه كبيرتين وشعره أجعد، وكان يمشي حول منضدة عليها قطعة جص في شكل رأس انسان وقد غطى الغبار ثيابه وشعره ووجهه المتجعد. وبين الفينة والاخرى تمتد احدى يديه القويتين لتحدث خدشاً أو كشطاً في أنف التمثال أو ذقنه. وكان يغمغم: "لا، لا، لم أبلغ مرادي بعد."

أما أخوه دييغو الذي لازمه لمدة ٤٠ سنة، فكان يشبه راقص تانغو من الارجنتين، وسيم الشكل أسمر البشرة أملس الشعر. وفي حين كان كلام ألبيرتو سريعاً وقوي النبرة، بدا دييغو هادئاً وقليل الكلام. ألبيرتو أحب المناقشات ونقض الكلام، وعبارته المفضلة كانت "لا." فاذا قلت له: "إن الطقس بارد اليوم،" رد على نحو آلي: "لا، بالنسبة

LAUROS / GIRAUDON

الي الطقس حار." ومن ثم يقضي نصف ساعة لبرهان ذلك. اما دييغو فكان يهز كتفيه استهجاناً.

وعلى مر السنين تشابه الاخوان أكثر فأكثر. آخر ما أذكر دييغو، وكان اصبح فناناً مشهوراً، رجلا عجوزاً في الثانية والثمانين يعلو غبار الجص شعره وتجاعيده. وهو أخذ يدور حول منضدة مضيفاً لمسات جديدة الى عمود جص سيتحول دعامة برونزية لطاولة. وكان يغمغم: "لا، لا، هذا لا يفي بالغرض، لم أنل مبتغاي بعد."

تماثيل حية – ولد ألبيرتو في ١٠ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٠١، وكان مسقط رأسه في جوار ستامبا وهي ضيعة صغيرة في وادي بريغاليا المكتظ بأشجار الصنوبر جنوب شرق سويسرا. أما أخوه دييغو فولد في ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٠٢. كان والدهما جيوفاني رساماً معروفاً وناجحاً. وفي السن الثالثة عشرة ظهرت موهبة ألبيرتو عندما صنع تمثالا نصفياً لدييغو يضج بالحياة. وفي طفولته كان ألبيرتو متقلب المزاج خلاقاً يمضي معظم أيامه حالماً في كهف مجاور للبيت. أما في المدرسة فكان تلميذاً لامعاً. وكان دييغو ولداً جبلياً، يحب الحيوانات ويهتم بكل شيء الا الكتب المدرسية. وكثيراً ما تسلق القمم التي تحد الوادي وهرب سجائر عبر الحدود خلال الحرب العالمية الاولى.

سافر ألبيرتو الى باريس وانتسب الى

الى اليمين، "امرأة الملعقة" (١٩٢٦) من أعمال ألبيرتو. تحت، "سبعة تماثيل ورأس" (١٩٥٠).

Courtesy The Reader's Digest Association

A. D. A. G. P.

أحد رؤوس دييغو (١٩١٤).

اكاديمية "غراند شوميير" في العام ١٩٢٢، ثم تبعه دييغو بعد ثلاث سنوات. ومذذاك بدأ اسمه يلمع في حقل الفن، خصوصاً بين السورياليين السائدين في ذاك الوقت والذين أرادوا احداث صدمة بين الناس بفنهم. حقق ألبيرتو الشاب عدداً من الاعمال بالمرمر والجص والخشب، فجاءت أشكالها غير متناسقة، الامر الذي كان يزعج الناظر اليها فبدت وكأنها كوابيس. ولكن بحلول أواسط الثلاثينات مل الفنان ما اعتبره لهواً.

عاد الى الانسان، وبعين جديدة هذه المرة. واكتشف انه اذا حدق الى أي مار في الشارع أمكنه رؤية شيء فريد. وهذا يشبه الاعجوبة. وباتت مهمته وهاجسه تحويل هذه "الاعجوبة" شيئاً محسوساً يضعه على قاعدة.

أصدقاء ألبيرتو والمعجبون به ممن يعشقون الفن التجريدي أصابتهم دهشة. فعلى مدى عشر سنين عاش ألبيرتو في الظل، لكن ذلك لم يؤثر فيه. تابع اهتمامه بصورة الانسان. وفي الوقت نفسه، عكف هو ودييغو على تصميم مصابيح لحساب مزخرف بارز في باريس وذلك من اجل كسب العيش.

عندما بدأ ألبيرتو العمل كانت أشكاله المصنوعة من الطين والجص صغيرة، لكنها أخذت تتضاءل أكثر حتى اصبحت بطول ملعقة ثم دبوس ثم ظفر. ومع ذلك لم يكن راضياً فازداد تضاؤل أشكاله حتى بقي الرأس فقط.

غير ان امرأ ما دعاه الى تبديل صورة تماثيله فأخذت تبدو عملاقة وكأنها آتية من القفار البدائية البعيدة. "نعم، نعم،" أجابني عندما أخبرته بذلك، "أريد تماثيلي كبيرة مثل تماثيل المصريين التي رأيتها في ميلانو عندما كنت صبياً. لكنني لم أصنع شبيهها بعد، فهل سأستطيع ذلك؟" وكان يعكف على صنع تمثال آخر.

وأخيراً أوتيت أشكاله ثمارها. فبحلول العام ١٩٤٧ اخذ ألبيرتو يصنع اشكالا لاناس تمثل طولهم الحقيقي.

وفي يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط) ١٩٤٨ عرضت تماثيله في صالة بيار ماتيس في نيويورك: جامدة طويلة رفيعة شبيهة بهياكل عظمية. كثير من الناس وجدوها مشوهة، ولكن ما من أحد انكر قوتها. كانت التماثيل تجذب المشاهد بقوة عيونها، وهي تعكس عناد صانعها. انها تماثيل "حية."

لمسات أخيرة – مع مرور الزمن دخلت اعمال ألبيرتو المتاحف

سوريالية ألبيرتو في "رجل وامرأة" (١٩٢٨ - ١٩٢٩).

Musée National d'Art Moderne, Paris ADAGP 1986

نعامة برونزية من أعمال دييغو فيها كبرياء.

الرئيسية. واعتبره كتاب مثل جان بول سارتر شخصية بارزة في فن القرن العشرين.

بدأ ألبيرتو يلقى التكريم تلو الآخر، ونال الجائزة الكبرى في البندقية عام ١٩٦٤. وأخذت الاموال تتدفق عليه.

لكن ألبيرتو فضل العيش والعمل في أكثر الامكنة انعزالا، كالغرف القديمة في شارع هيبوليت ميندرون من دون ماء ساخن او سجاد او ستائر. وأخبرتني زوجته أنيت وبسمة عريضة مرتسمة على وجهها، انهما بعدما عاشا معاً لمدة خمس سنوات نالت اخيراً اذناً من زوجها لتعليق قماشة على الجدار بجانب سريرها.

وفي سنواته الاخيرة أصبحت تماثيل ألبيرتو تقارب الشكل الطبيعي، لكن خطوطها وأخاديدها الظاهرة على قوالب الجص والبرونز تبين مدى الشطب والعصر والثني التي طبقها على الطين في سعيه الدائم الى تجسيد ما رآه.

كان سعيه شاقاً. وقال ألبيرتو إن دييغو جلس قبالته عشرة آلاف مرة ليرسمه على شراشف الطاولات في المطاعم أو على ورق أو لينحت على شكله. لكنه لم يتوصل الى مبتغاه: "اذا تيسر لي رسم رأس دييغو كما أبتغي فالبقية سهلة." فالى مزيد من المحاولات.

لم يكن الجلوس أمامه بهدف الرسم او النحت أمراً سهلا، لكن دييغو كان معتاداً تكريس وقته لأخيه. لقد جاء الى باريس بادىء الامر ليساعد ألبيرتو في كل المهمات المتصلة بالتماثيل: صنع قضبان فولاذية لتماسك الطين أو الجص، مزج الجص، صنع القوالب من الطين والبرونز، تلميع البرونز وتلوينه. ولم تكن لدييغو خبرة سابقة في هذه الامور، لكنه أصبح تقنياً ممتازاً وصنع قوالب جص تتميز بالدقة ومنتهى المتانة.

ولم يكن العمل من أجل ألبيرتو سهلا لأنه كان دائماً يجد ما يبدله في اللحظة الاخيرة. ولقد أمضيت ليلة كاملة مع دييغو وهو يعالج قوالب اصر ألبيرتو على معالجتها قبل افتتاح أحد معارضه. وحتى قبيل فتح أبواب المعرض كان ألبيرتو يدور حول تماثيله وفي يده سكين أو فرشاة لوضع لمسات أخيرة

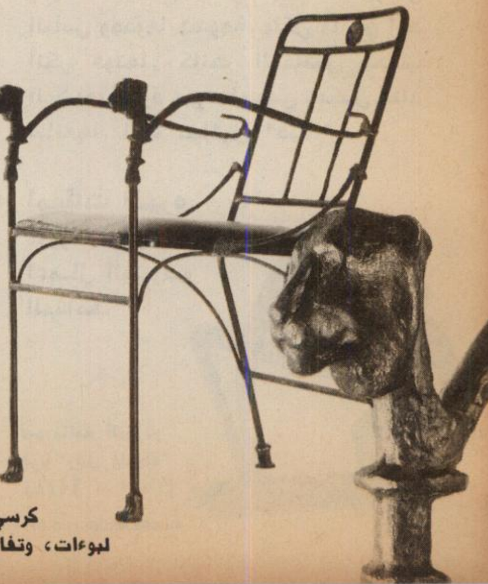

كرسي برونزي بذراعين مع رؤوس لبوءات، وتفاصيل احد الرؤوس.

هرة برونزية مع صحن،
أحد زخارف دييغو.

عليها قبل عرضها على الناس.

مقاربة بيكاسو - كان دييغو حاضراً دوماً للمساعدة. وأتخيل ألبيرتو ودراجته امام مقهى "دو فلور" مستعداً للانتقال من باريس في يونيو (حزيران) ١٩٤٠. وكانت العجلة الخلفية مثقوبة فنفخها ألبيرتو وهو يظهر اشمئزازه كما لو كان يعالج تمثالا لا جدوى منه. قال متذمراً: "أشعر بحرارة في جسمي وفي المضخة، والعجلة ما زالت مثقوبة." وصل دييغو بهدوء على دراجته فانحنى وفك الصمام الذي نسيه أخوه. وسرعان ما أصبحا جاهزين للابتعاد عن الجيش الالماني. بيد ان تقدم الالمان تخطاهما في مولان، وسط فرنسا، فعادا الى باريس. ولاحقاً، بعدما زار ألبيرتو موطنه سويسرا ومنع من العودة، أبقى دييغو على العمل في المشغل الى ما بعد التحرير.

كل ما كان دييغو يمتلكه من مهارة وتفان وضعه في خدمة أخيه. وأعطاه ألبيرتو شيئاً في المقابل: التوجيه. فبعد سنوات من العمل في اشراف أخيه المتطلب المنضبط، أيقن دييغو أنه فنان هو أيضاً.

عندما توفي ألبيرتو في العام ١٩٦٦ نتيجة نوبة قلبية أصيب دييغو بذهول. قال لي مراراً: "لم يبق لي شيء لأعمله في الحياة. قد أرحل من هنا لأرعى ماشية في باتاغونيا."

بالطبع لم يفعل ذلك بل عاد الى مشغله. وكان لسنوات يعمل أشياء للزخرفة، وكلما رآها الناس زاد الطلب عليها. وفي الخمسينات بدأ يعمل في المفروشات فيصنع طاولات وكراسي برونزية وثريات وشمعدانات.

كان دييغو يمتنع عن تسمية ما يصنعه "أشغالا فنية" وفضل تسميتها "أشياء" فقط. غير أن الهواة عرفوا قيمتها وأصالتها، وكسب دييغو شهرة

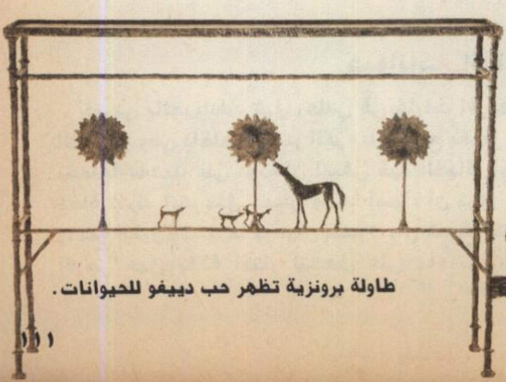

طاولة برونزية تظهر حب دييغو للحيوانات.

Collection Eolia, Paris

تدريجية. ثرياته ومنصاته في متحف بيكاسو بباريس الذي افتتح في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ بعد شهرين من وفاة دييغو، نالت تقديراً قريباً من ذلك الذي نالته أعمال بيكاسو نفسه.

تمثال وحمامة - تتضمن أعمال دييغو بعض الصفات التي تتميز بها تماثيل ألبيرتو. فالقضبان المزخرفة الرفيعة التي تتألف منها هياكل التماثيل لها المتانة نفسها. لكن تصاميم المفروشات تفتقر الى التوقد المثير للعاطفة. والحيوانات التي عرفها منذ طفولته في جبال الألب، كثيرة في أعماله: هرة تمسك مرمدة، كلاب وأحصنة، ضفادع وذئاب على زوايا الطاولات ومتكآت الكراسي، وكلها تحمل كبرياء دييغو.

كان من طبع دييغو خلال ٤٠ عاماً من ملازمته لأخيه انه لم يطلب منه أبداً اياً من الاعمال التي أنجزها. وعندما توفي ألبيرتو خلف اعمالا غير مكتملة. وجل ما ورثه دييغو كان تمثالا نصفياً للمصور الروماني إيلي لوتار، وكان ألبيرتو يعمل عليه عندما قصد مستشفى في سويسرا لاجراء فحوص. وكان المجسم الطيني شبه المنتهي ملفوفاً بخرق رطبة كي يبقى في حال قابلة للعمل.

بعد أيام قليلة تلقى دييغو مكالمة مستعجلة وطار الى وطنه ليجد أن أخاه مات. وعاد مسرعاً الى باريس لأن برد الشتاء كان قارساً. وبما أن مدفأة الفحم لم تكن تعمل، فقد خشي أن يتجمد المجسم الرطب فيتفسخ وينشطر.

عاد دييغو لانقاذ المجسم في الوقت المناسب، فصنع منه تمثال جص ثم ستة تماثيل برونزية. وأعطته أنيت واحداً كجزء من ميراثه فأخذه الى العائلة في ستامبا ووضعه على ضريح ألبيرتو. ولا يزال التمثال على الضريح يشع حياة. والى التمثال النصفي صنع دييغو حمامة برونزية صغيرة. وفي العام ١٩٨٥، أي بعد ١٩ عاماً من وفاة ألبيرتو، انضم دييغو الى أخيه في ستامبا، وفوق ضريحهما يقبع التمثال النصفي والحمامة.

روبرت فيرنك

حيوانات الغابة

خبرتي بالحيوانات قبل رحلتي في غابات افريقيا كانت ذات جانب واحد: أنا خارج الاقفاص وهي داخلها. يشعر المرء بأنه أرفع مقاماً من هذه الحيوانات التي هي في وضع يجعلها تعتمد على الانسان لتبقى قيد الحياة. لكن الغابة تضعك في الصورة الآتية: فجأة تدرك أنك مثل حيوان وربما أسوأ، أن ترى الزرافة تعدو في المرج، وأن تراقب وحيدة القرن وصغيرها يرعيان بهدوء، وأن تسمع الاسد يجهز على فريسته، وأن تحفر في الارض عمق ثلاثة أمتار لتحصل على ماء نقي، كل هذه اختبارات للتواضع.

ر.و.

خاص ١

نزهة في الصحراء الكبرى

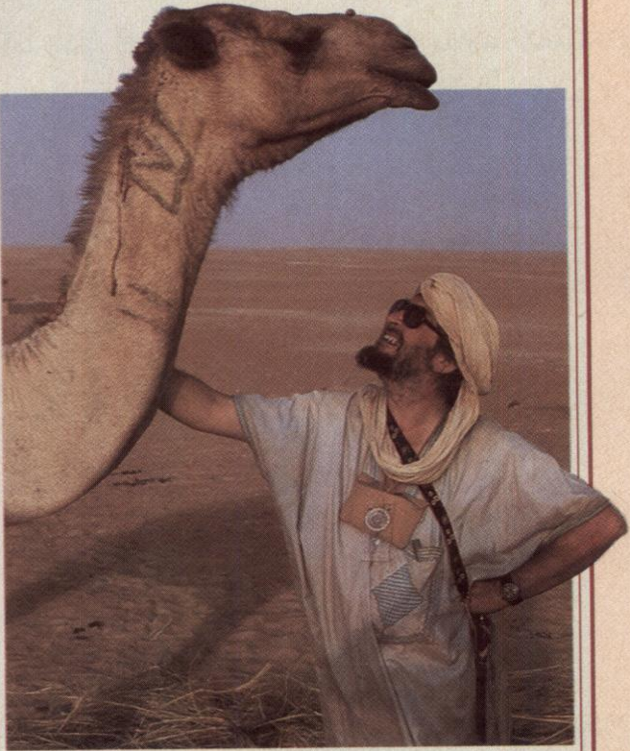

بقلم

تيد ادواردز

عام ١٩٨٣ بدأ تيد ادواردز من مقاطعة مانشستر
في بريطانيا رحلته لاستكشاف الصحراء الكبرى في شمال افريقيا
مصطحباً ناقتين. كان ينشد الهروب من الحياة اليومية وتحقيق حلم
طفولة والبحث عن مغامرة. وهو أنجز طموحاته هذه بتحديه
كبرى صحارى العالم، فاكتشف أيضاً عظمة إصرار المرء على البقاء.
وكتاب "خلف الواحة الأخيرة" تقرير عن تلك "النزهة"
في الصحراء كما يحلو له أن يسميها. وهي رحلة مدهشة محفوفة بالاخطار
وضعت تيد ادواردز في مصاف كبار الرحالة المعاصرين

نزهة في الصحراء الكبرى

Condensed from «Beyond the Last Oasis,» © 1985 by Ted Edwards,
published by John Murray, London

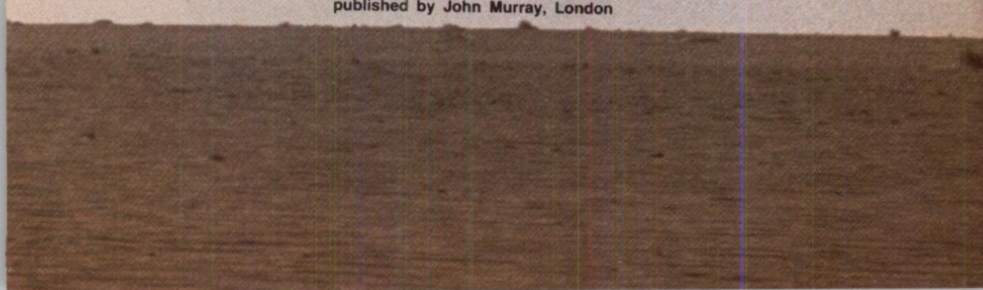

بدأت القصة مع العقرب. فلما كان ليل الصحراء دافئاً أخرجت قدماً من فراشي لأبرّدها. لكني ما لبثت أن أحسست لدغة، وانساب ألم لاذع حارق انتشر في رجلي وسرعان ما عصر قلبي.

ومع أن مسكنات الاوجاع لم تجدِ إلّا قليلا فقد حاولت أن أهدّىء من روعي متذكراً أن لدغات العقارب ليست مميتة إلّا للصغار وأصحاب البنية الهزيلة. أما أنا، عامل الفولاذ الذي يزن ٨٩ كيلوغراماً، فلم أكن من هؤلاء ولا من أولئك.

وفعلا، قبيل الفجر انحصر الألم في رجلي. لكن المصائب، كما ورد في القول المأثور، لا تأتي فرادى. فخلال الليل أهرقت بضعة ليترات من ماء الشرب الذي كنت أحرص عليه، اذ هوت إحدى صفائحي الاربع على الرمل، وهي تلك التي تحمل سدادة غير محكمة.

وهكذا لم يعد في حوزتي سوى ٤٥ ليتراً ولم أكن بعد إلا في اليوم الرابع من رحلتي التي قدرت أنها ستستغرق ١٦ يوماً. فسوف أعبر وحيداً "الربع الخالي" من الصحراء الغربية، أي ما يزيد على ٥٥٠ كيلومتراً بين قرية أروان في مالي وقرية أولاتا في موريتانيا. وما زالت أمامي مسافة ٥٠٠ كيلومتر تقريباً. أما ناقتاي "تراد" و"بيغي" اللتان تحملان زادي، فقد شربتا كفايتهما قبل انطلاقنا. لا شك في أن الـ٤٥ ليتراً تكفيني، ولكن لم يبقَ لي ماء احتياطي.

في الليلة التالية نصبت خيمتي في وهدة واستلقيت مرهقاً بعدما أجبرت على جرّ الناقتين متمسكاً برسنيهما عبر كثيبات يغرق الكاحل في رمالها. لكني لم أنم طويلا، فبعيد منتصف الليل هبت عاصفة رعدية وراح البرق يلمع في سماء مكفهرّة وكأنها تحذر ذاك الغريب الذي تجرأ على ولوج مملكتها. وعند بزوغ الشمس كانت ناقتاي غابتا عن النظر.

وبات الوضع خطيراً. فها أنا وحيد في كبرى صحارى العالم وقد بلغت نقطة تستحيل العودة منها، اذ تضاءلت فرص رجوعي ماشياً الى أروان، تلك القرية الصغيرة جداً، وان استعنت ببوصلة. وتعذر علي أن أحمل ما يكفيني من الماء

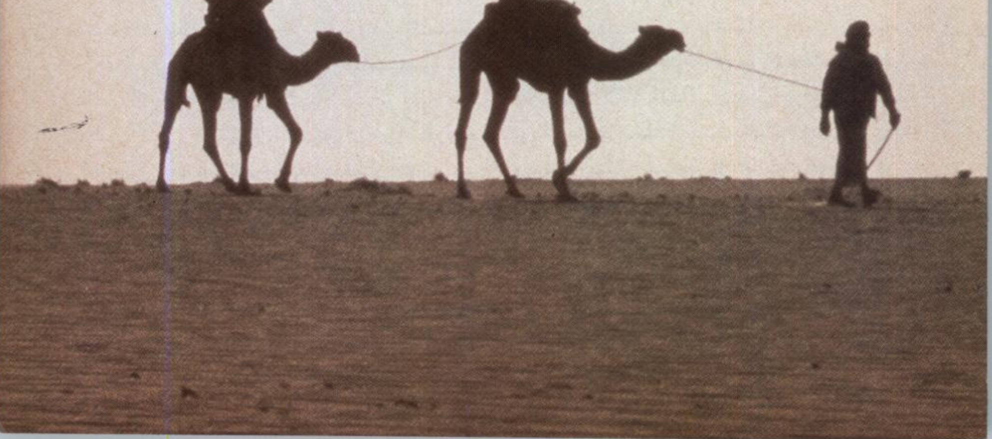

لأصل الى أوالاتا. لذا كان لا بد لي من العثور على ناقتيّ.

كان اتساع الوهدة التي نصبت فيها خيمتي حوالى ٥٠٠ متر. فأمضيت نصف ساعة أدور حول حافتها وأبحث عن آثار أخفاف الناقتين. لكن خف الناقة لا يغرق في الرمل، لذا فانه لا يترك إلّا آثاراً ضحلة حتى في أفضل الشروط. وقد حوّلت الامطار الغزيرة الرمل كتلة من الحفر العميقة الصغيرة.

فجأة لمعت فكرة في ذهني، فتذكرت أن خف الجمل يحمل ظفرين كبيرين تفصل واحدهما عن الآخر أربعة سنتيمترات أو خمسة وهما يخلّفان ثقبين توأمين حيث حلّا. ولا شك في أن تراد وبيغي أضطرتا الى التشبث بالأرض بواسطة أظفارهما وهما تصعدان من الوهدة. كان لا بد لي إذاً من البحث عند السفح الأكثر انحداراً.

بين ملايين الحفر التي أحدثتها قطرات المطر في أرض الصحراء ما كنت لأفلح في رؤية الآثار المنتظمة لو اكتفيت بالتحديق الشديد. فالوضع يحتاج الى "نظرة نصفية" وهي خدعة تعلمتها عندما كنت ولداً أقتفي آثار الأرانب على العشب الأخضر في الصباح الباكر. فالتحديق عن كثب لا يظهر إلّا العشب الأخضر في كل مكان، لكن النظرة النصفية من أطراف العينين قد تكشف خطاً واضحاً حيث لم يعلق على الاعشاب الا قليل من الندى. وهكذا نظرت بطرف عيني فاكتشفت آثار الاظفار التي خلّفها مرور الناقتين. فاقتفيتها الى الوهدة التالية حيث أضعتها ثم وجدتها ثانية. وبعد ثلاثة كيلومترات، في وهدة خفية أخرى، عثرت على الناقتين المبللتين تمضغان ما اجترّتاه وكأن شيئاً لم يكن. وكنت ألفت عادة التحدث الى تراد وبيغي وكأنهما رفيقتان واقتنعت بأنهما تعبران عن آرائهما بالتخاطر. وحدّقت اليّ بيغي غير مبالية: أظن أنك تنتظر منا أن نحمل أمتعتك في هذا الطقس الرهيب. أما أنا فغمرتني موجة من الارتياح.

فرصة العمر

في الثامنة والنصف كانت الناقتان محملتين زادي وعتادي وتابع الموكب العظيم مسيرته. رفعت طرف عباءتي فبدوت كاغريقي. أما رجلي الملدوغة فكانت تتماثل. وكنت عوّضت جزءاً من ماء الشرب الذي أهدر بجمعي ماء المطر في ملاءة بلاستيكية. ولما تحققت من صحة وجهتي بواسطة الخريطة والبوصلة دهشت إذ وجدت أن تقديري للمسافة كان صحيحاً. فتحوّلت مشيتي المرهقة مشية نشيطة ورحت أثب فرحاً وأنا أهبط الى الوادي الممتد أمامي.

وبعدما تناولت غداء مميزاً قوامه سمك سردين ومعجنات وحساء بصل وبندورة (طماطم) طلعت الشمس فجففت عدتي. وشعرت بأن العالم بهيّ ورائع. فكلما ارتقيت مرتفعاً امتدت أمام ناظريّ اودية جديدة يبلغ عرض كل منها حوالى ٤٠٠ متر وعمقها ٣٠ متراً. واختلجت نفسي إذ أدركت أنني ربما كنت الانسان الأول الذي يطأ هذه الأرض ويرى روائع مناظرها.

لقد خلّفت عبء الحضارة ورائي. وها أنا أعيش الآن حياة مختلفة تماماً، جلّ ما

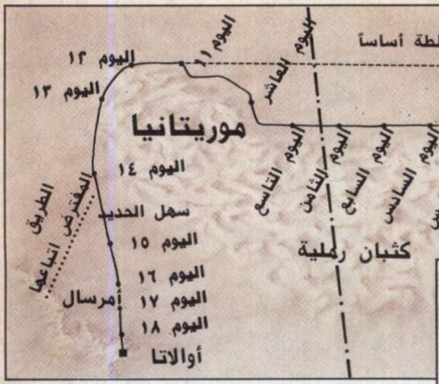

يهمني هو الوصول الى أوالاتا. وغمرتني سعادة لا أتذكّر أنني شعرت بها من قبل.

اتّقد حبي للصحارى في طفولتي عندما تلقيت هدية كانت كتاباً فيه قصص مصورة حيث بدت الجمال حيوانات نبيلة جداً. فعقدت العزم على أن أمتلك واحداً ذات يوم وأسافر في الصحراء.

وفي العام ١٩٧٩ عندما أصبحت في الأربعين من عمري كنت أعمل في صناعة الفولاذ وأعتبر أستاذ مسرح مؤهلا للتعليم ولكن عاطلا عن العمل. وصادفت كتاب جيفري مورهاوس "الخلاء الرهيب" (١). ففي هذه القصة الكلاسيكية التي تروي محاولته الفاشلة عبور الصحراء على ظهر جمل عام ١٩٧٢، جزء أثار تشويقي حيث يذكر المؤلف ان المنطقة الممتدة من أروان الى أوالاتا ما زالت غير مطروقة.

فصعقت للأمر إذ كُنت أظن أنه تم اكتشاف القارة الافريقية بأسرها. وكم هو مدهش أن أعرف أن ثمة منطقة لم تطأها قدم بعد. وهنا راودتني أحلامي القديمة وتوقي الى اكتشاف الصحراء. وقررت قبول التحدي. لقد أمضيت أشهراً عدة في تقديم طلبات للعمل وتلقي ردود بالرفض حتى شعرت أن المجتمع يعتبرني عنصراً تافهاً. اخيراً وجدت مبتغاي، فغمرتني النشوة.

بحثت أولا عن نصيحة الخبراء. فنبهني جيرارد مورغان - غرينفيل، وهو واضع كتيب حول الصحراء، الى وجود حديد خام في تلك الارض قد يؤثر في بوصلتي. لكن هذا الحديد الخام أنقذ حياتي، كما اتضح لي في ما بعد.

وعمدت الى شراء خرائط للمنطقة الممتدة بين أروان وأوالاتا. فتبين لي أنها رسمت بناء على صور فوتوغرافية

(١) The Fearful Void

التقطت من الجو، وهي لا تظهر سوى اتساع الكثبان الهلالية الشكل التي تمتد بين المستوطنتين. وفي ما عدا ذلك كان امتداد العدم الفسيح مقلقاً. وأذكر أنني دوّنت في يومياتي: "للوهلة الاولى، امتلكني الخوف."

بعد تفكير مليّ عزمت على استئناف الرحلة وحيداً، لأنني قرأت أن معظم المشاكل التي تواجه الرحّالة في الصحراء تنشأ على ما يبدو من علاقتهم برفقاء سفرهم. ثم رأيت أنه يمكن الاعتماد على الجمال أكثر من السيارات، فقصدت تونس لأتعلّم كيف أسوقها وأتعامل معها.

وهناك لازمت قافلة متجهة الى واحة بن شرود، فاكتشفت أن الجمل لا يرتقي إلا الروابي القليلة الارتفاع وأن ركوب جمل نزولا على منحدر أمر يثير الرعب، اذ تبدو مفاصله كأنها على وشك التفكك فتسمع طقطقتها وتشعر بارتجاجها. أضف الى ذلك أن الجمل يصدر أصواتاً حنجرية تحاكي القرقرة في مصرف المياه، أما رائحته ففريدة لا تمت بصلة الى أي رائحة اخرى.

وسددت ديني للذين علّموني ركوب المطية فعملت لديهم بدلا من أن أدفع لهم مالا. وهكذ وصلت الى أروان من غير ان أنفق كثيراً. وكان يلزمني ألف جنيه استرليني (١٦٠٠ دولار) لأرتّب رحلتي. فشرعت أعطي دروساً خصوصية، وبعت بعض مقتنياتي، وكنت لا أتناول من الطعام الا اليسير.

اما اصدقائي فشكوا في صحة قواي العقلية عندما أخبرتهم بقراري. ولم يكونوا الوحيدين. فمدير صحيفة "صانداي تايمس" الذي طلبت منه رعاية مغامرتي أجابني: "بصراحة، إن رحلتك كما وصفتها لي تبدو انتحارية." غير أن الصحافي أليستير ماكدونالد العامل في شبكة «BBC» التلفزيونية الشمالية الغربية أجرى معي مقابلة قبيل ميلاد ١٩٨٢، فذاع صيت رحلتي. وبعد يومين أتى يسألني أن يصوّر جزءاً منها ليبث كشريط وثائقي على شاشة الـ«BBC».

ثمن المجازفة

في فبراير (شباط) ١٩٨٣ كنت في أروان مع أليستير وفريق التصوير المؤلف من ثلاثة رجال. وكنت اشتريت ناقتين وسرجيهما بنحو ٦٥٠ جنيهاً (١٠٤٠ دولاراً). وسميت الناقة البيضاء بيغاسوس(٢) مذ شاهدتها بالقرب من المطار، وسرعان ما رحت أدعوها بيغي تصغيراً. أما الناقة البنية فكانت تهاب السيارات. ونظراً الى خوفها هذا من التقدم دعوتها "تراديشونال" أي "تقليدية" وبتُّ أدعوها "تراد" تحبباً.

وصوّرني أليستير ثم انطلق بسيارته سالكاً الطريق السهلة التي يجتازها المسافرون جنوب الكثبان الرملية ليتسنى له تصوير وصولي الى أوالاتا. في هذه الأثناء حذرني مرشد عربي في أروان: "ابتعد ما استطعت عن الكثبان الرملية والا هلكت في أقل من ثلاث ساعات." لذا، عندما انطلقت من القرية بعيد بزوغ فجر ١٠ فبراير (شباط) عزمت على أن أتجنّب الكثبان فأسلك الطريق الشمالية وأسير

(٢) البيغاسوس حصان أسطوري مجنح.

في محاذاة طرفها الغربي. لا شك في أن هذه الطريق المنعطفة تطيل رحلتي من ٥٠٠ كيلومتر الى ٥٥٠ كيلومتراً لكنها تقلل اخطارها.

وما لبثت ربلتا ساقي أن آلمتاني بفعل حروق الشمس، لكني قررت أن أسير في هذه المرحلة الأولى بدلا من امتطاء احدى الناقتين حرصاً مني على عدم اهدار قواهما.

وهكذا أوثقت رسن بيغي بتراد، وأوثقت رسن تراد حول وسطي. وجدير بالذكر أن المرء يسير على الرمل بخطى قصيرة وسريعة، فاذا بِوَطْء قدمي وقرقعة أحمال الناقتين، يرجِعان صداهما عبر الاودية الساكنة. وهكذا اجتزنا في اليوم الأول مسافة ٤٥ كيلومتراً وفي اليوم الثالث مسافة ٣٥ كيلومتراً. ولم نر شجرتنا الاولى إلّا في اليوم السابع بعيد الحادية عشرة قبل الظهر عندما جاوزت الحرارة ٣٢ درجة مئوية. فجحظت عينا تراد وسال لعاب بيغي. توقفت. وشرعت الناقتان في مهمة تشذيب الشجرة. كانت ترتفع ثلاثة أمتار وتحمل أوراقاً شائكة وقد امتلأت بالنسغ. بدا لي ان تلك الشجرة هي طعام الجمال المفضّل. ولم أكن أعرف اسمها، ولكن بما أنها ظهرت في ساعة الغداء فقد سميتها "شجرة المنّ". واكتشفت في ما بعد أنها تدعى "شجرة الطرَّفـاء". وعلمت أن عرْب الصحراء يصنعون من نسغها حلوى يدعونها "المنّ."

في اليوم الثامن حملنا رحالنا وبدأنا سيرنا في تمام السابعة والربع صباحاً. وكانت الشمس تصارع سحباً متناثرة. واذا بي أرى ثعلب صحراء ينقضّ من أجمة شجيرات بجسم لا يتعدّى طوله ٤٥ سنتيمتراً وذيل طويل كث. ثم رأيت سحالي خضراء وخنافس سوداء، وفي بعض الأحيان غراباً وهو جامع القمامة في الصحراء ينسلّ من تيارات الهواء باحثاً عن كل ما هو مائت. أما الذباب فلازمني طوال رحلتي، يطنّ في أذني ويزحف على شفتيّ وحول أنفي وعينيّ.

وامتدت الكثبان الى يساري بتلالها الرائعة التي يرتفع بعضها مئة متر، فبدت عند مروري وكأنها تنهض من كبوتها في حين رحت أنا أغرق في رمالها حتى كاحليّ اللذين تلاشى فيهما الالم من حروق الشمس. أما ناقتاي فكانتا تنفران من مواجهة المنحدرات، فلم يكن لي بد من جرّهما. لذا اتضح لي أن عملية الاستكشاف تحاكي عمل العباقرة: فعشرة في المئة منها إلهام وتسعون في المئة عرق ينضح.

وفي العاشرة والنصف أصبحت السماء زرقاء صافية من الأفق الى الافق، فشعرت بأن عليّ أن أتوقف قليلا لأستريح. إنني جهدت على مدى ١٧ ساعة يومياً، وأضحى ثمن المجازفة واضحاً. لذا رأيت أن الاستراحات المتكررة قد تحفظ ما تبقى لي من قوة.

لكن المفعول المنشط للاستراحة الاولى ما لبث أن تلاشى. وأصبحت "سعيداً بالكثبان،" وهو تعبير ابتدعته اذ كنت كلما رأيت تلة توجهت للحال نحو قمتها بدل أن أدور حول الكثيب لأحافظ على استقامة دربي وأوفر حيويتي.

أما استراحة الغداء فأمضيت معظمها

في اصلاح آلة التسجيل الملأى بالرمل والتي كنت أسجّل فيها يومياتي، وفي التصوير بواسطة الكاميرا السينمائية التي أعارنني إياها أليستير ماكدونالد. فبعد تركيزها على حاملها الثلاثي القوائم وتشغيل محرّكها، كان لديّ ١٨ ثانية بالتحديد لأركض وأجرّ الناقتين لكي تلتقط لهما صوراً.

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر، وسط حرارة تجاوزت ٣٨ درجة مئوية، انطلقنا على الرمل اللاذع. وما هما الا ساعتان حتى اضطررت الى الاستراحة مجدداً. كانت الشمس مواجهة لي تماماً ووهجها يلهب مقلتي.

كانت تراد في عامها الخامس عشر، أي أنها شارفت منتصف العمر عند الجمال، وفي هذا الطقس لم يسعها الا أن تنثني وتبرك. أما بيغي التي ناهزت العاشرة من عمرها ونزعت الى التجهم، فاكتفت بالوقوف والتحديق الى البعيد. فالجمال، كالناس، يتمتع كل منها بامكانات معينة وشخصية مختلفة. قد يعيش بعضها ١٥ يوماً أو أكثر بلا ماء ولا يستطيع بعضها الآخر الصمود أكثر من ثلاثة ايام.

أما تراد وبيغي فبدتا على وشك الهلاك. ولربما صمدتا يومين آخرين في أبعد تقدير.

وسرعان ما برد الجو عندما غربت الشمس. وفي السادسة الا ثلثاً وجدت شجرة منّ أخرى. فتوقفنا لقضاء الليل عندها اذ كانت في منتهى الأهمية بالنسبة الى ناقتي.

أضرمت ناراً في الأغصان اليابسة. ولما جلست ذاك المساء أرتشف الشاي والجمر يلمع تحت مظلة النجوم، رحت أفكر في أن ابتهاج الأيام الماضية بدأ ينحسر كقوانا وأن المعركة الحقيقية شارفت بدايتها.

الناقة العنيدة

عبرنا الحدود وولجنا موريتانيا في تمام الثامنة والربع من اليوم التاسع. وكان النهار أحرَّ من الذي سبقه، والسماء مظلة زرقاء تحدق بالشمس الذهبية. ورحت أشق سبيلي بصعوبة. وعندما قاربت الساعة الحادية عشرة لم تعد قدماي تقويان على حملي. أنخت بيغي ونزعت حذائي، إذ ان الجمل لا يقبل قدماً منتعلة فوق عنقه. ويبدو أن بيغي حزرت ما أنويه: أنت تنتظرني ريثما أتعب ثم تريدني أن أحملك على ظهري. حسناً، سنرى.

قلت لها: "عفوك يا عزيـزتي." وامتطيتها. لكنها أدارت رأسها وراحت تزمجر في وجهي: لن أحملك! فما كان مني الا ان سددت الى قفاها وخزة بعصاي فنهضت مدمدمة. ثم ما لبثت أن تمددت على جنبها قاذفة بي من مجثمي. وعندما حاولت ثانية أن أمتطيها نهضت، وقبل أن تترك لي فرصة الجلوس على نحو مستقيم رمتني في الهواء فهبطت على الرمل. وما لبثت أن شعرت بألم فظيع في جنبي الأيسر. لا شك في أن ثلاثاً من ضلوعي كسرت. لكنني ما زلت أذكر الفكرة الاولى التي طرأت على بالي: الحمد لله! الألم في جنب واحد وليس في الوسط، أي ان ظهري ما زال سليماً.

وزحفت الى أن بلغت فيء شجرة منّ قريبة. وتعذر علي أن أتابع سيري في ذاك اليوم، ورحت أفكر ملياً في وضعي. لقد بقيت لي مسافة ٢٧٠ كيلومتراً ومعي ٢٧ ليتراً من الماء ليس الا. فلا بد لي اذاً من أن اجتاز حوالى ٣٤ كيلومتراً يومياً، وهي مهمة مروّعة حتى ان لم أكن أعاني الإصابة والإعياء. ولم أجرؤ على امتطاء أي من الناقتين خشية أن يسبب لي تحركها ألماً شديداً.

وفي اليوم التالي تهادينا لمدة ساعتين في منطقة الكثبان والريح العاتية تقذف الرمل في وجوهنا، ثم رحنا نترنح على أرض رملية صلبة ما لبثت أن تلاشت ليحل مكانها سهل فسيح انتثرت فيه شجيرات خفيضة. فرحبنا بالتغيير.

أما أوجاعي المختلفة، بما فيها ألم مفصلي في كتفي ورثته من مخيم شتائي في شبابي حين نمت أرضاً بلا عازل ملائم، فقد اجتمعت كلها في وجع بليد انتشر في جنبي الأيسر كله. وما أفلحت في تجاهله الا عندما صبغت الشمس بالحمرة قرابة الرابعة عصراً. لقد حان وقت الاحتفال الكبير، فأنا قطعت نصف المسافة عبر الربع الخالي. وهكذا نصبت آلة التصوير على قوائمها واستعملت العصا التي أخذ بها الناقة كسارية ثبتّ عليها علماً راح يرفرف. يا لها من لحظة فخر واعتزاز.

أما النقطة التالية في جدول أعمالي فكانت ترفاً وعدت به نفسي قبل أيام: الاستحمام. لا شك في أن العاصفة الرعدية التي هبت في اليوم الخامس أنعشتني، لكن الناقتين اعتادتا منذ مدة ادارة انفيهما كلما دنوت منهما! ولكم عذّبتني فكرة الماء الذي سيهدر في العملية، لكنني قررت ان أضحي بنصف ليتر. وهكذا نبشت بيدي حفرة في الرمل بطّنتها بملاءتي البلاستيكية ثم صببت فيها السائل الثمين. ورحت بعد ذلك أنظف كل جزء في جسمي.

المفعول النفسي كان مثيراً، اذ رحت أضحك بلا سبب ظاهر، حتى انني رقصت قليلا في السهل الذي لفعته الريح. وهيأت لمأدبة الاحتفال لحم بقر مجففاً ومبهراً مع البطاطا المهروسة وحفنة حلوى مجففة وعلبة مرطبات ادخرتها لهذه المناسبة المميزة. لكني لم أجد ضرورة لارتداء كامل حلتي لتناول العشاء.

"قضي علي"

في اليوم الحادي عشر عبرنا "زاوية الكثبان" كما دعوتها، وكنا ندور حول منطقة الكثبان التي تمتد مسافة ٤٠ كيلومتراً الى الشمال. لكننا، لسوء الحظ، حاولنا ان ننعطف حول القمة على نحو حاد جداً، فبتنا وسط الكثبان تحوطنا من كل صوب مرتفعات رملية قاحلة. وفكّرت مع الناقتين في الاتجاه الذي يجب ان نسلكه، فوافقتاني على أن السبيل الوحيد للخروج هو من الجهة الشمالية. وهكذا أدرنا ظهورنا على مضض لقرية أوالاتا وتابعنا المسيرة الطويلة المجهدة في الصحراء.

في الخامسة بعد ظهر ذاك اليوم كنت قطعت ٤٠ كيلومتراً، فحططت الرحال لكني ما لبثت أن سمعت جلبة وطء ثقيل: لقد داست بيغي صفيحة ماء. وسرعان ما

رأيت بقعة رمل قاتمة حول الصفيحة. وثبت من مكاني ورفعت الصفيحة فاذا بقطرة الماء الأخيرة تنساب من اسفل الصفيحة المفلوقة.

لم يتبقَ لي سوى سبعة ليترات. إنها لكارثة حقيقية!

في اليوم التالي عندما أنهيت استراحة الظهيرة حاولت أن أرفع حقيبتي لأثبتها على سرج تراد، لكنها انزلقت من بين أصابعي وسقطت على الرمل. لم تعد يداي تقويان على حملها. حتى تلك اللحظة لم أكن وعيت تماماً كم أصبحت خائر القوى، فهزّني هذا الاكتشاف. لست أدري كيف رفعت الحقيبة عن الرمل في النهاية وأوثقتها بالسرج مستعيناً بركبتي ووركي.

وتمددت تلك الليلة لأنام مقتنعاً بأن حادثاً مؤسفاً آخر كفيل بالقضاء عليّ.

وفي اليوم التالي، الثالث عشر، بعد ساعة من انطلاقتنا، أصبحت الارض أكثر انبساطاً. يبدو أننا استدرنا أخيراً حول الكثبان وبات في امكاننا ان نتجه نحو الجنوب الغربي بزاوية من ٢٢٢ درجة بحسب بوصلتي. اما الخريطة فأظهرت لي أن ٦٥ كيلومتراً من الارض الرملية الصلبة تمتد أمامنا. ولكن ما إن اجتزنا ١٩ كيلومتراً حتى واجهتنا الكثبان من جديد. لقد انعطفنا قبل الأوان. في ذلك الحين "تكلّمت" الى آلة التسجيل: "إنها الثانية عشرة والنصف. الكثبان تمتد على مرأى العين. أظن انه قضي عليّ. ان عدت أدراجي شمالا فليس لدي من الماء ما يكفيني للبقاء. ليس أمامي سوى فرصة واحدة: أن أتابع نحو الجنوب الغربي."

وهكذا غامرت في بحر الكثبان الرملية بشمسها المحرقة وريحها اللاذعة. ولكن ما لبثت أن توقفت تائهاً وسط الكثبان الهلالية أبحث عن أرض مستوية. ثم اخترت درباً مستقيمة في الجنوب الغربي ورحت أجر ناقتي المتمنعتين صعوداً الى التلال ونزولا على أجراف رملية شديدة الانحدار، محدثاً انهيالات رملية هائلة. كنا نشقّ في الكثبان العذراء جرحاً بالغاً غير آبهين بروعة جمالها. ولست أدري ان كانت وسيلة التنقل هذه أكسبتني بعض الكيلومترات، ولكن خيل الي اننا نتقدم بسرعة أكبر.

غرابان ينتظران

ظللنا نشق كثبان الرمل على مدى ساعة كاملة. وتذكرت ما قاله لي المرشد العربي في أروان: "ابتعد عن الكثبان والا هلكت في أقل من ثلاث ساعات." لكن غضبي فاق خوفي من الهلاك، غضبت من هذه الصحراء التي قد تؤخرني وتحول دون وصولي الى أوالاتا في الموعد المضروب. فرحت أصبّ جام غضبي وحقدي على الكثبان. فما كان منها الا أن أذعنت لمشيئتي واستسلمت، اذ ترامى أمامي فجأة، بعد الكثيب الأخير، سهل منبسط فسيح. فوقفت فيه ألتقط انفاسي مبتسماً. وأدركت مرة اخرى أنني شغوف بهذه الصحراء لما هي ولما قد تفعله بي.

لكنني لم أدرك وقتذاك انها لم تتركني بعد وشأني.

في اليوم الرابع عشر عثرنا على طبقات من الحديد الخام، الواح منبسطة وصدئة كأنها عظام الأرض العارية وقد

نتأت من اللحم. في ذاك اليوم قطعنا حوالى ٣٧ كيلومتراً، ولم تكن تلك المسافة كافية اذ لم يتبقَّ لي من الماء سوى ليتر ونصف ليتر. فعمدت الى تغيير خطتي كلياً. فبدلا من الاتجاه نحو أوالاتا مما يعني ثلاثة ايام مشياً بسرعتي الحالية، سأقصد أمرسال التي تحوي بئر ماء وتقع غرب أوالاتا. وهي لا تبعد، بناء على حساباتي، سوى ٨٥ كيلومتـراً ويلزمني يومان من السير لأصل اليها.

في الصبـاح التالي انطلقت الى أمرسال. وشعرت بأنني خائر القوى، وكان لا بد لي من الاستراحة كل نصف ساعة. وفيما أنا مستلق على الارض أحدق الى الصحراء، حجبت نور الشمس ظلال. ورأيت غرابين مبسوطي الأجنحة يحلّقان على ارتفاع ثلاثة امتار مني ويفحصان مادة فطورهما. لا شكّ في أنهما لاحظا انهياري المتكرر. ورحت أصرخ فبقيا بعيدين. يقال ان هذه الطيور تفقأ عيني الضحية التي لم تمت بعد.

عندما انهرت للمرة التالية خيل الي أني سمعت اصوات حديث، لكني صرفت النظر عنها معتبراً أنها ثمرة هذياني. ولكن عندما سمعت الصوت المألوف لسعال ناقة قررت التحقق من الأمر. فانعطفت حول كثيب واذا بي أرى جملين ورجلا وصبياً عربيين جاثمين على الارض. كائنان بشريان! الأولان اللذان أراهما منذ اكثر من اسبوعين.

حييتهما مبتسماً بإحدى الجمل العربية القليلة التي أعرفها: "السلام عليكما!" فصعقتهما الدهشة وساورهما الشك. أجنبي في الصحراء في ثياب بدوي؟ رحت أومىء اليهما معبراً عن حاجتي الماسة الى الماء. وفهما إشارتي لكنهما لم يكونا يحملان ماء بل يصطادان الغـزلان. سـألاني من أين أتيـت. فأخبرتهما، ولكن بدا انهما غير مصدقين.

فجـأة انتصبا وقفـزا الى ظهري جمليهما بخفة أملتها الخبرة وراحا يعدوان شمالا. أظن أنهما رغبا في الابتعاد عن هذا الاجنبي المجنون.

عدت الى ناقتيّ وتمددت على الرمل. لم يبقَ فيّ ذرة قوة. ها قد حان وقت اتخاذ القرار الاساسي: أأختار الحياة أم الموت؟

كان الألم في جسمي هائلا، فبدا الموت لي احتمالا واقعاً. يمكنني ان انحر نفسي بالسكين، ففي عروقنـا، نحن أبناء الشمال، تجري دماء الفايكنغ(٣) ولا نموت الا والسيف في قبضتنا. لكنني مع ذلك شرعت أفكرّ في حجج تساعدني على اختيار الحياة. فقرية أمرسال كانت تبعد ٦٥ كيلومتراً، والسير اليها في النهار قصاص مضنٍ، خصوصاً انه لم يتبقَّ لي سوى نصف ليتر من الماء. وأوحت الي تراد: يمكنك ان تسير ليلا. وراحت بيغي تنوح: ما مصيرنا اذا متّ؟

صحيح، فلدي مسؤولية لا أستطيع التنصل منها. وشردت أفكاري الى بريطانيا. كنت أحمل بعض الصور لعائلتي وأصدقائي. فأخرجتها ورحت أنظر اليها. فغمرتني الذكريات. وغابت الشمس في الأفق. وما إن برد الطقس حتى استعدت بعض قوتي فعاد الأمل الى

(٣) الفايكنغ محاربون اسكندينافيون غزوا شواطىء أوروبا بين القرنين الثامن والعاشر.

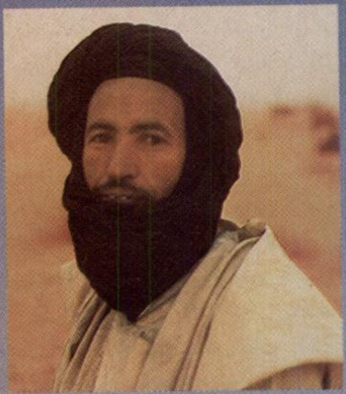

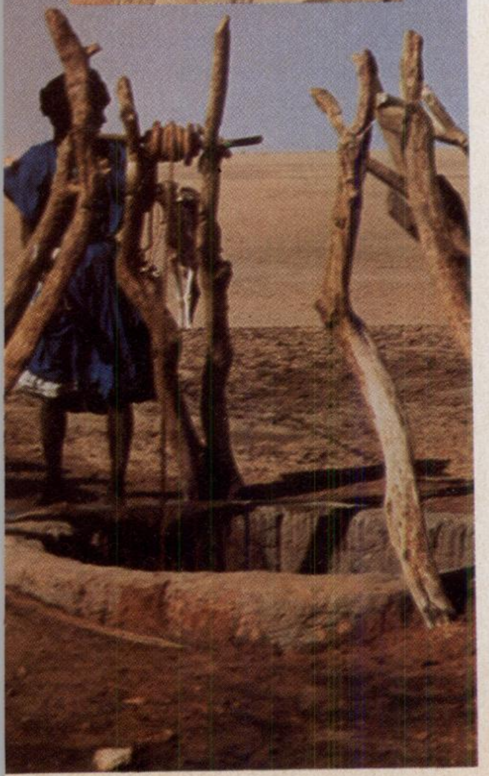

نفسي. وحيث يوجد أمل لا بد من أن توجد حياة. وضعت الصور جانباً ووقفت وقدماي تكادان لا تحملانني. لقد قررت أن أعيش!

عراك في الصحراء

في ضوء القمر رأيت شجرة سنط لا تبعد كثيراً. فقدت الناقتين اليها على مهل وتركتهما تشذبانها فيما رحت انا أجمع الحطب وأضرم النار. واستعملت ربع كوب ماء وكيس الشاي الاخير وحبة السكر الاخيرة لاحضر الشاي. وتناولته في البداية رشفة رشفة، ثم تجرعت ما تبقى مرة واحدة فأحسست بالسائل يجري في حلقي وينفذ الى مسام كياني كلها. ثم أوثقت زجاجة الماء التي تحوي ربع الكوب الاخير الى سرج بيغي كي لا أشربها.

انطلقنا تلك الليلة في برودة الليل وقد ربطت بيغي بتراد ورسن تراد بوسطي. وسرت نحو أمرسال معتمداً على بوصلتي.

فجأة سمعت خلفي جعجعة آتية من بيغي، فلقد انزلق سرجها الى عنقها وكان لا بدّ من تثبيته. واذ كنت مرهق الجسم والعقل نسيت أن أفك وثاقي من تراد. فتبعتني. اما بيغي فراحت تزمجر وقد أزعجها ثقل السرج. فاعتبرت تراد هذه الزمجرة تهجماً عليها فهجمت على بيغي.

راحت الناقتان تتعاركان بأسنانهما ورأسيهما وقوائمهما، ودار في الرمل أكثر من طن من اللحم المتشابك الغاضب.

أعلى اليسار، الجرف الذي تقع عليه أوالاتا. في الوسط، بيغي. أعلى اليمين، البدوي الذي التقاه ادواردز في اليوم السابع عشر. تحت، بئر على درب أروان يبلغ عمقها ٣٨ متراً.

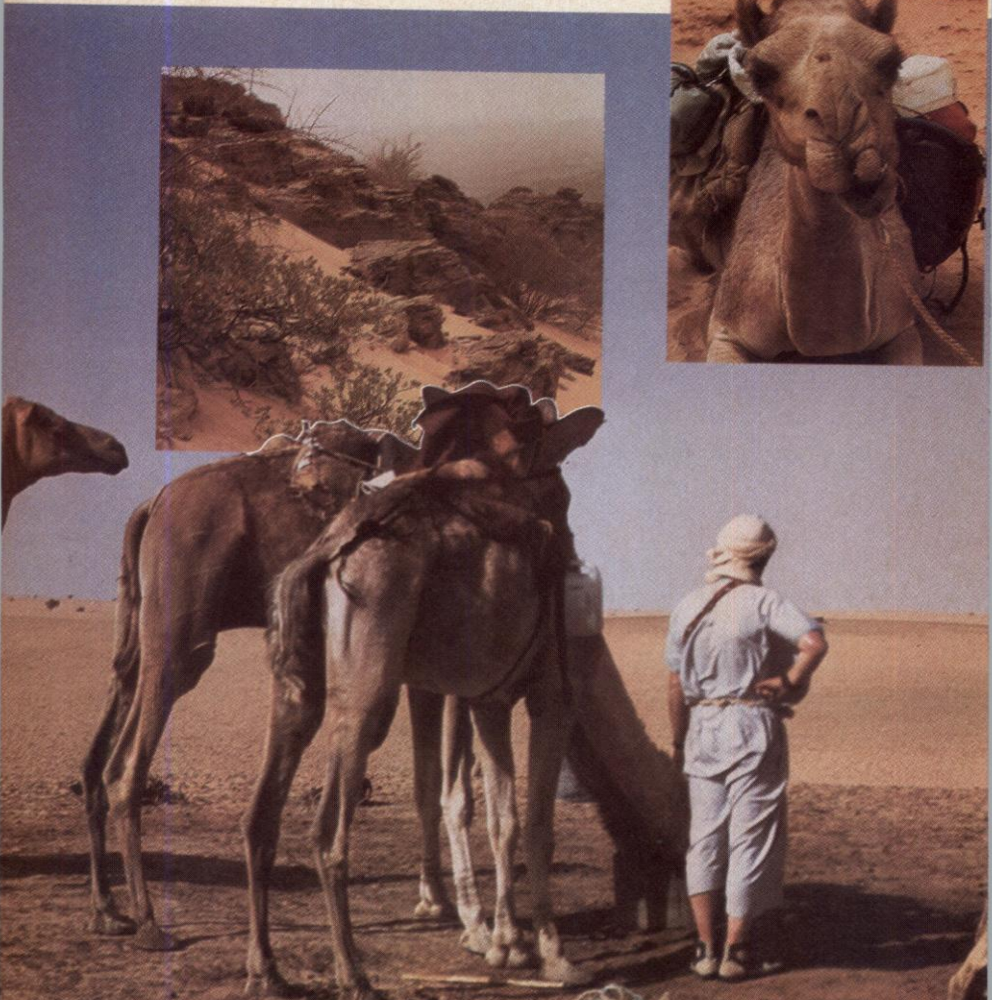

كنت لا أزال مربوطاً بتراد، فاذا بالناقتين ترميانني أرضاً في خضم عراكهما وكأنني خرقة بالية. يا له من كابوس!

حاولت ان أجذب تراد لابعدها، لكن قوة الرجل لا تقارن بقوة جمل غاضب.

وظلت الناقتان تتلاكمان وتزمجران برهة ثم وقفتا مرتعشتين تائهتي العيون فرحت أحدثهما برفق ثم اقتدتهما الى أجمتي عشب منفصلتين كي أهدّئ من روعهما. أما أرض المعركة فبدت مزروعة بالأمتعة والأسرجة والرمل المنبوش. بحثت عن زجاجة الماء فعثرت عليها، ولست أدري بأي أعجوبة بقيت سدادتها محكمة الاغلاق وبقي ربع كوب الماء داخلها.

حل اليوم السادس عشر وكانت الساعة الثانية فجراً. اما مدينة أمرسال فلم تعد تبعد، في حساباتي، سوى ٣٥ كيلومتراً. واستسلمت الى الرقاد بعدما خارت قواي تماماً. وفي معظم ساعات ذاك النهار اللاذع لجأنا الى فيء شجرات سنط. ولما غربت الشمس شربت نقطة الماء الاخيرة وحمّلت الناقتين.

انه اليوم السابع عشر. لقد تعديت النقطة التي كان من المفروض ان تقع فيها مدينة أمرسال. فرحت أبحث عن عوالم بشرية وقد غمرني يأس عارم.

عثرت على آثار حديثة لأخفاف جمال، فاقتفيتها لمدة ساعة ثم رفعت رأسي فرأيت ثلاث خيم بالية وأناساً يحدّقون اليّ. لقد نجوت! قال لي البدو إن أوالاتا تبعد ٣٠ كيلومتراً. لقد تأثرت بوصلتي بالحديد الخام الذي حُذِّرت منه، ونجوت بفضل توجهي نحو أمرسال. فالخطأ الناتج من البوصلة وجهني في الواقع الى أوالاتا. ولكن لو توجهت نحو أوالاتا، بحسب تقديري انا، لكنت أضعتها كلياً في الصحراء وربما مت.

أمضيت الليلة مع البدو. وفي صباح اليوم الثامن عشر زودوني سبعة ليترات من الماء فانطلقت مرتاحاً ومنتعشاً.

واشتد قيظ النهار وامتد أمامي، فجأة، الجرف الذي تقع عليه أوالاتا: أرض صخرية ترتفع ٣٠٠ متر وتصبّ في واد كبير. وجل ما عليّ فعله هو العثور على طريق الى ذلك الوادي ثم الانعطاف شمالا. بعد ساعة أكون في أوالاتا.

"السلام عليك"

حتى في هذه المرحلة الأخيرة من سفري بقيت الصحراء تضمر لي الخفايا. عثرت على سفح يؤدي الى أسفل الجرف، فتبعتني الناقتان ببطء. فالجمال ليست متسلقة جبال ماهرة. استغرق هبوطنا ساعتين. ولما بلغنا الوادي سرنا فيه مدة ساعة. ثم وصلنا الى طريق غير نافذة. لقد نزلنا الى الوادي غير المقصود.

حاولنا ان نصعد منه، ولكن على بعد خمسة أمتار من القمة أصبحت الصخور شديدة الانحدار. فتمنعت الناقتان عن متابعة الصعود. فرحت أجرّهما وأدفعهما وأداعبهما، لكنهما أبتا صعود تلك الأمتار القليلة الباقية. فما كان مني الا أن أقتدت البعيرين المضنيين الى أسفل الوادي من جديد. كان الظلام قد حل فأمضينا الليل هناك.

في اليوم التاسع عشر أفلحت في الخلاص من الوادي بعودتي الى النقطة

التي دخلته منها. صعدت ٣٠ متراً الى قمة تلة آملا العثور على السبيل المؤدي الى أوالاتا. لكنني لم أرَ سوى أودية مترامية على مدى النظر. فتملكني الذعر. لقد شربت آخر نقطة ماء على الفطور. أأسقط في هذه المرحلة الأخيرة؟

ورحت أجر الناقتين فوصلنا الى حافة واد كبير يتسع بضعة كيلومترات. لا ريب في انه وادي أوالاتا. لم تبقَ فينا ذرة قوة. تراد وبيغي تنهاران كل ساعة. كانت الساعة الاولى والنصف بعد الظهر والشمس المروعة تقارب أوجها. جلست في فيء بيغي ورحت أنتظر البرودة أو الانقاذ او الموت.

وفي الثالثة والنصف نهضت لمحاولة أخيرة. وقادتني وهدة جانبية الى بطن الوادي. زحفت بصعوبة الى القعر الرملي، وقد شق النزول على ناقتيّ اللتين شارفتا الموت. وعثرنا هناك على آثار جمال. لم تعد قدماي تقويان على حملي، فالتمست المستحيل من بيغي التي أذعنت لمشيئتي وهي تنوح. وزحفنا الى أسفل الوادي وأنا متشبث بسرج بيغي لأبقى على متنها.

وانفتح الوادي العظيم أمامنا. فرأيت حشداً من الجمال والناس وبئر ماء. وتقدم مني أحدهم مبتسماً وحياني: "السلام عليك."

فسألته بصوت خفيض أجشّ: "أوالاتا؟"

فأشار الى مدينة تتلألأ بيضاء تحت أشعة شمس الأصيل. لقد وصلنا!

وسحب السقّاء ماء من البئر وصبه في دلو معدنيّ ضخم، وبسرعة مذهلة ابتلعته الناقتان اللتان شربتا للمرة الأخيرة قبل ٢٠ يوماً عشية مغادرتنا أروان. ولما اكتفتا شربت أنا.

وكان أليستير ماكدونالد خرج في سيارته الـ"لاند روفر" للبحث عني بعدما تأخرت وظنّ أنني مت. وهو استقبلني كأنني الابن الشاطر. ورحنا نتبادل الأنخاب بأكواب بلاستيكية، ثم التقطنا بعض الصور. وبعد أيام وطأت أرض مطار مانشستر.

في البداية لم يتعرّف أصدقائي الي، فقد انخفض وزني من ٨٩ كيلوغراماً الى ٦٣. لكني استعدت عافيتي تدريجاً.

انحسرت الذكريات البشعة لمغامرتي مع أنها لن تتلاشى أبداً. وكالشيوخ الذين يتحدثون دائماً عن حروبهم، سأظل أتحدث عن هذه الذكريات المرة في ساعات الحنين. لكني لن أستطيع التحدث عن الأمور الحقيقية، عن الرابط بين الانسان والحيوان والارض. وفي بعض أوقات الحياة اليومية سأبتعد عن الذين يحيطون بي وأرجع في نفسي الى الرمل والنجوم الصامتة وهدير العاصفة، وستترقرق الدموع في عينيّ الشاردتين.

ماذا عن ناقتيَّ الجميلتين؟ غالباً ما أتساءل عما حل بهما. لقد اضطررت الى بيع بيغي بأقل مما اشتريتها. أما تراد فأهديتها الى مختار أوالاتا بناء على تلميحه. هل وجدتا الحياة السهلة التي استحقتاها بعدما حققتا رقماً قياسياً في بقاء الجمال من غير ماء وأمّنتا ورود اسميهما في حوليات الجِمال الى الأبد؟

تيد إدواردز

ترجمة چينا ابو فاضل

صَبَاح الخيْر!

نسكافه

كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أيِّ وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خُلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيويّة ونشاطاً.
نسْكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

PI 2959

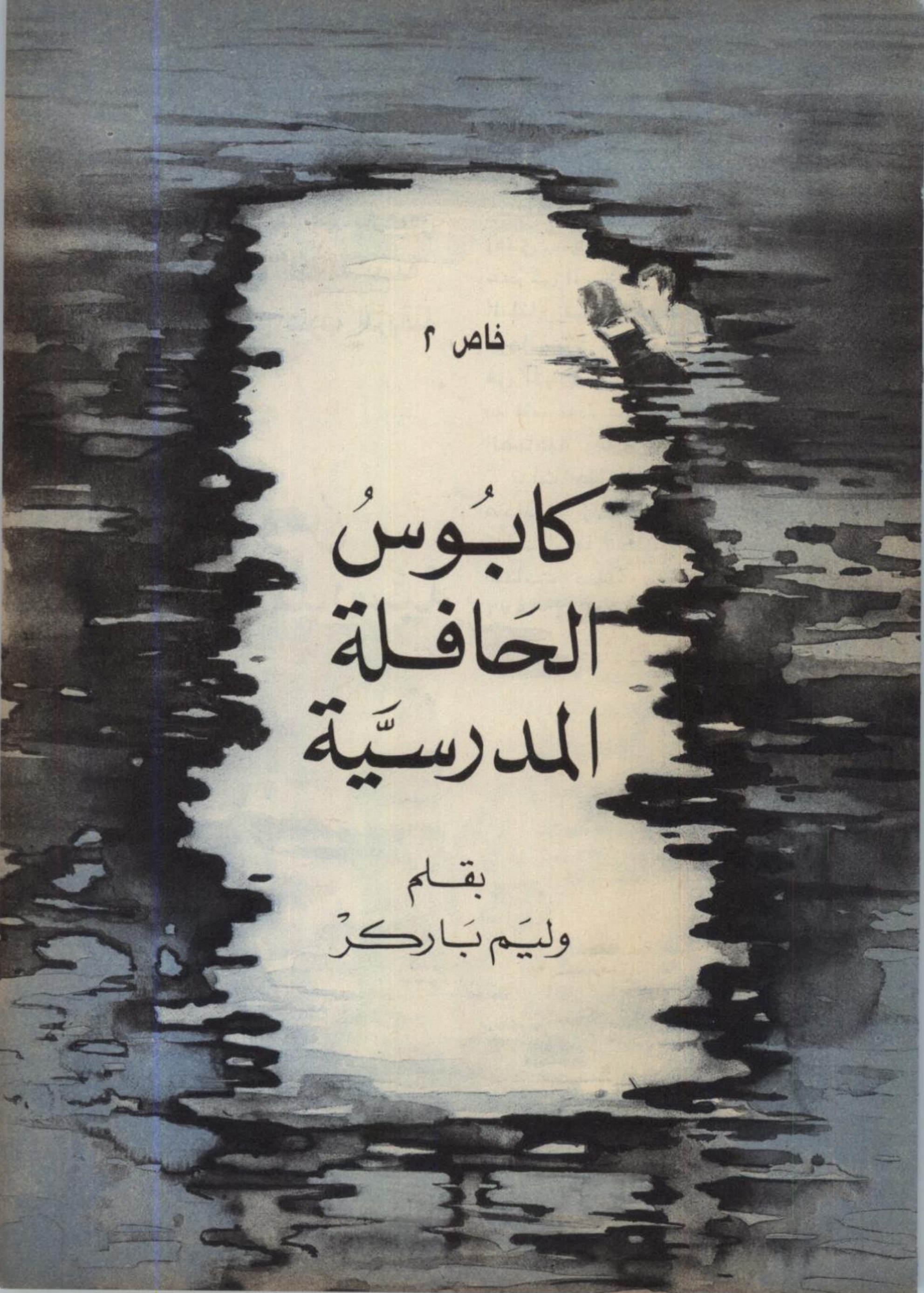
خاص ٢
كابُوسُ
الحَافلة
المدرسّيَة
بقلم
وليَم بَاركرُ

بعد دقائق من ركوبهم حافلة المدرسة التي ستقلّهم الى بيوتهم، وفيما هم يصخبون ويمرحون، حلت الكارثة بستة وسبعين ولداً من جنوب افريقيا

كابُوسُ الحَافلة المدرسَيّة

حدث ذلك في تمام الساعة الاولى والثلث بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٧ مارس (آذار) ١٩٨٥. كانت جيل ماكيلريث مستلقية في كوخها الكائن في وستدين إحدى ضواحي جوهانسبرغ. انها طالبة طب في السنة الخامسة، وقد أمضت ليلة الثلثاء في قسم الطوارىء بمستشفى جوهانسبرغ العمومي، وانتهت مناوبتها في الاولى فجراً. ولم تحظ بسوى خمس ساعات نوماً عادت بعدها لتقوم بجولاتها الصباحية. وها هي فرصتها الاولى للراحة.

بدأت جيل حياتها العملية كمحررة صحافية. وإحدى أولى المهمات التي كُلّفت اياها تغطية أعمال الشغب التي اجتاحت مدينة كيب تاون في العام ١٩٧٦. وهالها ما شهدت من إراقة دماء

Illustrations: Tony Butler

وشعرت بخجل لعجزها عن إسعـاف المصابين. وبعد ثلاث سنوات تزوجت طبيباً، فبرز لديها اهتمام بالطب وآلت على نفسها أن تصبح هي أيضاً طبيبة. وها هي الآن في الحادية والثلاثين من عمرها، ولم يبق بينها وبين الامتحان النهائي سوى سنتين من التدريب العملي.

استقبل قسم الطوارىء في الليلة الفائتة الخليط المعتاد من الناس: بضعة مصابين في حوادث سيارات، اثنين عضهما كلبان، وآخر وجد مصاباً بالقرب من إحدى الطرق العامّة. وكانت جيل عالجت في وقت مبكر من نوبة الساعات الثماني طفلا صغيراً شقّ يده بمسمار ناتىء من عمود في ملعب لكرة القدم. ومع أن الجرح كان ينزف بغزارة إلا أن الطفل ظلّ رابط الجأش يبتسم بشجاعة وهي تخيط يده. كانت جيل تجد متعة في العمل مع الاطفال، واكثر ما استهواها فيهم مرونتهم وقدرتهم السريعة على التكيف واستعادة النشاط.

قفزت جيل من سريرها عندما اندفعت خادمتها دورين كابلو الى البيت وهي تصرخ: "النجدة يا دكتورة! أرجوك! لقد سقطت حافلة في السدّ."

تناولت جيل السماعة الطبية وكانت على الطاولة في البهو، وجرت نحو سيارتها ودورين خلفها. وعندما بلغتا رأس التلة المطل على سد وستدين أوقفت جيل السيارة حائرة. فهي توقعت

ان ترى حشوداً من الناس على السدّ، لكن الهدوء الذي لفّ الضاحية كان شاملا وكأن شيئاً لم يحدث. وكانت المياه امامها تلمع تحت اشعة الشمس الساطعة. استدارت جيل نحو خادمتها سائلة: "أين الحافلة؟" فأشارت دورين الى الماء وهي تنتحب.

أجهدت جيل بصرها مخترقة بعينيها سطح الماء. وهناك تحت الامواج المترقرقة ميزت شكل الحافلة بوضوح لم يدع أي مجال للشك. فشهقت: "يا إلهي!"

ركاب صغار

مضت على وليم هورن ثلاث سنوات وهو يعمل سائق حافلة لبلدية جوهانسبرغ. ومن المهمات التي نيطت به خلال الاشهر التسعة الأخيرة نقل الأولاد بين مدرسة فورنتو الثانوية ومنازلهم في ضواحي وستدين وتريومف ونيولاندز. وهو عمل وجده ممتعاً. وكان وليم في الحادية والاربعين من العمر، متسامحاً إزاء مزاح المراهقين وهزلهم إذ كان هو نفسه أباً لخمسة اولاد راوحت أعمارهم بين ١٠ أعوام و١٨ عاماً.

وفي الصباح الباكر من ذلك اليوم وقع هورن أوراق نقل ملكية سيارة "ألفا روميو" مستعملة ادّخر هو وزوجته ماري مبلغاً لشرائها. وكان هورن قبل انتقاله الى جوهانسبرغ يملك في كيب شركة نقل بالحافلات، لكنها افلست. أما الآن، وبفضل ساعات العمل الاضافية، استطاع وزوجته أن يتخطيا مشاكلهما المالية.

في الثانية عشرة الا عشر دقائق ظهراً حضر هورن الى محطة الحافلات في فوردسبرغ حيث كان دوره ذلك اليوم أن يقود حافلة الاحتياط في حال تعطل احدى الحافلات العاملة. وبقي هناك ٥٠ دقيقة أجرى خلالها كشفاً روتينياً على حافلة الاحتياط ففحص الكابح والمصابيح والمؤشر والدواليب ووجدها كلها سليمة.

ولأن ذلك اليوم خلا من أي حادث طارىء، فلم تكن هناك حاجة اليه. وفي الاولى الا ثلثاً صعد هورن الى الحافلة ٥٨٦، وهي صفراء ذات طبقتين كان يقودها زميله أوين سكورجي. وهو علم أن سكورجي كان كشف على الحافلة ووجد كل شيء فيها على ما يرام.

بعيد الاولى بعد الظهر أوقف هورن الحافلة أمام المدخل الرئيسي لمدرسة فورنتو خلف ثلاث حافلات أخرى. أدار جهاز الراديو وأسند مرفقه الى المقود وجلس ينتظر وصول الاولاد.

امتلأ الباص تدريجاً بالاولاد الذين جلس معظمهم في الطبقة السفلى حيث الحرارة أدنى. وكانوا يصعدون بجلبة وضجيج ثم يرتمون في مقاعدهم. وزاد في حماستهم أنه لم يكن يفصلهم عن عطلة عيد الفصح سوى ثلاثة أيام.

وكانت لويز فانويك السمراء ذات السبع عشرة سنة تتطلع بشوق الى العطلة التي ستمضيها في مزرعة عمّها في كيب الشمالية. وفي طريقها الى الحافلة نادتها إحدى صديقاتها: "مرحباً يا لويز، أتريدين أن نوصلك الى البيت؟ لقد أحضر أخي سيارته."

ترددت لويز لحظة قبل أن تجيب. فهي كانت وعدت بيرتوس غوينكامب

بمرافقته، وهو أحد أبناء الجيران وفي الثالثة عشرة من عمره. ثم ردت على صديقتها: "لا، شكراً." وبعد لحظات وصل بيرتوس وصعد الاثنان الى الحافلة. ولما كانت الطبقة السفلى امتلأت، فقد توجها الى السلم المؤدية الى الطبقة العليا حيث اختارا مقعدين في الوسط. كان الحر خانقاً فقال بيرتوس وهو يفتح النافذة المنزلقة بقربه: "لندع الهواء يدخل."

بعد قليل صعد بيتر كوين (١٧ عاماً) وأخته رونل (١٥ عاماً) وتوجها هما أيضاً الى الطبقة العليا. اختار بيتر مقعداً أمام رونل كي يتسنى لكليهما أن يجلسا قرب النافذة. وبعد دقيقة وقف بيتر وفتح جميع النوافذ التي طاولتها يداه. وعلى رغم ضآلة حجمه كان بيتر رياضي الجسم وعدّاء رائعاً. وكان هدفه، وهو صاحب العقل الرزين والوجه الانمش، أن يصبح مدرّساً.

ضحك ثم صراخ

عندما أغلق وليم هورن جميع الابواب، كان في الحافلة ٧٦ ولداً جلس أكثر من ثلثيهم في الطبقة السفلى. أما في الطبقة العليا فكان لكل ولد مقعده وظل عدد من المقاعد خالياً فجلس الاولاد وظهورهم الى النوافذ كي يواجه بعضهم بعضاً ويتبادلوا الاحاديث. وراحوا يقايضون بالشطائر ويتبادلون النكات.

ادار هورن المحرّك فارتعدت الحافلة وما لبثت أن لحقت بأخرى كانت سائرة في الاتجاه نفسه الى تريومف عبر وستدين. كان هورن يعرف الطريق جيداً: نزولا من باب المدرسة الى شارع بيرث الذي يمرّ أمام مستشفى ستريجدوم ومنه الى شارع لويس وصولا الى الطريق الممتدّة فوق جدار سدّ وستدين.

كان ضوء الاشارة أخضر عند تقاطع شارعي لويس وبيرث، فزاد هورن سرعته ليقطعه في الوقت المناسب، وأخذ الطريق النازلة الى السدّ.

رفع بيتر كوين يده نحو النافذة المفتوحة مستمتعاً بالهواء البارد يداعب أصابعه. وكانت ابنة عمّه كارين تالغارد (١٤ عاماً) جالسة امامه وهي قالت له مبتسمة: "ثلاثة أيام فقط وتبدأ عطلة نهاية الاسبوع الطويلة يا بيتر." فابتسم لها بدوره.

لفت الحافلة منعطفاً. وفي الطريق المستقيمة الممتدّة فوق جدار وستدين ضاعف هورن سرعته فيما وقف بضعة أولاد استعداداً للنزول في الجهة الثانية للسد.

شعر هورن فجأة بألم حاد في رأسه ممّا أفقده التركيز، فانحرفت الحافلة يساراً قاذفة الاولاد بعضهم فوق بعض مما أضحكهم كثيراً. أرجع هورن المقود كما كان وهو يحاول جاهداً أن يستعيد سيطرته على الحافلة التي ظلت مندفعة الى حافة السدّ. وعندما داس هورن الكابح بشدّة انبعث من العجلتين الخلفيتين، صرير حاد، فيما ارتطم مخفّف الصدمات الامامي بأعمدة السياج الهشّة مقتلعاً ثمانية منها وكأنها سويقات عشب. ومن جراء الضجيج تحولت ضحكات الاولاد صرخات رعب. وحلقت الدواليب الاربعة خارج الطريق، وبدت الحافلة معلّقة في الهواء هنيهة قبل أن تسقط في الماء.

شعر بيتر بمؤخر رأسه يصدم النافذة. وبعد لحظات اندفعت من ركن السلّم موجة موحلة غمرت قدميه. ثم أخذت المياه تتدفق من النوافذ المفتوحة فيما غاصت الحافلة في الماء أكثر فأكثر. لمح بيتر ابنة عمّه كارين تشق طريقها نحوه، فصرخ لها وهو ينهال على إحدى النوافذ بقبضته: "سوف أكسر نافذة." لكن جهوده لم تثمر وظلّت النافذة ثابتة لا تتحرك. ثم أشار الى نافذة منزلقة صغيرة فوق الزجاج الرئيسي وقال: "أسرعي يا كارين، يمكننا أن نخرج من هنا."

استبدّ بكارين هلع فجائي وصرخت: "لا! دعني!" إلا أن بيتر انتزع منها محفظتها وكانت لا تزال متشبّثة بها، وكسر بها النافذة. وما كاد يفعل ذلك حتى تدفقت المياه الى الداخل. تسلق بيتر المقاعد ساحباً ابنة عمه وراءه من معصميها. وهو تمكّن من الخروج عبر النافذة ومن إخراجها هي أيضاً.

في تلك الاثناء، كانت الحافلة استقرت وتوقفت عن الغوص وقد بلغ ارتفاع المياه داخلها مستوى السقف تقريباً. وبعد جهد وصل الولدان الى السطح وعلى مسافة قريبة وراءهما برزت رونل من الماء وهي تلهث طلباً للهواء. وحاولت لبرهة أن تمشي على الماء، لكنها ما لبثت أن بدأت تسبح نحو ضفة تغطيها الاعشاب على بعد أربعين متراً.

مياه خضراء كثيفة ملأت الحافلة. لكن لويز فانويك ميزت بصيصاً من نور في إحدى الجهات فسبحت نحوه والاولاد حولها يتخبطون ويرفسون في محاولات يائسة للخروج. تلمّست طريقها نحو نافذة مفتوحة، وحين بلغتها حشرت جسمها فيها سعياً الى الخلاص، وما كادت تخرج نصف جسدها حتى شعرت باطار النافذة يلتصب حول وركيها. حاولت أن تقاوم الذعر الذي غمرها، ولوت جسدها مندفعة الى الامام إلا أن الاطار ازداد التصاباً مسبباً لها ألماً مبرحاً. لم يعد أمامها إلا الصلاة فراحت تبتهل: "ساعدني يا إلهي."

وما لبث الاخضرار حولها أن تحوّل سواداً.

لكل ثانية ثمن

ما كاد تاجر السمانة فريدي ماهنر وشريكه كينيث نيل يتوقفان أمام منزل الأول المطل على السدّ، حتى شاهدا عدداً من الاولاد يتخبطون في الماء وهم في ثيابهم. فأيقنا أن هناك خطباً. فقفزا من سيارتهما وركضا فوق جدار السدّ. وتحت سطح الماء مباشرة ميَّزا السقف الاصفر للحافلة على بعد حوالى ٣٥ متراً.

كان فريدي غطاساً سابقاً، وهو علم أن حظ أي انسان في البقاء حياً داخل الحافلة لا يتعدى ٣٠٠ ثانية، وانطلق يعدو وهو يعدّ. وعندما وصل وشريكه الى الفتحة التي أحدثتها الحافلة في السياج كان عدّه بلغ الثلاثين. وهو وصل الى الاربعين بعدما خلعا ثيابهما. وسمعا صوتاً وراءهما: "انتظر، يلزمكما شيء لتحطيم النوافذ." وكان العدّ بلغ ثلاثة وستين. أوقفا سيارة عابرة فناولهما سائقها رافعة من الصندوق وانطلقا بها نحو الماء.

عندما اقترب فريدي من الباص كان

عدّه بلغ المئة. وقدّر أن بعض الاولاد لا بد ان يحاولوا الخروج من باب الطوارىء. لذلك صرخ لرفيقه: "سأتوجه الى مؤخر الحافلة." وعندما أصبح في محاذاة النافذة الخلفيـة غطس تحت الماء ليستكشف داخل الحافلة. لكنّه سرعان ما شعر بحريق في عينيه وبعض أجزاء من جسمه فتمتم: "ديزل!" وكان زيت الوقود يتدفق من الخزان تحت الماء محدثاً بقبقة مسموعة.

مئة وواحد وعشرون... مئة واثنان وعشرون...

في تلك الاثناء كان كينيث تسلّق الى سطح الحافلة لتهدئـة الأولاد الذين تجمعوا هناك. وراح يبتهل الى الله: ارجوك يا الهي، دعنا نخرج بعضهم حياً. أرجوك يا الهي دعنا نصل اليهم قبل فوات الاوان.

أما فريدي فسبح في اتجاه مقدم الحافلة وراح يتلمس النوافذ المغمورة بالمياه.

مئة وخمسة وخمسون... مئة وستة وخمسون...

وجد فريدي النافذتين الاماميتين محطمتين فسبح داخل الحافلة حيث كان الماء أكمد قاتماً. مدّ يديه متلمساً لكنه لم يتحسس شيئاً. شعر بألم في رئتيه وبحاجة ماسة الى الهواء.

أخرج رأسه من الماء فسمع كينيث يناديه: "هنا! بسرعة!" كانت يدا كينيث تشدّان باحكام ميزاب الحافلة، وساقاه ممدودتين داخل نافذة مفتوحة تفلعان الماء بحركة مقص. وما لبث أن هتف: "عثرت على ولد." اقترب منه فريدي وتعاونا على انتشال فتاة شقراء فاقدة الوعي ودفعاها الى السطح وهما يصرخان للاولاد المتجمعين هناك أن يمسكوا بها.

مئتان وخمسة عشر... مئتان وستة عشر...

حاول فريدي أن يتقدم اكثر فاستعان بالرافعة لتحطيم إحدى النوافذ المغمورة. وهي انهارت من الضربة الثانية. دفع قدميه الى الامام يتحسس بهما الماء. لكنه لم يشعر بشيء. أخذ نفساً عميقاً وانزلق كالحية داخل الحافلة حيث غمرته المياه الى كتفيه. فجأة اصطدمت قدمه اليسرى بشيء. استعان بقدمه اليمنى وسحب بالاثنتين جسداً لفتى في قرابة الرابعة عشرة من عمره. "خذه!" صرخ وهو يخرج الى سطح الماء دافعاً الفتى أمامه.

مئتان وثمانية وتسعون... مئتان وتسعة وتسعون...

بلغ العد ثلاثمئة. فقال فريدي لكينيث: "ليس لأي ولد نخرجه الآن أي حظ في الحياة ما لم يكن عثر على جيب هوائي." وغطس في الماء وقدماه تسبقانه. شعر بشيء يتلوى بالقرب من ساقيه، وما لبث ان أخرج صبياً آخر من النافذة. مسحت ذراعا الصبي السطح وخرج من الماء وهو يتقيأ ويسعل.

شعر فريدي بفرح عارم وقال في نفسه: ما دام فيه هذا المقدار من الحياة فهناك أمل لآخرين. وبنشاط متجدّد غطس في الماء ثانية.

ربما فات الاوان

قاومت جيل ماكيلريث حافزاً قوياً كان يدفعها الى القفز في الماء لانتشال

الاولاد، لعلمها أن في وسعها أن تقدّم مساعدة أجدى إن هي بقيت على الضفة. وفيما هي تنتظر غمرها شعور جارف بالعجز والاحباط.

فجأة وصلت الى المكان سيارة اسعاف تبعتها سيارة للشرطة. وبدأ انتشال الاولاد الموحلين. وسرعان ما قفزت جيل الى العمل بلهفة وحماسة. وهي خاطبت أحد المسعفين: "انني طالبة طبّ. هل يسعني أن أساعد في شيء؟"

"نعم، تسلمي هذا." جاءها الجواب في الحال.

كانت جيل تعلم ان الدقائق السبع أو الثماني الاولى بالغة الأهمية. وقد راقبت عمليات انعاش القلب والرئتين وطبقتها على دمية في حجم انسان. ولكن لم يسبق لها أن طبقتها على أشخاص حقيقيين.

على الأرض عند قدميها مددت فتاة شقراء في قرابة الرابعة عشرة من عمرها. أمالت جيل رأس الفتاة الى الوراء وضغطت صدرها بعقب يدها فوق القلب مباشرة. ثم أخذت نفساً عميقاً ونفخت في فم الفتاة فانتفخ صدرها اذ امتلأت رئتاها بالهواء. كررت العملية: دلّكت القلب ثم نفخت ثم توقفت برهة وجسّت النبض: لا شيء. فحصت بؤبؤي العينين: لا استجابة. ربما فات الأوان. وتساءلت: هل أقطع الرجاء وأتركها؟ أنا لست مؤهلة لاتخاذ قرار. كيف أختار من أساعد ومن أترك؟

ما ان ابتعدت جيل بضع خطوات عن الجسد الهامد حتى أنتشل من الماء رجل يرتدي بذلة رسمية زرقاء فأكبّت عليه للحال. وعندما نفخت في فمه للمرّة الثالثة شعرت بجسده يتشنّج وما لبث أن تقيأ. كان حياً! وعندما قلبته على جنبه لتصريف القيء لاحظت أنه لف خصره بحزام يحمل شارة البلدية. لا بد من أنه سائق الحافلة. جست نبضه فوجدته غير منتظم. فجأة تشنّج جسده ثانية. ووضع أحدهم بطانية تحت رأسه. وتابعت جيل تدليك القلب.

خيارات صعبة

جرّ بيتر كوين نفسه الى سطح الحافلة الغارقة وتطلع حوله بخيبة ويأس. كثيرون من رفقائه في المدرسة تجمعوا هناك مبهورين وكثيرون غيرهم كانوا يتخبطون في الماء محاولين الوصول الى الضفة. فتش عن أخته رونل باهتياج. ربما ما زالت عالقة في الداخل. فجأة انشقّ سطح الماء بالقرب منه وبرز رجل يدفع أمامه فتاة تلهث طالبة الهواء. قال بيتر في نفسه: لا يسعني أن أظل هكذا! وعاد الى المياه الموحلة.

سبح بيتر في محاذاة الحافلة، فاصطدم بفتاة علق نصفها في نافذة. أمسك بها من تحت ابطيها وجذبها نحوه لكنها لم تتزحزح. رفع ركبتيه وضغط بهما جدار الحافلة وجذب ثانية فتحررت الفتاة.

عاد بيتر الى سطح الحافلة وهو يلهث وجال ببصره في ضفتي السد. بدت له احدى السابحات وكأنها رونل. لكنه لم يستطع أن يجزم ظنه. وعلى الجسر امامه رأى برندا وكارين فان سيترت وكانتا في الحافلة الامامية. كان عليه ان يتأكد من أن رونل ليست محتجزة داخل الحافلة.

انتصبت جيل ومسحت العرق والقيء عن وجهها. أمامها على الأرض مدد ثمانية أولاد وغطي بعضهم ببطانيات. نقلت بصرها بينهم. وللمرة الاولى استوعبت ضخامة المأساة. واكتظت الطريق المؤدية الى السد بأسطول من سيارات الاسعاف والاطفاء والشرطة وبألوف المتفرجين فيما حامت طوافات فوق الرؤوس. وكانت الشرطة قطعت الطريق عند طرفي الجسر. ومع ذلك تمكن بعض الأهل من الوصول الى المكان وراحوا يفتشون عن أولادهم وقد ضعضعهم المصاب.

حولها كان المسعفون والاطباء والممرضات يعملون على نحو محموم. هنا ولد يضخون ماء من صدره، وهناك آخر يثبتون كمامة أوكسجين على أنفه وفمه، وهنالك ثالث يحاولون الا يدعوه يؤذي نفسه بفعل تشنجات أصابته. والجميع في حيرة من أمرهم أمام الخيار الصعب: بمن يبدأون؟

صمّت جيل أذنيها عن الضجيج وركعت بالقرب من جسد لا حراك فيه ولا لون لابنة خمسة عشر عاماً نبضها ضعيف وتتنفس بصعوبة. وكانت طوافة الاسعاف التابعة لمستشفى جوهانسبرغ العمومي حطّت

في مرجة صغيرة بالقرب من السدّ. وأدركت جيل أن تلك ربما كانت الفرصة الاخيرة للفتاة. نادت المسعفين وساعدتهم على رفعها الى النقالة. وما كادت الطوافة تقلع حتى انهمكت جيل بضحية أخرى.

اجتماع الشمل

كان ضابط الصف لويس فانويك (٤٥ عاماً) في قاعدته في سويتو على مسافة ٣٩ كيلومتراً من سدّ وستدين، حيث أكبّ على الملفات بحثاً عن دليل يساعد الشرطة في كشف غوامض جريمة. ورنّ جرس الهاتف في مكتبه. ولشدّ ما كانت دهشته عندما سمع صوت زوجته في الطرف الآخر. فهي نادراً ما تطلبه في مكان عمله. أخبرته: "لقد غرقت حافلة المدرسة في السدّ، ولويز بين ركابها."

"في السد؟" ردّد فانويك غير مصدّق. ونظر الى ساعة يده وكانت تشير الى الاولى والدقيقة الخامسة والعشرين، ثم قال: "انني قادم حالا."

اندفع لويس فانويك من مركز الشرطة راكضاً. وفي تلك الاثناء توقفت امام المركز سيارة دوريّة فجذب سائقها الى الخارج وقفز مكانه وانطلق ويده على البوق. وبسرعة بلغت ١٩٠ كيلومتراً في الساعة شق طريقه بين السيارات متلوياً كثعبان وما فتىء يصلي: أرجوك يا الهي، نجّها من كل أذى. أرجوك، دعها تعيش. وكان قطع المسافة الى عمله ذلك الصباح في أربعين دقيقة. أما الآن، بعد أقل من ١٤ دقيقة، فقد بات السد على مرأى منه. شاهد الناس يتراكضون مشدوهين وبعضهم كان يبكي. وأمامه على الطريق رأى فتياناً وفتيات حفاة وثيابهم مخضلة بالماء. وعرف منهم بعضاً من أولاد الجيران والاصدقاء، لكن لويز لم تكن بينهم.

نزل لويس من السيارة وقطع جرياً مسافة المئتي متر المتبقية الى الجسر. واخترق حاجزاً للشرطة. وهناك على جانبي الطريق طالعته أجساد ممدّدة وملفوفة ببطانيات. راح يتنقل بينها ساحباً الغطاء عن كل جسد. لم يتعرّف الى الضحيتين الاوليين. اما الثالثة فكانت استيل جاكوبس صديقة لويز الحميمة. ترى هل كانت لويز معها في الحافلة؟ الى جانب استيل تمدّدت إلسا فان هيردن وكانت تقطن في البيت المقابل لبيت آل فانويك. ثم شاهد جسد بيرتوس غوينكامب، الفتى الذي بيته في آخر الشارع والذي كان مفتوناً بلويز. تملكت الضابط رجفة ولم يعد قادراً على حبس دمعه فراح يبكي ويشهق وهو يرفع غطاء بعد الآخر عن الاجساد الممدّدة، الى أن وصل الى آخر الصف. لم تكن لويز هناك.

نظر الى السد بيأس، وكان فريق من العمال ينتشل الحافلة بواسطة رافعة. اذا كانت لويز ما زالت داخلها فلا شك في أنها فارقت الحياة. أسند جسده الى سيارة متوقفة ووضع رأسه بين يديه وأجهش بالبكاء. واقترح أحد رفقائه في الشرطة الاستعلام عن لويز في المستشفيات، فتبعه فانويك الى سيارة الدوريّة.

في مستشفى ستريجدوم القريب غصّت غرف الانتظار بمئات الآباء والامهات

بخير. انها حية!" صعقه الخبر وعقد لسانه. فسألته ميمزي: "هل تسمعني يا لويس؟ إنها بخير وهي في منزل آل فانزيل. أحدهم نقلها في سيارته الى هناك." بعد دقائق اجتمع شمل الأب وابنته.

بطل حقيقي

هانس كوين عامل لحام في الثامنة والاربعين من عمره يعمل في مجلس مدينة جوهانسبرغ. وهو ما كاد ينتهي من تناول طعام الغداء في مستودع المجلس في فوردسبرغ التي تبعد ثمانية كيلومترات عن السد، حتى ناداه كبير العمال سائلا: "هانس! ألا يعود ولداك من المدرسة في حافلة وستدين؟"

أومأ هانس برأسه ايجاباً ونظر الى الساعة في معصمه وقال: "لا بد من أنهما وصلا الآن."

والاخوة والاخوات والاصدقاء الذين استبد بهم القلق فهرعوا الى المستشفى للاطمئنان. وعذّبت فانويك كلمات امرأة كانت تولول: "لا! ليس ولدي! لماذا ولدي؟" ثم قرأ أحدهم في المذياع قائمة بأسماء الأولاد الذين أدخلوا المستشفى، ولم يكن اسم لويز بينها. للمرّة الأولى بدأ فانويك يفقد كل أمل، وأيقن أن ابنته فارقت الحياة. وفكر: يجب أن أكلم ميمزي.

رفعت زوجته السماعة للحال. وقبل أن يتسنى له أن يقول شيئا بادرته: "لويز

- من المستحسن أن تأتي معنا. فلقد تلقينا الآن نداء بالراديو يطلبون فيه رافعة. احدى الحافلات غرقت في السد.

سرت في جسد هانس قشعريرة. فابنه بيتر وابنته رونل كانا في الحافلة.

اندفع نحو شاحنة متوقفة وانطلق بها، غير أن الرافعة الضخمة أمامه أرغمته على الابطاء فسار وراءها بسرعة لم تتعدّ الاربعين كيلومتراً في الساعة ممّا زاد عذابه. وكان خوفه يتعاظم مع كل دقيقة تمرّ، وراح يبتهل: عساها تكون حافلة أخرى!

وبعد نصف ساعة وصل الفريق الى السدّ. وفيما هانس يدفع وزملاءه الرافعة بين الجموع المحتشدة شعر بيد تلمس ذراعه. التفت فرأى زوجته ماري التي قالت له وهي تنتحب: "رونل بخير، ولكن لا أثر لبيتر."

انقضت ساعة والحافلة ما زالت تحت الماء. من المؤكد انه لم يعد فيها أحياء. أمسك هانس يد ماري وهما يشاهدان الحبال المتدلّية من ذراع الرافعة تُدخل الطبقة العليا وتعقد أنشوطة. سمعا هدير المحرّك وراقبا الحبال تُشدّ وتُسحب. لكن قعر الحافلة كان عالقاً في طبقة من الغرين الناعم بلغت سماكتها متراً. كان الضغط على السطح شديداً فبدأ ينفصل عن الحافلة.

انطلقت ماري تفتش بين المتفرجين علّها تجد بيتر. وعادت بعد دقائق وعلى شفتيها ابتسامة عريضة. قالت: "أظنّ أن بيتر بخير. فلقد أخبرتني برندا فان سيترت أنها لمحته فوق سطح الحافلة يساعد أولاداً آخرين." ابتسم هانس بدوره وقد غمره شعور بالفرح فمساعدة الغير كانت من أبرز مزايا بيتر.

استدعى عمال الانقاذ رافعتين اضافيتين مما ساعد في توزيع الثقل وأتاح لرجال الانقاذ أن يرفعوا الحافلة مترين فوق الوحل حيث أبقوها لفترة ريثما ينتهي غطاسو الشرطة من تفتيش الطبقة السفلى وطبقة الغرين المحيطة بالحافلة.

الساعة الخامسة بعد الظهر أخرجت الضحية الاخيرة على نقالة وكان الجسد مغطى ببطانية. ظلل هانس عينيه ليحجب عنهما أشعة الشمس الغاربة وحملق في الجسد المرفوع. لا... لا يمكن... مستحيل... انه مثل بيتر تماماً... لكن اولاد فان سيترت شاهدوا بيتر حياً...

اندفع هانس الى الامام وصرخ في الاطفائي الذي كان يرفع النقالة: "دعني أنظر اليه."

وجاءه الجواب حاسماً: "آسف، إن كنت تظن أن في وسعك التعرف الى بعض الضحايا فعليك أن تذهب الى مستودع الجثث."

انكمش هانس الى الوراء وعيناه مثبتتان على السروال الرمادي المبلل والحذاء الاسود. ورأى النقالة تُدخل سيارة اسعاف. لم يبق أمامه ما يفعله فسار الى منزله.

عندما فتح الباب اندفعت رونل نحوه وهي تشهق وأخبرته انها هي أيضاً شاهدت بيتر على سطح الحافلة. فطمأنها أبوها: "لا بدّ من أنه بخير."

انقضت ساعة وآل كوين يحاولون

الاتصال بمستشفيات المحلة، لكنهم لم يتلقوا أي خبر عن بيتر. اخيراً توجه هانس الى مستودع الجثث مع شقيق زوجته جورج ابري. وكانت الساعة السابعة والنصف مساء. هناك تبدد الامل اذ رفع أحد الموظفين الغطاء عن الجسد البارد الهامد. كانت جثة بيتر آخر ما انتشل. وقد عثر عليها في الوحل خارج الحافلة حيث قضى بيتر وهو يخلص رفقاءه.

صباح اليوم التالي أفاقت ضواحي وستدين وتريومف ونيولاندز على هول الفاجعة التي حلّت. من بقي حياً من الاولاد توجه الى المدرسة حيث تليت الاسماء. أما قصة المأساة فروتها الأزهار الموضوعة على طاولات الدرس في اكثر من صف. لقد قضى ٤٢ تلميذاً: ٢٩ فتاة و١٣ فتى.

نهار السبت أقيمت جنازة جماعية لاثنتي عشرة ضحية في مدافن وستبارك الواقعة في الوادي تحت السد. ويوم الاثنين أقفلت المحال والمتاجر في جوهانسبرغ باكراً ونكست الاعلام في أنحاء البلاد حداداً على عشرين ولداً آخرين دفنوا ذلك النهار. أما بقية الضحايا فأقيمت لها جنازات عائلية.

ولايام طويلة بعد المأساة ظل الناس يتوقفون قرب جدار السد ويلقون باقات زهر في المياه الداكنة.

في اليوم الذي تلا الحادث أفاق سائق الحافلة وليم هورن في مستشفى جي جي ستريجدوم. وكانت رئته اليسرى ما زال فيها بعض ماء مما اقتضى الاستعانة بجهاز للتنفس. وقال له الاطباء ان من حسن حظه أنه بقي حياً. لكن شعور الندم

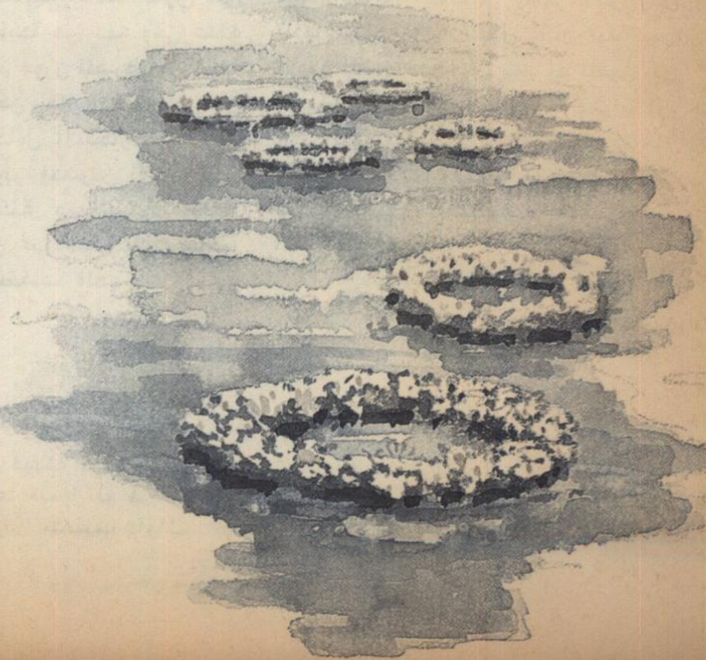

ظلّ يعذّبه. وتناهى اليه أن بعض آباء الضحايا يروم الانتقام. إثنان واربعون ولداً قضوا وهم في عهدته، وهو قدّر شعور ذويهم قياساً على شعوره هو لو كان أولاده بين الضحايا.

وعلى رغم فحوص الدم التي أثبتت نقاء دمه راجت اشاعات بأنه كان ثملا، الاّ أن جيل ماكيلريث نفت ذلك نفياً قاطعاً. فهي أنعشته من طريق النفخ في الفم، ولم يحمل نفسه أي أثر لكحول.

مع أن هورن لا يتذكر من الحادث إلا القليل، إلا أن الشعور بالذنب ما برح يعذّبه. وهو عاش في يأس وانهيار بعد خروجه من المستشفى. وحاولت زوجته ماري جاهدة أن تخرجه من صمته وتبدد يأسه، لكنه اعتصم بالصمت واعتكف في غرفته المظلمة.

وبعد ثلاثة أسابيع عادت ماري الى البيت لتجده سابحاً في دمه وفي عنقه جرح عميق. وزعم هورن للشرطة أن ثلاثة رجال هاجموه، لكن رجال التحري سرعان ما أدركوا أنه حاول الانتحار.

وفي ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) مثل هورن أمام محكمة جوهانسبرغ العليا بتهمة القتل عن غير عمد، وكان شاحباً محني الظهر. فقضت المحكمة بوضعه تحت المراقبة للتثبت من صحته العقلية.

وفي مارس (آذار) ١٩٨٦ بدأت محاكمته. وتبين أنه تعرّض في العام ١٩٨٢ لهجوم من أربعة رجال بات على أثره يفقد وعيه من وقت الى آخر. وهو أخبر القاضي أنه شعر بألم حاد في رأسه وبدوار ثم لفه الظلام ولم يعد يعي شيئاً. وحكم القاضي كريفلر بتبرئته مقتنعاً بأنه تعرّض لنوبة غيبوبة. وهو خاطبه: "انني مقتنع بأن لا مسؤولية جرمية عليك."

وفيما القاضي يغادر قاعة المحكمة علا تصفيق أصدقاء هورن وأفراد عائلته. وعندما خرج من مبنى المحكمة قال للصحافيين: "لن أنسى هؤلاء الاولاد ما حييت."

الصلاة والزمن تكفلا محو الغضب من قلوب أهالي الضحايا. ولقد تمكن رجل الدين وليم فان أسوجن وكان ابنه بين الاولاد الذين نجوا، أن يمدّ يد العون الى كثير من العائلات المفجوعة. وهو يقول: "من ظلام ذلك اليوم بزغ في مجتمعنا نور جديد ووجدنا تقارباً لم نألفه من قبل. نحن نعيش اليوم وعيوننا ترنو الى المستقبل."

وليم باركر

ترجمة د. باسمة سكرية عيد

عندما تتكلم النمور

سمع حارس حديقة الحيوان سيدة تهتف: "انظروا الى هذه النمور الصغيرة الفتانة. ترى ماذا كانت لتقول لو قُدِّر لها أن تتكلّم؟"

تبسم الحارس بتهذيب وأجاب: "ستقول: نحن نمور يا سيدتي."

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

الحسناء

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة تهتم بشؤون كل بيت :

- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج
- بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

INTERNATIONAL

Media representatives of Al Mukhtar

Min Reader's Digest

Contact Offices:

Lebanon : *C/O La Régie Libanaise De Publicité s.a.r.l.*
Noura Center - Sin El Fil POB - 55342 - Beirut
Tel - 01 - 482185 - 482068 - 490307/11/12/13
Tlx - 42528 RELIP

France : *C/O Mediarab France*
116 Ave. Des Champs Elysées - 75008 - PARIS
Tel - 01 - 45.63.17.27. - Tlx - 641605 ISOBUR

UK : *C/O Mediarab LTD*
67 Knightsbridge - London SW1 X 7RA
Tel - 01 - 2358416/18 - Tlx - 918711 MEDIAB

هل تغيّر عنوانك؟

املأ هذه القسيمة وارسلها الى قسم الاشتراكات
في "المختار" على العنوان الآتي:
مجلة المختار من "ريدرز دايجست"
شارع المقدسي، بناية الشرتوني
ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

Name ______________________________ الاسم

New Address ______________________________ العنوان الجديد

____

Date ______________________________ التاريخ

Subscription N° ______________________________ رقم الاشتراك

Signature ______________ التوقيع

اكتب واربح

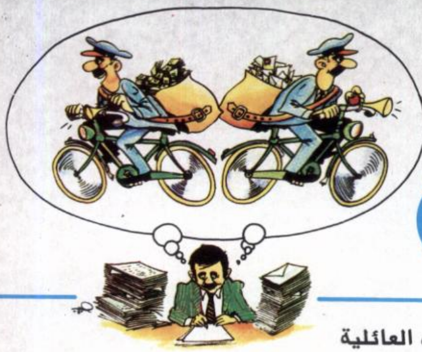

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.

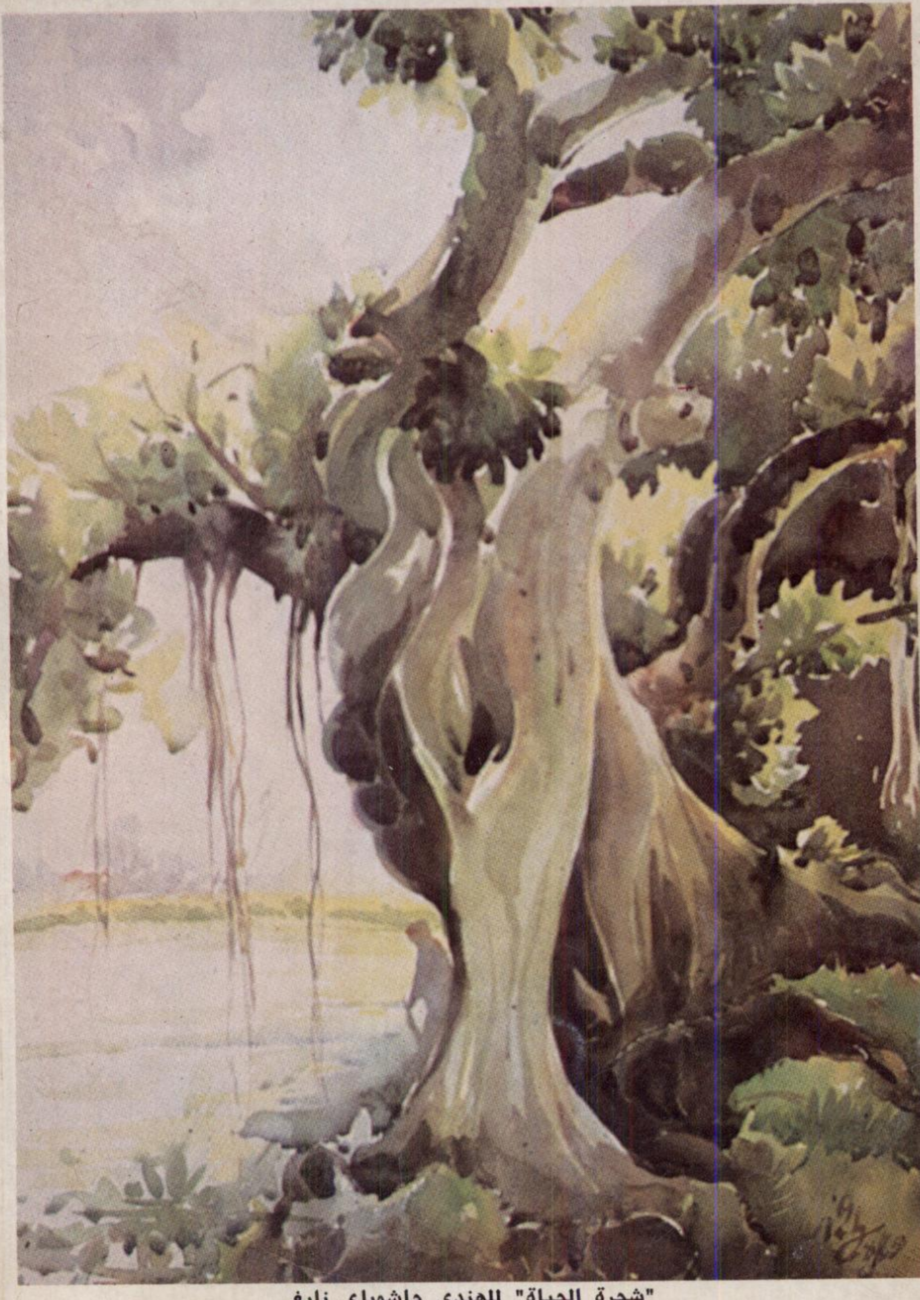

"شجرة الحياة" للهندي جاشوباي نايغ